

تاريخ مدينة مصر القديمة

في العصر الفرعوني

(منذ انشائها حتى استيلاء المرابطين عليها)

٣٤٤ - ١٤١٤ / ٩٥٥ - ١٠٩١ م

تصدير

دكتور السيد عبد العزيز سالم

أستاذ التاريخ الإسلامي والمحاضرة
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

تأليف

دكتور محمد أحمد أبو الفضل

مدرس التاريخ الإسلامي والمحاضرة
كلية التربية - جامعة طنطا



الهيئة المصرية العامة للكتاب
فرع الإسكندرية

3/5/8
المجلد - ٦
العدد - ١
تاريخ النشر
موقع النشر

اهداءات ٢٠٠٢

١. د/ أسامة محمود غنيم

الاسكندرية

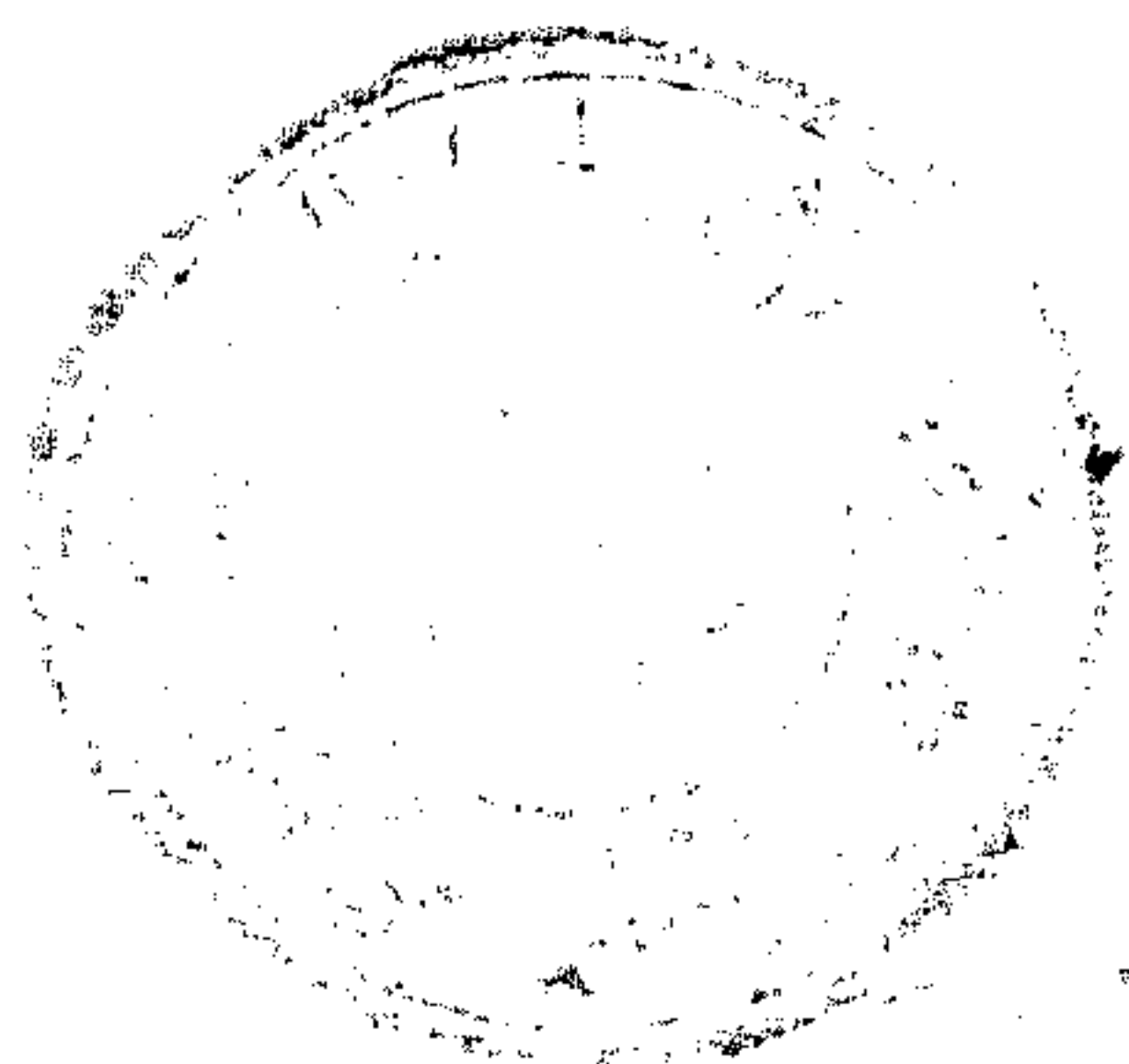
صدي إلى الزميلة الفاضلة الأستاذة الدكتور هـ. إسماعيل
مع فائقه التحيات

تاريخ تدوينها (المجلد الأول) ١٩٥٢/١٤/٢٨

في العصر الحديث

(منذ انشائها حتى استيلاء المرابطين عليها)

٣٤٤ - ٤٨٤/٩٥٥ - ١٠٩١ م



تصدير

دكتور السيد عبد العزيز سالم

أستاذ التاريخ الإسلامي والمحاضرة
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

تأليف

دكتور محمد أحمد أبو الفضل

مدرس التاريخ الإسلامي والمحاضرة
كلية التربية - جامعة طنطا

١٩٨١



الهيئة المصرية العامة للكتاب

طبعة الأولى

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

8-11-1911
1-1-1912

21

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ عِلْمٍ
إِلَّا قَلِيلًا

عَدُوٌّ لَكُمْ عَظِيمٌ

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

اهتم فريق من مؤرخي الإسلام بتسجيل محاسن مدنهم التي نشأوا فيها
وخواصها ، وتخليد مآثر بلادهم وفضائلها ، وإبراز مناقب علمائها والمتفقيين
من أعلامها ، اعترافاً بأوطانهم ، وتعبيراً عن ارتباطهم بأراضيهم ، وتمصّباً
واضحاً لأقاليمهم . وقد اصطلح على تسمية هذا اللون من الكتابة التاريخية في علم
التاريخ بالتاريخ المحلي الذي يعرفونه بأنه وليد الشعور بالقومية والتعصب
للاقليمية . ومن المعروف أن أقدم أمثلة الكتابة في التاريخ المحلي في المشرق
الإسلامي تتمثل فيما كتبه أحمد بن أبي طاهر طيفور (ت ٢٨٨ هـ) عن تاريخ
بغداد ، وعمر بن شبه (ت ٢١٣ هـ) عن خطط البصرة ، وأن أقدم أمثله في
الاندلس كتاب في صفة قرطبة وخططها ومنازل الأعيان بها لأحمد بن عيسى
الرازي (ت ٢٢٤ هـ) .

وقد لفت الكتاب في التاريخ المحلي اقبالاً كبيراً من جانب مؤرخي
الاندلس لأن بلاد الاندلس تتميز قبل كل شيء بتنوع واضح في طبيعتها
الجغرافية ، سواء من حيث السطح أو المناخ أو البيئة نفسها بحيث وضح
الاختلاف في سائر كورها وأقاليمها ما ترتب عليه النزوع إلى الانتزاع ، والميل
إلى الانسلاخ عن الحكومة المركزية ، وهي ظاهرة وضحت عبر حقب التاريخ
الإسلامي ، وساعد ذلك على قيام أكثر من عصر الدويلات المتقطعة - إذا
صحت هذه التسمية - اصطلاحاً على تسميتها بدويلات الطوائف ، ما كان يتم
إدماجها في الحكم المركزي في كل مرة إلا في الفترات التي تظهر فيها شخصية
قوية ، كالشأن في شخصية عبد الرحمن بن عبد ، أو قوة فتيحة كدولة المرابطين
أو دولة الموحدين ، ولعل ذلك يسر إلى حد كبير الاختلاف الواضح في

العادات والتقاليد وحتى في اللسان واللهجات في مختلف أقاليم أسبانيا في وقتنا الحاضر ، كالجلالقة ، والبشكنس ، والقطلان ، والبلنسيين ، وأهل الجنوب ، فلكل من هؤلاء لغته أو لهجته الخاصة ، وهذا يوضح ظاهرة الانفصالية التي تسود اليوم في أقاليم أسبانيا وترتب عنها حتى الآن قيام دولة قطلونية ودولة الباسك .

وإذا كان مؤرخوا الأندلس قد صرفوا اهتمامهم إلى التفاخر ببلدهم الأندلس وذكر أخباره ، في كتاباتهم الاهتمام بتاريخه ووصف جغرافيته وتسجيل مآثره ، بحيث أصبحت عناوين مصنفاتهم تدور حول اسم الأندلس .

كاشان في الأمثلة الآتية : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذارى

تاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية القرطبي

تاريخ علماء الأندلس ، لابن الفرضي

الصلة في تاريخ أئمة الأندلس ، لابن بشكوال

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام الشنتريني

المقتبس من أبناء أهل الأندلس لابن حيان

معجم الأندلس ومسرح الناس في ملج أهل الأندلس لابن خاقان

جقاوة المقتبس في ذكر رجال الأندلس للحميدي

بنية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس للضبي

فرحة الأندلس في تاريخ الأندلس لابن غالب

فإن ظاهرة الكتابة في تاريخ مدن الأندلس لم تكن واضحة بنفس وضوحها بالنسبة لبلد الأندلس ، فقد كان مؤرخوها الأندلس ، رغم اعتزازهم بأقليتهم ، لا ينزعون كثيرا إلى التفاخر بمدنهم ، ولذلك لا تعرف عن كتاباتهم في هذا المجال سوى الأمثلة الآتية :

صفة قرطبة وخططها ومنازل الأعيان بها ، لأحمد بن محمد الرازي
تاريخ قضاة قرطبة ، لأخشي

تاريخ بلنسية المعروف بكتاب البيان الواضح في الملم القادح لمحمد بن
علقمة

تاريخ مالقة لأبي عبد الله بن عسكر وأمه ابن أخيه أبو بكر بن
خمس

تاريخ علماء البيرة لأبي القاسم محمد بن عبد الواحد الغافق الملاح
تاريخ شقورة لابن ادريس

الاعلام بمحاسن الأعلام من أهل مالقة لأبي العباس أصبغ بن العباس
الاحتفال في أعلام الرجال (تاريخ قرطبة) لأبي بكر الحسين بن محمد
ابن مفرج

تاريخ الرؤساء والفقهاء والقضاة بطليطلة لأبي جعفر بن مظاهر
تاريخ فقهاء قرطبة لابن حيان
تاريخ الجزيرة الخضراء لابن خمس

تاريخ قلعة محصب المسمى بالطالع السعيد لأبي الحسن بن سعيد
تاريخ بقيرة لأبي عبد الله بن المؤذن

الدرة المكنونة في أخبار أشبونة لأبي بكر بن محمد بن ادريس العزالي
الغالوسي

مزنة المرية لأبي جعفر أحمد بن خاتمة الأنصاري

تاريخ المرية وباجة لأبي البركات بن الحاج

غير أن مؤرخي إسبانيا المحدثين على خلاف مؤرخي الأندلس المسلمين
أولوا الكتابة في تاريخ المدن الإسبانية جانباً كبيراً من عنايتهم بدافع الشعور

بالإقليمية فأسرفوا في ذلك إسرائاً تعبر عنه كثرة مصنفاتهم الإقليمية عن مدن إسبانيا في العصر الاسلامي أو عبر حقبة التاريخ بحيث أصبحت مكتبة المدن الاسبانية تضم مثالا من الكتب ، وفيها يلي أمثلة لبعضها :

1 - Arellano, Historia de Cordoba

(آريانو ، تاريخ قرطبة)

2 — Francisco Rios, Zaragoza

(فرنسيسكو ريوس ، سرقسطة)

3 — Gilen Robles; Malaga Musulmana

(جيلين روبليس ، مالقة الاسلامية)

4 — Gaspar Remiro, Historia de Murcia Musulmana

(جاسبار ريميرو ، تاريخ مرسية الاسلامية)

5 — Huici Miranda, Historia Musulmana de Valencia

(أويشي ميراند ، تاريخ بلنسية الاسلامية)

6 — Chabas, Historia de la ciudad de Denia

(شاباس ، تاريخ مدينة دانية)

y — Tapia garido, almeria Musulmana

(تاييا جاريدو ، المرية الاسلامية)

كما صدرت لبعض مؤرخي العرب المحدثين دراسات عن مدن أندلسية ، دفعهم إلى الاهتمام بتأليفها ، اعجابهم الشديد بتاريخ هذه المدن في العصر الاسلامي ، أو حرصهم على ابراز أعجاز إسلامية تكمن في هذا التاريخ ، ومن أمثلة هذه الكتب :

تاريخ مدينة المرية الاسلامية قاعدة أسطول الأندلس للدكتور

السيد عبد العزيز سالم

فرطبة حاضرة الخلافة الأموية في الاندلس ، لنفس المؤلف
مملكة سرقسطة في عصر الطوائف للدكتور عفيف الترك
مملكة غرناطة في عهد محمد الخامس للدكتور أحمد مختار العبادي

* * *

والكتاب الذي بين يدي القارئ كتاب في التاريخ المحلي لاندلس ،
وبالذات في تاريخ مدينة أندلسية هي المرية ، كان لها دور عسكري واقتصادي
هام في التاريخ الاسلامي ، ولم يكن هذا الكتاب وليد نهج ور بالتفاخر
القومي ولا التعصب للأرض وإنما جاء ثمرة دراسة مستفيضة لفرع في
التاريخ الاسلامي لم يحظ بعد بالاهتمام الذي يستحقه ، وأعني به تاريخ
الاندلس الذي تهز أحداثه النفس ، وتستثير حضارته مشاعر متداخله من
العزة والنخار والحزن والأسى على أمجاد إسلامية بادت ودفرت ، وعن
فردوس أصيل فقدناه ، وترات شاخ نذرف عليه الدموع .

فلقد انفتحت نظر الدكتور محمد أحمد أبو الفضل ، مؤلف الكتاب ، الدور
الهام الذي تمثله المرية الإسلامية منذ نشأتها في عصر الخلافة حتى دخولها في
فلك دولة المرابطين ، على الصعيدين السياسي والاقتصادي ، وأفاد من البحث
القيم الذي صدر في مجلة الاندلس لعالم الآثار الإسلامية الإسباني أستاذي دون
ليوبولدو توريس بلباس عن المرية الإسلامية ، وهو بحث اهتم فيه بوجه
خاص بدراسة الجانبين الطوبوغرافي والآثري ، كما أفاد من كتابي الموسوم
بتاريخ مدينة المرية الإسلامية قاعدة أسطول الاندلس الذي أبرزت فيه
أهميتها كقاعدة لأساطيل الاندلس في عصر الخلافة ، وأهميتها الاقتصادية
كمحطة رئيسية للتجارة الخارجية مع نفور العالم الاسلامي والغرب الأوروبي ،
وحالته التوفيق في التوصل إلى حقائق جديدة بفضل ما كان يعثر عليه من

أشارات طبوغرافية أو تاريخية متناثرة هنا وهناك في بطون المصادر الجغرافية وكتب التراجم وفي دواوين الشعراء وكتابات الأدباء ، وبفضل غوصه إلى أعماق النصوص التاريخية ومنهجه القائم على التحليل والاستنباط ، وبفضل هذه الحقائق نجح الدكتور أبو الفضل في الكشف عن كثير من غوامض تاريخ المرية وفي تسليط الضوء على دورها الكبير في التاريخ والحضارة .

أختار الدكتور محمد أبو الفضل لدراسة التاريخ السياسي للمرية فترتين من أزهى عصورها : الأول عصر الخلافة ، والثاني عصر دويلات الطوائف ، وقد لعبت المرية خلالهما ، وعلى الأخص زمن الطوائف ، دوراً سياسياً رائداً في أحداث الأندلس واستطاع ملوكها في هذا العصر أن يجنبوها رحي الفتنة الطاخنة والأخطار الداخلية والخارجية ، كما حرصوا على أن يسودها الاستقرار والأمان ، وعملوا على رعاية الفنون والآداب ، فتألفت الحياة العلمية والأدبية والفنية في هذا العصر تألقا تشهد به الأعداد الكبيرة من العلماء الذين أنجبتهم المرية ، والتوسع العمراني الذي شهدته المرية في هذا العصر ، والمنشآت الجميلة التي أقيمت بوجه خاص في عهد بني صمادح .

ولقد وفق الباحث غاية التوفيق في تبويب البحث وتقسيم عناصره ، فخصص قسماً من الدراسة للتاريخ السياسي منذ قيام الميرية في عهد عبد الرحمن الناصر سنة ٢٤٤ هـ حتى دخولها في فلك دولة المرابطين في سنة ٤٨٤ هـ ، وخصص القسم الآخر لدراسة بعض مظاهر الحضارة ، واهتم في هذا القسم الأخير بإبراز الجانب العمراني والإنشائي من جهة ، والجانب الاقتصادي من جهة ثانية ، والجانب العلمي من جهة ثالثة ، والحق لقد بذل جهوداً مضمّنة مستهدفاً عرض صورة أقرب ما تكون إلى الوضوح لمدينة المرية الإسلامية حتى بداية عصر المرابطين سواء من حيث سرده للأحداث

التاريخية التي مرت بها المدينة ، أبرز من حيث تتبعه التطور العمراني الذي تعرضت له المدينة منذ قيامها ، وأهم الآثار الباقية من العصر موضوع الدراسة ، هذا إلى عرضه الرائع لمتومات الثروة الاقتصادية ، وتاريخه الدقيق للنهضة العلمية .

وبعد فيسرنى أن أقدم إلى القارئ العربي وإلى الباحثين في الدراسات الأندلسية أولى الثمرات العلمية التي قدمها الدكتور محمد أحمد أبو الفضل في هذا المجال ، وهو مجال بكر يحتاج إلى جهود ضخمة ومتضافره من المتخصصين ، والكتاب دراسة جادة وإضافة لها قيمتها في تاريخ الإسلام في الأندلس وتاريخ الحضارة الإسلامية عامة ، وأسأل الله تعالى أن تكون هذه الدراسة فاتحة إنتاج خصب في تاريخ الأندلس في العصر الإسلامي ، وأن يتابع الدكتور أبو الفضل بحوثه القيمة في هذا المجال والله الموفق .

الاسكندرية في ١٩ / ١٠ / ١٩٨١

دكتور السيد عبد العزيز سالم

أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة

بمكتبة الآداب جامعة الاسكندرية

مقدمة

أولاً : موضوع البحث ومنهج الدراسة

ثانياً : عرض لأهم مصادر البحث

أولاً : موضوع البحث ومنهج الدراسة

المرية ، مدينة اسلامية البناء محدثة ، أنشأها الخليفة عبد الرحمن الناصر في سنة ٣٤٢ هـ (٩٥٥ م) ، ولم يأل جهداً في تحسينها والاهتمام بشؤونها ، وقدر هذه المدينة الاندلسية أن تلعب دوراً هاماً في تاريخ الاندلس ، فقد كانت أعظم قواعد الاسطول الاندلسي في عصر الخلافة الأموية وعصر الطوائف ، كما أنها كانت المركز الأول للتجارة البحرية مع أقطار البحر المتوسط الغربي والشرقي في آن واحد كذلك لعبت المرية دوراً سياسياً وحضارياً هاماً في عصر الطوائف .

والواقع أن الذي دفعني إلى إختيار « تاريخ مدينة المرية الاسلامية حتى استيلاء المرابطين عليها » ، موضوعاً للبحث احساسى بخطورة الدور الذي كانت تؤديه هذه القاعدة البحرية الحربية والتجارية وأهميته في تاريخ الاندلس بوجه عام وتاريخ البحرية الإسلامية بوجه خاص باعتبارها باب الشرق ومنفذ تجاره البحرية مع أقطار العالم الاسلامي الشرقى وأقطار المغرب الإسلامي على السواء ، هذا بالإضافة إلى قلة ما كتب في هذا الموضوع ، الأمر الذي شجمني على اختياره والبحث فيه عسائى أتوصل إلى حقائق جديدة ، حقيقة ان الكتابات المباشرة في هذا الموضوع قليلة ، إذ أننا نجد ان أول من كتب موضوعاً متكاملًا عن مدينة المرية هو الميشتشرقي الاسباني لاسنار

ليوبولد وتوريس بلباس الذي اعد دراسة قيمة مركزة عن المريه في العصر الإسلامي بعنوان « Almeria Islamica » (١) . ولكن هذه الدراسة رغم جدتها واصالتها مقتضبه وتنقصها المادة التاريخية إذ افرد صاحبها معظم صفحات البحث للدراسة الاثرية . ويليه في قائمة الباحثين استاذى الدكتور السيد عبد العزيز سالم الذى خصص لتاريخ المريه مصنفًا قائمًا بذاته بعنوان « تاريخ مدينة المريه الاسلاميه قاعدة اسطول الاندلس » ، اشتمل على دراسة تاريخ المريه دراسة كامله ، مع رسم صورة متكامله عن حضارتها فى العصر الإسلامى ، أما غيرها من المحدثين فبحوثهم تنسم بأنها بحوث عامه غير مخصصه ، فكل ما كتبوه عن تاريخها وآثارها لا يعدو ابحاثًا قصيرة متفرقة . ويقتصر المستشرق الاسبانى دون ليوبولدو توريس بالباس قائمة هؤلاء الباحثين لكثرة دراساته عن المدق الاندلسية ، هذا غير ابحاث عديده متفرقة للمستشرق الهولندى رينهارت دوزى والمستشرق الفرنسى ليفى بروفنسال وغيرهم .

وبالإضافة إلى قلة الابحاث التى أجريت حولها أجتذبت هذه المدينة اهتمامى بآثارها الحربية والدينية الكثيرة وماضيها الحافل بالأحداث خاصة فى العصر الاموى وعصر الطوائف وهما العصران اللذان لمعت فيها المريه ، فرأيت ان أعد رسالتى عن تاريخ المريه وحضارتها لحقبة حددتها من قيام المدينة حتى دخول المرابطين الاندلس مع إبراز أهمية الدور الذى لعبته هذه المدينة فى تاريخ الاندلس .

(1) Tenes Balbas (Leopoldo) : Almeria Islamica. al-Andalus. Vol XXII 1957 .

ولقد وضعت منذ البداية هدفين أساسيين حاولت من خلال بحثي ان اصل اليهما أولهما ، إبراز دور المريه وأهميته في عصر الطوائف ، وثانيهما ، إجلاله الصورة الحضارية للمريه سواء على الصعيد الاقتصادي او الفنى او العلمى ، متبعاً في كل ذلك المنهج العلمى فى كتابتى لهذا البحث القائم على المقابلة بين النصوص وتحليلها وأستنباط النتائج والحقائق التى يمكننى ان ابني عاينها دعائم الرسالة ، ولتحقيق هذين الهدفين بذلت قصارى جهدى لاجلاء الصورة مستعيناً فى ذلك بعدد كبير من المصادر العربية التى تعرضت من قريب أو من بعيد لموضوع الدراسة ، ومعظمها لا يعدو بحوثنا تاريخية تسجل أحداثاً وحوليات تتضمن روايات مؤرخين لم تصل إلينا كتبهم كالشأن فى كتاب « الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة » لابن بسام الشنترينى ، الذى حوت كتاباته الأدبية مائة تاريخية هامة للمؤرخ الكبير ابن حيان وكان معاصراً للفترة التى يدور حولها موضوع الرسالة وعلى الاخص كتابه الكبير المفقود « المتين » .

ولقد قسمت البحث إلى بابين رئيسيين ، الأول : خصصته للتاريخ السياسى ويتضمن هذا الباب ثلاثة فصول ، افردت أولها ، لتأسيس مدينة المريه وأهميه موقعها ، تحدثت فيه عن تأسيس المدينة ، ثم عن جغرافيتها ، وسبب تسميتها بالمريه ، وارتباط تاريخ بناء المريه بمدينة بجانه ، مع عرض سريع لتصوير بجانه وتعميرها واتساع رقعتها بعد تولى البحريين زعامتها ، وأهم آثارها المعمارية إلى ان افل نجم بجانه وانتعشت المريه . ثم استعرضت السياسة البحرية للدولة وأهميه الرباطات على سواحل الأندلس وخاصة رباط المريه ، كذلك تكلمت عن اثر غارات النورمان على سواحل الأندلس ، وبداية تنظيم قود الأندلس البحرية إبتداء من عهد عبد الرحمن الباث ، وأهميه قاعدة المريه

البحرية ، واثار هذا الأسطول في الدفاع عن الأندلس ومظاهر اهتمام الحكم
المستنصر وهشام المؤيد بتدعيم قاعدة المرية واختتمت هذا الفصل بالحديث
عن قاعدة المرية البحرية في عصر الطوائف .

أما الفصل الثاني : فقد افردته لدراسة المرية في عهد خير ان وزهير العامريين
فقد ركزت فيه الحديث عن المرية كقاعده كوره ، وتعرضت لدراسة تقسيماها
الادارية ، ومسئوليات حكمائها في عصر الولاة الموفدين من قرطبه حاضره
الخلافه ، ثم أوردت ثبنا بعدد الولاة الذين تولوا حكم المرية وبجانه بعد ابن
رماحس حتى سنة ٤٠٠ هـ (١٠٠٩ م) ، ثم تكلمت بإيجاز عن بداية انهيار
الخلافه الأمويه وسقوط الدولة العامرية ، واشتعال نار الفتنة البربريه وقيام
دويلات الطوائف ، ثم عن أنتزاء خـيران الصقابي بالمريه ، مع التعريف
بالصقالبه، وإتحاذ خيران المريه قاعدته الاساسية واستيزاره لأبي جعفر أحمد
ابن عباس . ثم تحدثت عن سياسة خيران العامري الخارجية مستهلا ذلك بإيضاح
دوره في الأحداث السياسية بقرطبه منذ ان تحالف مع علي بن حمود ضد سليمان
المستعين ، ثم خلاف خيران مع علي بن حمود ومقتل الاخير وتولييه ابن القاسم
ابن حمود ومحاولته استمالة خيران وزهير العامريين اليه حينما بلغه قيام خيران
بتنصيب المرتضى خليفة بقرطبه ، وما كان من تخلى خيران عن نصره المرتضى
وخذلانه له حتى لقي الأخير مصرعه . ثم تحدثت عن تدخل خيران ومجاهد
العامريين في الأحداث السياسية بقرطبه مره ثانية ، وانتهيت من دراستي
بالتأكيد على ان سياسة المصلحة كانت المحرك الذي يوجه خيران العامري
صاحب المريه في كل تصرفاته ثم تكلمت عن دوره في شرق الأندلس
ومساهمته في ارتقاء عبد العزيز بن عبد الرحمن شنجول حكم شاطبه ثم عزه

على التخلص منه واضطرار عبد العزيز إلى الفرار إلى بلنسية سنة ٤١٢ هـ (١٠٢١ م) ، ثم تعرضت للحديث عن العلاقات القائمة بين خيران ومجاهد العامرين وتطرق إلى نية مجاهد في مهاجمة أملاك خيران بالمريه ، وقيام خيران بتنصيب محمد بن عبد الملك المظفر أحد أحفاد المنصور بن أبي عامر خليفة للاندلس وتلقيبه إياه بالمعتصم ، كما عرضت للأحوال المتأزمة بين خيران والخليفة المعتصم وفرار الأخير والتجائه إلى مجاهد العامري إلى أن انتهى المطاف به إلى حصن داره حيث توفي ، ثم تحدثت بعد ذلك عن علاقة خيران مع جيرانه البربر أصحاب غرناطة ثم عن سياسته الداخلية وازدهار المريه واتساع أملاكها في عهده واهتمامه بتحصين قصبتها وزيادته في جامعها وأسوارها وأبوابها ، ثم عن دوره في تشجيع الحركة الأدبية إلى وفاته . ثم انتقلت إلى الحديث عن زهير العامري وكيفية توليه حكم المريه ، ونزاعه مع مسلم الفتي القائم على حصن أوريولد ، ثم ناقشت رواية ابن الخطيب عن احتلال زهير لقرطبة في سنة ٤٢٥ هـ (١٠٣٤ م) وإقامته بها خمسة عشر شهراً ، وعن قيام زهير بتجديد بيعه الخليفة هشام المؤيد المشكوك في موته واقدامه على احضار شبيه بهشام سنة ٤٢٦ هـ وتمويله به زمناً ، ثم تحدثت عن العلاقات بين زهير وجاره حبوس بن ماكسن وقيام الأخير بقطاع علاقته مع زهير بسبب موالة زهير لمحمد ابن عبد الله البرزالي صاحب قرمونه في حربته لحبوس صاحب غرناطة ، ثم علاقة زهير بباديس بن حبوس وخروج الأول بجيشه إلى غرناطة والأحداث التي أعقبت ذلك إلى أن انتهى الأمر بمصرع زهير مع الإشارة إلى دور وزيره ابن عباس الفعال في توجيه الأحداث وتسييرها حتى قيام أهل المريه بأسناد ولاية المريه إلى شيخهم أبي بكر الرميحي ، ومكاتبتهم لعبد العزيز بن عبد الرحمن

بلنسية وحضور هذا الأخير إلى المرية ربما كان من أمر مجاهد العاسري صاحب
دانيه مع عبد العزيز واضطراره إلى مغادرة المرية والذهاب إلى بلنسية بعد أن
ترك على حكمها ابنه عبد الملك واستوزر له ذا الوزا تين ابا الأحوص معن بن
صمادح ، ثم استقلال معن بن صمادح بالمرية .

وخصصت الفصل الثالث للحديث عن المرية في ظل بني صمادح حتى استيلاء
المرابطين عليها ، مستهلا الكتابه فيه عن اصل بني صمادح وأولويتهم في
الأندلس وعن أستوزار عبد العزيز بن أبي عامر لمعن بن صمادح ، وانتزاع
معن بحكم المرية ، ثم تكلمت عن سياسة معن مع باديس صاحب غرناطة ،
ودور معن بن صمادح في أستفرار الأمور بالمرية حتى وفاته سنة ٤٤٣ هـ
(١٠٥١ م) ، ثم تحدثت عن ابنه وخليفته ابي يحيى محمد بن معن بن صمادح
الملقب بالمعتصم بالله ، الذي نصب واليا على المرية وهو حدث قاصر لم يبلغ
الرشد بعد ، والأثار التي ترتب على ذلك من مطامع لا حدود لها في السيطرة
على البلاد ، وثورات تحدثت في المدن التابعة للمرية كثورة ابن شبيب على
لورقه ، ومساندة المنصور بن عبد العزيز بن أبي عامر له ثم انتقلت بعد ذلك
إلى الحديث عن الحلف القائم بين مريه المعتصم وغرناطة باديس وما بذله
الأخير لحليفه من نصره وعون لمواجهة ثورة ابن شبيب ثم تحدثت عن حملة
المعتصم على احد حصون تدمير التابعة للمنصور بن عبد العزيز حليف ابن
شبيب ، كما ابرزت الدور الذي قام به ابن تفراله اليهودي وزير ابن باديس
في توتر العلاقات بين المرية وغرناطة وتذبذب هذه العلاقات
وبديه وعدائيه في حياة باديس وبعد وفاته إلى ان لجأ ابن
داحان قائد مدينة بسطه — من أعمال غرناطة — إلى المعتصم وسهل له مهمة
الاستيلاء عليها وعلى حصن شابش ، هذا بالإضافة إلى الدور الذي لعبه سماجه

وزير الأمير عبد الله في تجميع دوله الأخير عند المعتصم وتشجيعه إياه على انتزاع غرناطة وما كان من أمر التحصينات التي أعدها الأمير عبد الله لمواجهة خطر المريه ، ثم المهادنة والسلم بين المعتصم والأمير عبد الله ، ولم يفتنى ابن اتطرق إلى السياسة الداخليه للمعتصم فأشرت إلى أعمال المعتصم العمرانية ، وتألق الادب والفنون في عصره ، كما أشرت إلى مجالسه الادبيه . ثم انتقلت بعد ذلك إلى الحديث عن الوضع السياسى للاندلس عشية دخول المرابطين ، واسباب استدعاء المرابطين للجهاد في الاندلس والمحت بايجاز إلى موقعه الزلاقيه مع إبراز الدور الذى أسهمت به المريه . ثم تحدثت عن الجواز الثانى ليوسف بن تاشفين إلى الاندلس واسهامه فى محاصرة حصن لبيط واشترك المعتصم بنفسه فى هذه الحملة ، ثم عن الجواز الثالث لابن تاشفين وشروعه فى الاطاحة بملوك الطوائف إلى ان استولت قواته على المريه فى سنة ٤٨٤ هـ (١٠٩١ م) .

أما الباب الثانى من الرسالة ، فقد خصصته لدراسة أهم مظاهر الحضارة فى المريه . ويتضمن ثلثه فصول ، أولها يدور حول عمران المريه وطوره مع دراسة لأهم آثارها الباقية وقسمت هذه الآثار إلى : ١ — آثار حربية ، وتشتمل على دراسه القصبه واسوار المدينة وابوابها . ٢ — آثار مدنية ، وتتعلق بدراسة قصر الامارة والصنادحية وبقايا منزل عربى بالمريه إتخذته نموذجا لنظام الدور الاسلاميه فى العصر موضوع الدراسة . ٣ — آثار دينيه وتقتصر على دراسة بقايا المسجد الجامع ، ثم مقبرتين تقعان خارج أسوار بربرى المريه .

والفصل الثانى من هذا الباب ، يعالج الحياه الاقتصاديه فى المريه وهو

فهو موضوع واسع يتضمن جوانب اقتصادية متعددة أولها ما يتعلق بحاصلات
الافليم الزراعية وبعض الفنون الصناعية كصناعة النسيج والصناعات القائمة
على الرخام ، وأخيراً التجارة وما يتصل بها من دراسة الاسواق الخارجية
وطرق التجارة برياً وبحرياً .

وخصصت الفصل الثالث والأخير لدراسة الحركة العلمية بالمريه ،
فقدمت لهذا الفصل بحديث عام عن الحركة العلمية في الأندلس في عصر
الخلافة وعصر الطوائف كمدخل لتأريخ الحركة العلمية في
لمدينة المريه ، وفي هذه المقدمة القصيرة تحدثت عن الحياة
الأدبية في المريه وبرز ادبائها وشعرائها سواء من اهلها او من
وفدوا عليها ثم تكلمت عن تقدم العلوم اللغوية والدينية في المريه
وبروز عدد من علماء النحو واللغة والتفسير وعلم القراءات من اهل
المريه . وانتهيت بدراسة الجانب الجغرافي من هذه الحركة العلمية
وضمنته الحديث عن اشهر جغرافي هذه المدينة واعنى به احمد بن عمر بن
النس مع دراسة لمنهجه في كتابه « ترصيع الاخبار وتنويع الاثار والبستان
في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك » .

واختتمت الرسالة بخاتمة ضمنتها اهم النتائج التي توصلت إليها في
بحثي .

ولا ينوتنى بهذه المناسبة ان اقدم عظيم شكرى وامتنانى وتقديرى
لإستاذى الفاضل الدكتور السيد عبد العزيز سالم ، لما اولانى من رعاية
وتشجيع ، وما حبانى به من عطف ، وما قدمه لى من سديد النصيح والارشاد
كذلك اشكر لسيادته تلك الساعات الطوال التي لم يبخل بها على على الرغم
من كثرة مشاغله يعينني فيها على فهم نص غمض على تحقيقه ، او في ترجمة

٩

لص اسباني صعب على فهمه ، كما فتح لي سيادته باب مكتبته العاصرة واملثني
بما احتاجه منها ، وبمؤلفاته الخاصة فجزاه الله عن العلم وعني خير الجزاء .

والله ولي التوفيق

محمد احمد عبده ابو الفضل

الإسكندرية في ١٦ ذى القعدة ١٤٠١ هـ

١٤ سبتمبر ١٩٨١ م

ثانياً : عرض لأهم مصادر البحث

اعتمدت في بحثي على عدد من المصادر العربية المتخصصة في التاريخ والجغرافيه والادب . التراجع ، بعضها معاصر للاحداث كذكرات الامير عبد الله الزيرى وكتاب المقتبس لابن حيان وكتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار للعذري ، وبعضها الآخر متأخر عن العصر موضوع الدراسة ولكن مصنفها ضمنوا هذه التواليف نقولاً من مصادر كانت تعاصر الاحداث موضوع الرسالة ، ولكنها فقدت ، ومن هنا يمكننا ان نقدر قيمه العلميه لهذه المصادر . وفيما يلي عرض لأهم مصادر البحث :

أولاً : المصادر التاريخية :

- ١ - ابن حيان القرطبي (ابو مروان بن حيان بن خلف) ، ٣٧٧ - ٤٦٩ هـ ، ٩٧٧ - ١٠٧١ م) .

يعد من أعظم مؤرخى الإسلام ، وهو بلا جدال شيخ مؤرخى الاندلس بوجه عام ولهذا العصر بوجه خاص (١) ، انتظم ابو مروان فى سلك وظائف الدولة ، وشغل منصب « صاحب الشرطه » (٢) تم اسندت إليه مهمة « املاء الذكر فى ديوان السلطان » وهو العمل الذى يصرح ابن حيان بأنه كان يلىق بتجرفه (٣) .

(١) راجع البحث القيم الذى أعده الدكتور محمود على مكي فى مقدمة المقتبس لابن حيان القسم الخاص بعبد الرحمن الاوسط (من ص ٧ الى ص ١٢٧ ، القاهرة ١٣٩٠ هـ ، ١١٧١ م .

(٢) المقرئ (أحمد بن محمد) : فتح الطيب من ضمن الاندلس الرطيب ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، ج ٢ ، المكتبة التجارية الكبرى ، ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٩ م ص ١٠٢ .

(٣) ابن بسام (أبو الحسن على) : الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ، ق ١ ، م ٢ القاهرة ، ١٩٤٢ ، ص ١١٨ .

وقد صنف ابن حيان عدداً كبيراً من الكتب لا يقل عن خمسين^(١) ولكن للأسف لم يصل إلينا من هذه المؤلفات كلها إلا أجزاء يسيرة نذكر منها :

المقتبس في أخبار الأندلس : ويتناول تاريخ الأندلس منذ ان افتتحها طارق بن زياد إلى اواخر القرن الرابع الهجرى ، وقد اقتبس ابن حيان مادته من مصنفات قدامى مؤرخى الأندلس وعلى الاخص عيسى الرازى ، ولذلك أسماه ابن حيان المقتبس ، وللأسف لم يتبق من هذا الكتاب الضخم الذى كان يضم عشرة اجزاء^(٢) إلا خمس قطع منفصلة :

القطعة الاولى : وتتناول عصر الحكم الربضى وجزءاً من عصر عبد الرحمن الاوسط وكانت فى حوزة المستشرق الفرنسى ليفى بروفنسال الذى إنتفع منها فى ابحاثه ، ولكنها اختفت بعد وفاته^(٣) .

القطعة الثانية : تتناول الجزء الاخير من إمارة عبد الرحمن الاوسط ، والشرط الاعظم من إمارة ابنه محمد بن عبد الرحمن ، وقد نشر الدكتور محمود على مكي الجزء الخاص بعبد الرحمن الاوسط ، القاهرة ١٩٧١ .

القطعة الثالثة . وتعلق بعصر الامير عبد الله الاسوى ، نشرها الاب ملتشورانطونيا بالاسكوريال سنة ١٩٣٠ .

(١) ابن حيان : المصدر السابق ، ص ٥٤ من مقدمة المحقق .

(٢) بالنبيا ، أنخل جونثات : تاريخ الفكر الأندلسى ، ترجمة الدكتور حسين مؤنس ، الطبعة الاولى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٥ ، ص ٢٠٨ .

(٣) أحمد مختار العبادى : من التراث العربى الاسبانى نماذج لأهم المصادر العربية والحواليات الاسبانية التى تأثرت بها ، (عالم الفكر) ، المجلد الثامن ، العدد الاول ، أبريل مايو ، يونيو ١٩٧٧ ، ص ٤٨ .

القطعة الرابعة : تتناول عهد عبد الرحمن الناصر ، وما تزال مخطوطه .

القطعة الخامسة : تتناول خمس سنوات من عصر الحكم المستنصر ،

نشرها الدكتور عبد الرحمن الحجى ، بيروت سنة ١٩٦٥ .

هذا وقد اعتمدنا في دراستنا للفصل الاول من الباب الاول على القطع الثلاثة الاخيره ، فقد أمدتنا القطعة الثالثة بمعلومات وافيه عن مدينه بجانه ودور البحرين فيها وعلاقهم بسوار بن حمدون امير عرب غرناطه وخليفته ابن جودى ، هذا بالاضافه إلى اخبار الغزوه البحريه التى قام بها شنير قومس أنبورس بقطلونيه على المريه ، اما القطعة الرابعة فتضمنت رواية ابن حيان عن النشاط البحرى الاسلامى فى عصر عبد الرحمن الناصر لا سيما الغزوات التى قام بها الاسطول الاندلسى من قاعدة المريه البحريه فى عامى ٣٢١ هـ ، ٣٢٣ هـ ، ومن الجدير بالذكر ان ابن حيان انفرد وحده دون غيره من المؤرخين بذكرها ، أما القطعة الخامسة ، فتتضمن اخباراً تشير إلى اهتمام الحكم المستنصر بالمريه قاعدة اسطول الاندلس وقيامه بزيارتها وتفقد تحصيناتها الدفاعيه .

ولهذه القطع اهميه تاريخيه عظمى فقد ساعدت على سد ثغرات عميقه فى تاريخ الاندلس فى عصر الدولة الامويه ثم ان روايات ابن حيان تحظى بثقة المؤرخين لدقتها وصدقها (١) وحيدتها هذا إلى ما إتصف به صاحبها من قدره تحليليه صائبه (٢) ، وما تميز به اسلوبه التاريخى من بساطه وطاقه تعبيريه ، وبالإضافه إلى المقتبس ألف ابن حيان كتابه « المتين » ، وكان يقع فى ستين مجلداً ، والكتاب منقود ، ولم يتبق منه سوى فقرات رواها بعض من أتى من بعده من الكتاب كأبن بسام وابن الخطيب (٣) ، ومن هذه النقول يتبين

(١) بالانتيا : تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٢١١ .

(٢) أحمد مختار العبادى : من التراث العربى الاسبانى ، ص ٤٩ .

(٣) بالانتيا : المرجع السابق ، ص ٢١٠ .

لنا اهمية هذا الكتاب المفقود حيث انه يؤرخ لفترة هامة وحاسمة في تاريخ
الاندلس منذ اوائل القرن الخامس الهجري حتى قبيل وفاة المؤلف ، وهي
فترة حافلة بالاحداث .

٢ - ابن عذارى المراكشي ، (ت : في اواخر القرن السابع الهجري)

« البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب »

يعتبر هذا الكتاب اهم مصادر تاريخ المغرب والاندلس في العصر
الاسلامي ، تناول فيه هذا التاريخ منذ الفتح الاسلامي حتى اواخر القرن
السادس الهجري ، وقد اعتمد فيه على مصادر معربية واندلسية ترجع الى
القرنين الخامس والسادس الهجري اشار اليها ابن عذارى في مؤلفه منها
البكري وابن الرقيق والقضاعي ، وابن شرف وغيرهم (١)

ويقسم ابن عذارى « البيان المغرب » الى ثلاثة اجزاء ، الاول يشتمل
على اخبار افريقية منذ الفتح الاول في خلافة عثمان ، حتى ظهور المرابطين ،
والجزء الثاني خصصه لتاريخ الاندلس منذ الفتح الاسلامي حتى دخول
اللمتونين الاندلس في سنة ٤٧٨ هـ ، اما الجزء الثالث ، فيتضمن تاريخ دولتي
المرابطين والموحدين حتى انقراض دولة الموحدين وقيام الدول الوارثة لهم
في المغرب .

وقد اعتمدت في بحثي بوجه خاص على القسم الثالث من البيان (٢) ،
ويتضمن اخبارا هامة عن الدولة العاصمية ، والسنوات الاخيرة من عصر

(١) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، الدار القومية للطباعة والنشر

١٩٦٦ م ١٠١ .

(٢) ابن عذارى : كتاب البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، ج ٣ ،

تحقيق ليفي برودنسال ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان (بدون تاريخ) .

الخلافه واحداث التتمة البربريه التي عجاث بسقوط الخلافه وقيام دويلات الطوائف ، ورواية ابن عذارى عن الدور الذي لعبه خيران في احداث الخلافه بقرطبة وكذلك خليفته زهير العامري من الروايات الهامة التي عوات عليها في تأريخى لاحداث المربه قبيل انتزاء خيران العامري بها كذلك اعتمدت عليه فيما اوردته من روايات عن بنى صمادح بالمريه ، وهى روايات ساعدت كثيرا في اجلاء ماغض من احداث الفترة التي تلت انهيارالدولة العامريه وبخاصة انتزاء النتيان العامريين بشرق الاندلس واعانتنا كثيرا في دراسنا التاريخية للفهمين الثانى والثالث : ولاشك ان اهمية هذه الروايات - رغم ان مؤرخنا من مؤرخى القرن السابع الهجرى - ترجع الى استقانة هذه الاخبار و نقلها عن عدد من المصادر المغربية والاندلسية السابقة عليه .

٣ - ابن بلقين : مذكرات الامير عبد الله اخر ملوك بنى زيرى بغرناطة

(٤٦٩ - ٤٨٣ هـ ، ١٠٧٧ - ١٠٩٠ م) المسماه بكتاب التبيان .

يرتفع نسب الامير عبد الله بن بلقين اخر ملوك غرناطة في عصر الطوائف الى اسرة بنى زيرى الصنهاجية فجده هو باديس بن حبوس بن زيرى بن مناد الصنهاجى . ولد عبد الله فى سنة ٤٤٧ هـ (١٠٥٦ م) ، ونصب عقب وفاة ابن بلقين سيف الدولة سنة ٤٥٦ هـ (١٠٦٤ م) ، وليا لعهد جده الامير باديس بن حبوس ، وفى سنة ٤٦٩ هـ (١٠٧٧ م) اعتلى عرش غرناطة وظل يؤدى هذا الدور الى ان عزله المرابطون عن ملكة ونفوة بمدينة اشحات فى جنوب المغرب الاقصى ، حيث قضى بقيه عمرة (١) ، وفى اشحات دبرن لامير عبد الله مذكراته الخاصة التي تتضمن اخبارا تاريخية عن عصر ملوك الطوائف

(١) مذكرات الامير عبد الله ، نشره وتقيق ليقى بروفسال ، دار المعارف بمصر

بوجه عام على درجة كبيرة من الأهمية^(١) . وتعتبر هذه المذكرات وثيقة سيكولوجية من الطراز الأول، تساعد على الحكم على حالة الانحلال الاجتماعي والتفكك السياسي في الأندلس قبيل معركة الزلاقة وفي أعقابها بالإضافة إلى أنها تسد فراغا كبيرا في تاريخ الأندلس زمن الطوائف ابتداء من الفترة التي تنتهى فيها مؤامرات ابن حيان^(٢) كذلك تمدنا هذه المذكرات بكثير من المعلومات عن العلاقات السياسية بين المرقي المريبه وغرناطة ، علاوة على ما جاء بها من تصوير صادق لحالة دويلات الطوائف قبل وبعد معركة الزلاقة .

٤ - ابن الخطيب (لسان الدين) ، ٧١٣ - ٧٧٦ هـ / ١٣١٣ -

١٣٧٤ م ،

يعتبر ابن الخطيب آخر كاتب عظيم أنجبته الأندلس^(٣) ، فقد صنف عددا كبيرا من المصنفات ، نذكر منها ما اعتمدت عليه في دراستي :

« كتاب أعمال الاعاظم فيمن بويغ قبل الاحتلام من ملوك الاسلام ومايجر ذلك من شجون الكلام » .

وقد اعتمدت في بحثي بوجه خاص على القسم الثاني الخاص بالأندلس^(٤)

(١) أحمد مختار العبادي : من التراث العربي الإسباني ، ص ٥٦ .

(٢) مذكرات الأمير عبد الله ، ص ٩ من المقدمة .

(٣) بالنيابة : تاريخ الفكر الأندلسي ، ص ٢٥٩ ، راجع أيضا حول ترجمة ابن الخطيب المرحوم السابق من ص ٢٥٢ إلى ص ٢٥٧ ، السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، من ص ١٠٥ إلى ص ١٠٧ ، أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ، من ص ٣٦١ إلى ص ٣٦٨ ، وله أيضا ، من التراث العربي الإسباني ، (عالم الفكر) ، من ص ٦٥ إلى ص ٦٧ .

(٤) ابن الخطيب (لسان الدين) : أعمال الاملام ، (القسم الثاني) ، تحقيق

ليلى بروفنسال ، دار الكشوف ، طبعه بيروت ، ١٩٥٦ .

ويتضمن روايات هامة عن الدولة العامرية ، وأحداث الفتنة البربرية التي عجلت بسقوط الخلافة بقرطبة وقيام دويلات الطوائف ، وفيما أوردة من اخبار هامة عن خيران وزهير العامريين وبنى صمادح بالمريه ، ساعدت كثيرا في دراستنا التاريخية / كلا النصين الثاني والثالث .

ثانيا : كتب الجغرافية :

١ - العذري (احمد بن عمر بن انس) ٣٩٣ - ٤٧٨ هـ / ١٠٠٢ -

١٠٨٥ م ،

« ترصيع الاخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك

الى جميع الممالك »

مصدر جغرافي هام لاغناء عنه لاي باحث في تاريخ الاندلس ، ويتضمن الكتاب مجموعة من الاخبار المتعلقة بمدينة المريه في عصر الطوائف سدت فراغا كبيرا في الدراسة التاريخية التي اعدتها . والكتاب بالاضافة الى ذلك يحتوي مادة جغرافية علي قد كبير من الاهمية بالنسبة لطبوغرافية المريه وما يتعلق بثرواتها الزراعيه والصناعيه ، وقد تولى الدكتور عبد العزيز الالهواني تحقيق هذا الكتاب واصدره في مدريد عام ١٩٦٥ ، وهذا الجزء المنشور لا يتجاوز عشر حجم الكتاب على حد قول محققه^(١).

٢ - الادريسي (ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد المالك بن ادريس) ،

المعروف بالشريف الادريسي ، (٤٩٣ - ٥٦٤ هـ / ١٠٩٩ - ١١٦٩ م)

وهو حفيد ادريس الثاني الحموي امير مالقه ، ويبدو انه درس في قرطبه ،

(١) العذري (احمد بن عمر بن انس المعروف بأبن الهلائي) : ترصيع

الاخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك ،

تحقيق الدكتور عبد العزيز الالهواني ، مدريد ١٩٦٥ ، ص ١ من مقدمة المحقق .

وقام بأسفار كثيرة في العالم الإسلامي شرقيه وغربيه .
وكتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (١) يعتبر أعظم عمل جغرافي
عربي خاصة ما يتعلق ببلاد المغرب والأندلس ، والكتاب غنى بالمادة الجغرافية
والتاريخية التي سجلها المصنف كثرة لمشاهداته أثناء رحلاته ووصفه للمربة
يتضمن حقائق هامة تعيننا على تصور ما كان عليه عمرانها في عصر الخلافة
وعصر الطوائف ، وعلى الرغم من أن حديثه عن صناعات المربة وعلى الأخص
صناعة النسيج يتعلق بنشاطها الصناعي في عصر المرابطين إلا أنها اعتمدنا
عليه أيضاً في تصورنا للاوضاع الاقتصادية في المربة قبل عصر المرابطين .

٣ - الحميري (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم) ، ت ٨٦٦هـ / ١٤٦١م

« كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار » (٢)

على الرغم من أن الحميري من رجال القرن التاسع الهجري إلا أن كتابه
يعتبر من الركائز الهامة للباحثين في تاريخ الأندلس وحضارتها في العصر
الإسلامي (٣) . فهو إلى جانب كونه معجماً جغرافياً لمدن الأندلس ، يتضمن
معلومات تاريخية نقلها من مصادر قديمة ضاعت .

٤ - معجم البلدان لياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله) ، ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م

معجم جغرافي للعالم الإسلامي ، يمتاز باتساع مادته وغزارتها ، ويجمع بين

(١) الإدريسي (الشريف محمد) ، صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس

مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، نشره دي ثوية ودوزي ، لندن

١٨٦٦

(٢) الحميري (أبو عبد الله محمد بن عبد الله) : دفة جزيرة الأندلس منتخبة من

كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار ، نشرها إيلي بروكلمان ، القاهرة ١٩٣١ .

(٣) بالشتا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ص ٣١١ .

المادة التاريخية والأدبية والجغرافية ، وتظهر فيه معرفة مؤلفه الواسعة بالعالم الإسلامي من خلال تجاراته وأسفاره في انحاءه ، فلقد زار مصر والشام والعراق وفارس وبلاد العرب وبلاد ما وراء النهر بالإضافة إلى اعتماده على النقل من كتب التاريخ والجغرافية بأمانه ، مسنداً كل ما ينقله من مادة جغرافية إلى مصادرها الأصلية (١) . وقد اعتمدت عليه اعتماداً خاصاً في تحقيق بعض المواضع الأندلسية .

ثالثاً كتب الأدب والشعر :

١ - ابن بسام (أبو الحسن علي) ، ت ٥٤٢ هـ ١١٤٧ م .
من أهل الأدب ، صنف موسوعة أدبية تاريخية بعنوان « الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة » ، احتوت تراث القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) ، وتنحصر أهمية هذه الموسوعة في تاريخ الأندلس أنها تضمنت نصوص طويلة من كتاب المتن - وهو كتاب مفقود - لابن حيان ، بالإضافة إلى ما تضمنته هذه الموسوعة من تراجم أدبية لأهل هذا القرن . والكتاب ينقسم إلى أربعة أقسام على حسب الأقاليم الجغرافية الأندلسية ويتضمن كل قسم منها تاريخ هذا الأقليم وتراجم عن ملوكه وأمرائه وشعرائه .
والجدير بالذكر أنه ، فضلاً عما نقله ابن بسام من مادة قيمة للمؤرخ ابن حيان فإنه يقدم إلينا نبذاً تاريخية بقلمه ، تعطي صورة متكاملة للحياة الأدبية والاجتماعية علاوة على مجموعة حافلة من تراجم أمرائه وأعيانه ووزرائه وكتابه وشعرائه ومختارات عديدة من رسائلهم ، ومنثورهم ومنظومهم ، أفدت منها كثيراً وبخاصة فيما يتعلق بموضوع الحركة العلمية في المرب .

(١) السيد عبد العزيز سالم : التاريخ والمؤرخون العرب ، دار الكتاب العربي

٢ - ابن خاقان (أبو نصر الفتح محمد بن عبد الله القيسي) (١) ت ٥٣٥ هـ /

١١٤٠ م .

من أهل الأدب ، متمكناً من اللغة والقدرة على صياغة الكلام ، تميز أسلوبه بالثر المسجوع ، من أهم ما ألف كتابين من المختارات الأدبية والتاريخية وهما : « مطمح الأنفس ومسرح التأنس » ، « وقلائد العقيان ومحاسن الأعيان » .

يقدم لنا في كتابه « مطمح الأنفس ومسرح التأنس » تراجم لرجال بلاد الأندلس ، ويكرر في كتابه « قلائد العقيان ومحاسن الأعيان » بعض أجزائه من المطمح وينقسمه إلى أربعة أقسام : الأول « في محاسن الرؤساء وابتنائهم ودرج انموذجات من مستعذب ابتنائهم » ، والثاني « في غور حلية الوزراء وفقر للكتاب والبلغاء » ، والثالث « في لمع أعيان القضاة ولمع أعلام العلماء السراة » ، والرابع « في بدائع نبهاء الأدباء وروائع فحول الشعراء » . وتتميز كتابات ابن خاقان بالأسلوب المسجوع المتكلف ، وترجع أهميتها إلى أنها تتضمن معلومات تاريخية هامة هذا إلى قيمتها الأدبية العظيمة وعلى الأخص فيما يتعلق بالدراسة الأدبية لرجال هذا العصر .

٣ - المقرئ (أبا العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي العيش) ت ١٠٤١ هـ /

١٦٣١ م .

« نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب (٢) » .

(١) ينحدر أصله من قرية « صخرة الولد » على متربة من قلعة يهوب ، من أعمال غرناطة (راجع ، بالنبيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ص ٢١٦) .
(٢) المقرئ (أبو العباس أحمد بن محمد) : نفح الطيب من غصن الأندلس =

يعتبر هذا الكتاب من المصادر الأساسية في تاريخ الأندلس والمغرب ،
وتنحصر أهميته لما تضمنه من روايات هامة لمؤلفات سابقة ضاع معظمها وعلي
سبيل المثال ، كتاب « مزية المريه ، على غيرها من البلاد الأندلسية » لأبي
جعفر بن خاتمه ضم تاريخاً حافلاً وقد صرح المقرئ بأنه تركه ضمن كتبه
بالمغرب (١) . وهذه الروايات أوردها المقرئ في موسوعته في غير نظام ، ولكن
في دقة وضبط حسن (٢) .

وقد استفدت كثيراً من هذا الكتاب فيما أورده من روايات عن نشاط
حراكه بناء المدن الإسلامية وكذلك عن اهتمام الخليفة الناصر وحبّه للبناء
والتشييد ، علاوة على ما تضمنته من أخبار عن الأعوام التي سبقت انهيار
الخلافه الأموية ، يضاف إلى ذلك ما أورده من أخبار عن الصقالبه وأماكن
استجلابهم ، هذا إلى معلومات عن حالة الأندلس قبيل دخول المرابطين ، أعانني
كثيراً في دراستي للقسم التاريخي من الرسالة وإلى جانب هذا كله يضم تراجم
عديدة لبعض شعراء وشاعرات المريه وأدبائها ساعدتني بقدر كبير في دراستي
للحركة العلمية في المريه .

رابعاً : كتب التراجم :

كما اعتمدت على كتب التراجم الأندلسية ومن بينها :
تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي (٣) ، كتاب الصلح

= الرطب ، تحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد ، عشرة أجزاء ، المكتبة التجارية ،
القاهرة ١٩٤٩ .

(١) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ١٥٤ .

(٢) بالنتيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ص ٥٣ .

(٣) ابن الفرضي (أبو الوليد ، عبد الله بن محمد) تاريخ علماء الأندلس ، =

لابن بشكوال (١) ، كتاب التكملة لكتاب الصلة لابن البار (٢) ، وكتاب المعجم في أصحاب أبي علي الصدي في لابن البار (٣) ، وكتاب الحلة السيرة لابن البار (٤) ، أفدت منها كثيراً إذ تلقى ضوءاً كافياً على حياة شخصيات علميه جليله لعبت دوراً كبيراً في تنشيط الحركة الفكرية في الأندلس بوجه عام والمريه على وجه الخصوص .

خامساً : كتب الرحلات :

ابن سعيد المغربي (أبو الحسن علي بن موسى) ، ت ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م .
« المغرب في حلى المغرب » (٥) .

وهذا المؤلف ضاع معظمه ولم يبق منه سوى أجزاء بسيطة تضمنت تراجم لبعض الشخصيات البارزة في الأندلس من العصر الأموي حتى نهاية عصر الموحدين أعانتني في دراستي لبعض الشخصيات الهامة في المريه ومنها على سبيل المثال شخصية الوزير الأديب أحمد بن عباس وغيره .

== نشر كوديرم الدار المصرية للتأليف والترجمة ، مصر ، ١٩٦٦ .

(١) ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن عبد الملك) : كتاب الصلة في تاريخ أئمة الاندلس جزئين ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٩ .

(٢) ابن البار (أبو عبد الله محمد القاضي) التكملة لكتاب الصلة ، جزئين مطبعة السمادة بمصر ، ١٩٥٥ ، ١٩٥٦ .

(٣) ابن البار (أبو عبد الله محمد القاضي) : المعجم من أصحاب القاضي الامام أبي عبد الله الصدي ، دار المكاتب العربي ، القاهرة ، ١٩٦٧ .

(٤) ابن البار (أبو عبد الله محمد القاضي) الحلة السيرة ، تحقيق الدكتور حسين مؤنس الطبعة الاولى ، جزئين ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٣ .

(٥) ابن سعيد المغربي (علي بن موسى) : المغرب في حلى المغرب ، جزاءان ، تحقيق الدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٥٣ ، ١٩٥٥ .



1

2

3

4

الباب الأول

التاريخ السياسي

الفصل الأول

تأسيس مدينة المريه وأهمية موقعها

شُهِدَت الأندلس في العصر الأموي نشاطاً واضحاً سجلته أمراء هذه الدولة وخلفاؤها الذين كانوا يحرصون على إحاطة دولتهم بكل مظاهر الترف والفخامة أحياء حضارتهم في المشرق ، ولهذا السبب انطلق أمويو الأندلس بكل طاقاتهم الى تشجيع البناء وتعمير المدن (١) .

وأول من نشط في هذا المجال من الأمراء الأمويين بالأندلس الأمير عبد الرحمن الداخل (١٣٨ - ١٧٢ هـ / ٧٥٦ - ٧٨٨ م) ، مؤسس الدولة وذلك عندما أقدم على إنشاء مدينة الرصافة التي اعتبرت ربضاً شمالياً لقرطبة أحياءً لذكرى رصافه هشام بـرض الشام (٢) ، ويليه في هذا المضمار الأمير عبد الرحمن بن الحكم بن هشام (٢٠٦ - ٢٣٨ هـ / ٨٢١ - ٨٥٢ م) الذي ينسب إليه ببناء مدينة مرسية (٣) . وفي عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط (٢٣٨ -

(١) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، بيروت ،

١٩٦٢ ص ١٠٤ .

(٢) المقرئ (أحمد بن محمد) : نفح الطيب من غصن أندلس الرطيب ، تحقيق محيي الدين عبد الحميد ، ج ٢ ، المكتبة التجارية ، القاهرة ، ١٩٤٩ ، ص ١٤ ، وأنظر أيضاً ، السيد عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس ، ج ١ ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧١ ، ص ٤٩ ، أحمد مختار العبادي ، في تاريخ المغرب والأندلس مؤسسة الثقافة الجامعية بالاسكندرية ، ١٩٧٤ ، ص ١١٣ .

(٣) ابن سعيد / علي بن موسى المغربي : المغرب في حلي المغرب ، تحقيق شوقي ضيف ج ١ ، دار المعارف بمصر ، ١٩٥٣ ، ص ٤٨ ، الجبري (أبو عبد الله محمد بن =

٢٧٢ هـ / ٨٥٢ - ٨٨٥ م) ، أسست مدينة بجانة ^(١) وبطليوس ^(٢) .
أما مدينة المرية موضوع هذا البحث فقد كان انشاؤها من أجل مآثر
الخليفة عبد الرحمن بن محمد الناصر لدين الله ، فقد أمر ببنائها في عام ٣٤٤ هـ
(٩٥٥ م) ^(٣) ، لتكون مرقبا للساحل الجنوبي الشرقي للاندلس وقاعدة
بحرية رئيسية للأسطول الأموي ، وكان الناصر أكثر خلفاء بني أمية ولاءً
بالبناء والتشييد ^(٤) ، إذ كان يربط بين البنيان والعظمة والسطوة والسلطان ^(٥)
ولهذا فإن مدينة المرية تدخل في نطاق المدن الحديثة ^(٦) . وسوف نهتم
في هذا الفصل بدراسة الخصائص الجغرافية لمدينة المرية ثم تأسيس مدينة بجانة

= عبد الله) : كتاب الروض المطار في خبر الاقطار تحقيق ليفي بروفندال ، مطبعة لجنة
التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٢٧ ، ص ١٨١ .

(١) ابن سعيد : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٩٠ .

(٢) ابن القوطية (أبو بكر محمد بن عمر القرطبي) ، تاريخ أفتتاح الاندلس
تحقيق خوليان ريبيرا ، مدريد ١٩٢٦ ، ص ١٠ .

(٣) الحميري : الروض المطار ، ص ١٨٣ .

(٤) المقرئ : فتح الطيب ، ج ١ ، ص ٣٢٧ .

(٥) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ١٠٠ ، وينسبون الى الخليفة عبد الرحمن الناصر
هذه الايات :

همم الملوك اذا أرادوا ذكرها من بعدم فبالسن البنيات

اث البناء اذا تعاظم قدره أضفى يدل على عظيم الشأن

(المقرئ ، نفس المصدر والجزء ، ص ٦٢) .

(٦) ابن حوقل (أبو القاسم) ، كتاب صورة الارض ، دار مكتبة الحياة ،

بيروت (بدون تاريخ) ، ص ٤٤ .

واثرة في قيام المريه ، ونختم الفصل بدراسة عن المريه كقاعدة بحرية لاسطول
الاندلس في البحر المتوسط .

اولا : الخصائص الجغرافية لمدينة المريه

الموقع :

تقع المريه - كما يحدد الجغرافيون القدماء بين - مدينتي مالقه ومرسيه ، على
« احل بحر الزقاق »^(١) ، وكانت تشغل نفس الموقع الذي تقوم عليه مدينة
المريه الحالية وفي البقعة المعروفة باسمها من السهل الرسوبي الممتد ما بين
البحر وسلاسل الجبال الملاصقة لسلسلة جبال جادور^(٢) « Sierra de Gador »
ويحدها من الشرق فحوص مثلث الشكل وارض منبسطة في امتداد متصل
يبلغ ثمانية ايامال تقريبا شرقي المريه بين سلسلة جبال رأس القبطه في الجنوب
الشرقي من المريه وجبل الحمة في الشمال الشرقي منها^(٣) .
وهكذا تحوط المريه مرتفعات وجبال من كل جهة باستثناء الجهة الجنوبية
والتي هي اشرقى ، ويسهل اثري في الدربى هذه الحقيقة في قوله :

(١) ابو الفدا / عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر : تقويم البلدان ، تحقيق
دي سلان De slane ، باريس ، ١٨٤٠ ، ص ١٧٦ وما يليها .

(٢) Enciclopedia de la cultura Espanola, tomo I, Madrid. (٢)
1963, P. 248.

Torres Balbas (Leopoldo : Almería Islamica, El Andalus, (٣)
Vol XXII, 1957, pp. 411 - 412.

وانظر أيضا : السيد عبدالعزيز سالم ، تاريخ مدينة المريه الاسلاميه
قاعدة أسطول الاندلس ، الطبعة الأولى ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٦٩ ، ص

« وموضع المريه من كل جهه استدارت به صخور مكدسة ، واحجار صلبة مخرسة ، لا راب عليها ، كما تما غرابت ارضها من التراب ، وقصد موضعها بالحجر » (١) ، والى الشمال الغربى من المريه وعلى بعد نحو ثلثمائة وخمسين مترا من الساحل تدرج الارض فى الارتفاع طولا بجذاء الساحل ، وعلى هذا النشز المرتفع تقوم قصبة المريه فى الوقت الحاضر : على ارتفاع يصل الى ستمائة وخمسين مترا فوق مستوى سطح البحر ، وتكتنف هذا النشز أجراف شديدة الانحدار (٢) ، وينحدر من جانبيه المتطرفين الشرقى والغربى واديان صغيران يسميان رامبلان « R mblas » ، والتسمية مشتقة - كما هو واضح - من كلمة « رملة » والسبب فى تلك التسمية يرجع ان مجرى كل من هذين الواديين اراض رملية رخوة ، ويفصل هذا المرتفع عن الجبل الشمالى الذى يمثله فى الارتفاع والامتداد أخدود عميق فسيح كان يعرف بأسم خندق « باب موني » وكان خندقاً معموراً فى القرن الخامس والنصف الأول من القرن السادس الهجرى ، ويصف الإدريسى هذا الموضع بقوله : « والمريه فى ذاتها جبلان وبينهما خندق معمر ، وعلى الجبل الواحد قصبتها المشهورة الحصانة والجبل الثانى منها فيه ربضها ويسمى جبل لاهم » (٣) .

وكان لموقع المريه الرائع فى جنوب شرقى الاندلس وعلى خليج واسع

(١) الإدريسى (الشريف أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز) : صفة المغرب وارض السودان ومصر ، والاندلس ، مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الالهق ، تحقيق دى غويه ودوزى ، لندن ، ١٨٦٤ ، ص ١٩٨ .

(٢) السيد عبد العزيز سالم : المرحع السابق ، ص ١٥ .

(٣) الإدريسى : صفة المغرب ، ص ١٩٧ ، وراجع أيضاً ، الجبرى ، الروض

عميق يحميها من الرياح أعظم الاثر فيما حظيت به من شهرة تجارية تجاوزت
الافاق بحيث أصبحت بحق باب الشرق ومفتاح الرزق (١) .

المناخ :

ويسود المريه مناخ معتدل يسوده الجفاف ، فهي تتمتع دائماً بحرارة معتدلة
وسماء صحو أغلب أيام السنة ، والامطار تكاد تكون شحيحة في فصل
الشتاء (٢) ، ومع هذا فلا تصلح المريه لأن تكون مشق من المشاق الجيدة
نظراً لتعرضها للرياح الشرقية الجافة المحملة بغبار ابيض ذى طبيعة ملحية
بسبب الصخور الملحية المحيطة بها (٣) ، وندرة تعرضها للرياح الغربية
الملطفة .

وقد ساعد على جفاف المريه ان شعاب الجبال التي شقتها السيول في اتجاه
البحر عميقة ، ولهذا قلما تحتفظ بمياه الامطار لجريانها السريع نحو البحر (٤) .

ثانياً : تأسيس مدينة بجانه واثاره في قيام المريه

تقوم المريه الاسلامية في موضع كانت تشغله بؤرة عمرانية قديمة ، اسسها
الفينيقيون عرفت باسم باستولس Bastulos ، خضعت بعد ذلك لحكم
القرطاجنيين والرومان ، ونظراً لموقعها الجغرافي الممتاز اطلق عليها الرومان

(١) ابو الفدا : تقويم البلدان ص ١٧٧ .

(٢) يوسف ابن الخطيب (لسان الدين) : مشاهدات لسان الدين بن الخطيب
في بلاد المغرب والاندلس (مجموعة رسائله) تحقيق أحمد مختار العبادي ، مطبعة جامعة
الاسكندرية ، ١٩٥٨ ، ص ٨٢ ، وندرة هذه الامطار بقوله : (ونماؤها (أى المريه)
بخيله ، وبروقها لا تصدق منها بخيلة) .

(٣) Enciclopedia de la cultura, Tomo I. p. 28

(٤) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المريه ، ص ١٤ .

اسم بورتس ماجنس أو الميناء الكبير « Tortus Magrus » ، كما سميت باسم
برخيتانس Virgita.us ، ولعل ذلك لقربها من برجه Virgi Berja ،^(١)
ولما كان موقع مدينة المربة القديم أرضاً صخرية جرداء ذات طبيعة جافة
لا تساعد على قيام تجمعات سكانية ، فقد اقتضى الأمر إنشاء مدينة في السهل
المتوسط الواقع شمالها ويشقه نهر اندرش ، وعلى هذا النحو أسس الرومان
مدينه بجانة الرومانية - في الطريق الممتد ما بين قسطلونه « Cazlona » ، ومالقه
Nalaga ، وعرف المركز العمراني الروماني باسم اورسي « Urci » وهو اسم
ذكره بطليموس^(٢) .

ثم اتخذ الموقع في عصر الامارة الأموية وعلى الاخص في عصر الأمير
عبد الرحمن الأوسط محرساً بحرياً استناداً إلى قول الحميري : « وتخذها العرب
مرأى ، وابتغيت بها محارس »^(٣) . فكانت مرأى ومرقبا بحرياً لمدينة

Enciclopedia. Op. cit , P 24٠.

(١)

(٢) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المربة ، ص ١٩ .

(٣) الحميري : الروض المطار ، ص ١٨٣ ، وذكر ياقوت الحموي : « والمربة
بالفتح ثم الكسر وتشديد الياء بنقطتين من تحتها ، يجوز أن يكون من مري الدم
يمر إذا جرى والمرأة سريّة ، ويجوز أن يكون من الشيء المرى فحذفوا الهمزة
(راجع : ياقوت الحميري (شهاب الدين أبي عبد الله) : معجم البلدان ، المجلد الخامس
دار صادر بيروت ، ١٩٥٧ ، ص ١١٩) ، ويعتقد الأستاذ محمد العاصي أن اسم المربة
معناه المرأة الصغيرة ، (الاعلام الجغرافية الاندلسية ، مجلة البنية ، العدد ٣ ، يواو
١٩٦٢ ، ص ٣٢) ، بينما يرى المستشرق دوزي أن اسم المربة لم يكن علماً في الأصل
بل صفة لبرج يكون مشرفاً على البحر وتراه السفن من بعيد ، وعلى هذا أفترض أن اسم
المربة من فعل رأى فيقولون للشيء هو مرء وهي مربة » =

بجانه التي لا تبعد عنها من جهة الشمال بأكثر من خمسة أميال وسدس الميل ، وعلى طريق العقبة ستة أميال (١) . ولذلك سميت بمرية بجانه - مثلما أطلق الاسم على « مرية بلش » وهي بلدة بالأندلس من أعمال ريه على ضفة النهر ، كانت مرسى يركب منه في البحر إلى بلاد البربر في العدو من البر الأعظم (٢) ، ثم تحولت مرية بجانه إلى المرية بعد أن أمر الخليفة عبد الرحمن الناصر ببنائها ٣٤٤ هـ (٩٥٥ م) (٣) .

ويتضح مما سبق أن تاريخ بناء المرية ارتبط ارتباطاً وثيقاً بمدينة بجانه ، لأنها كانت في الأصل فرضتها ومريتها ومحرسها .

وبجانه مدينة محدثة أيضاً ، اختطت في عصر الدولة الأموية على أصول قديمة لقرية في نفس مكانها كانت تعرف باسم Fundus Baianus (٤) ، أمر

Dozy «R» : Supplement aux dictionnaires arabes, t. I paris 1927, p 498b.

ويرجع الاستاذ الدكتور أحمد مختار العبادي أن هذه الصفة أطلقت أيضاً على مدينة الاسكندرية التي عبر عنها الـثل النعبي بعبارة « اسكندرية مرية » ، (ابن الخطيب (لسان الدين) : أعمال الاعلام ، القسم الثالث ، تحقيق الدكتور أحمد مختار العبادي والاستاذ محمد ابراهيم الكتاني ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، ١٩٦٤ ، ص ١٧٢ ، ٢٥) .

(١) العنري (أبو العباس أحمد بن عمر بن أنس المعروف بابن الدلائى) : نصوص من الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك ، تحقيق عبد العزيز الـهوانى ، مدريد ١٩٦٥ ، ص ٨٦ .

(٢) ياقوت الحموى ، المصدر السابق ، المجلد الخامس ، ص ١٢٠ .

(٣) أنظر ما فات من قبل ، ص ٢٦ .

(٤) Torres Balbas, America Islamica. P. 416., (٤)

وراجع أيضاً ، سالم : تاريخ مدينة المرية ، ص ١٩ .

بتأسيسها الأمير عبد الرحمن الأوسط (١) ، وعهد بينائها لابن اسود (٢) . وكان الهدف من انشاء مدينة بجانه ، حماية الساحل الجنوبي الشرقي من الاندلس بتوطين بعض الاسرات العربية فيها ، فأُنزل امراء الامويين جماعة من العرب هم بنو سراج القضاعيون ، « وجعلوا إليهم حراسة ما يليهم من البحر وحفظ الساحل ، فكان ما ضمنوا من مرسى كذا إلى مرسى كذا يسمى ارش اليمن ، اى عطيتهم : نجلتهم » (٣) ، وقد كانت بجانه اشرف قرى ارش اليمن ودار سكى ملكهم (فى موضع مدينة بجانه اليوم) ، مما جعل المستشرق الاسباني توريس بالباس يؤكّد ان ارش كلمة معربة من ارسى Urci وهى المركز العمرانى القديم لمدينة بجانه (٤) ، بينما يرى الاستاذ الدكتور حسين مؤنس ان لفظ Urci موضع قديم فى اقليم ارش اليمن (٥) . وكيفما كان الامر ، فان مدينة بجانه حين انشائها كانت تتكون من حارات متفرقة ، فهى تقع على الضفة اليسرى من نهر اندرش المعروف بوادى بجانه ، وكان يتفرع من هذا النهر جدولان يشقان الارباح الشمالية ويتجاوزانها إلى الارباح القبلية (٦) .

ومن الجدير بالذكر ان بنى سراج القضاعيين كانوا يقومون بحراسة

(١) انظر ما فات هنا من قبل ، ص ٢٥

(٢) ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ ، ص ١٩٠

(٣) الحميرى : الروض المطار ، ص ٣٧ .

(٤) Torres Balbas: op. cit., P. 418.

(٥) حسين مؤنس : فجر الاندلس ، دراسة فى تاريخ الاندلس من العتج الاسلامى الى قيام الدولة الاموية « ٧١٩ - ٧٥٦ م » ، الطبعة الاولى ، القاهرة ١٩٥٩ ، ص ٤١

(٦) الحميرى : الروض المطار ، ص ٣٨ .

ما يلبثهم من البحر ، ويحفظون الساحل ، وشيدوا لهذا الغرض برجاً للمراقبة والحراسة بالقرب من مصب وادي بجانة ، فوق الجبل الذي تقوم عليه قصبة المريه في الوقت الحاضر ، باعتبار ان هذا الجبل المرتفع من اصلح المواقع لهذا الغرض ، وسموا موضع المحرس باسم « مريه بجانة » ، ونحذا العرب رباطاً ، وابتنيت فيها محارس ، كما ان الناس ينتجعونها ويرابطون فيها ولا عمارة فيها يؤمئذ ولا سكنى^(١) ، وذلك عندما قام النورمانديون بالأغارة على السواحل الاندلسيه والمغربيه في عام ٢١٥ هـ (٨٢٩ م) .

وفي عام ٢٧١ هـ (٨٨٤ م) نزل بمر به بجانة - وكانت تحت سيطرة بنى سراج القضايعين - جماعة من البحريين الاندلسيين على رأسهم الكركرى وأبو عايشة والصنفر وصهيب ، كانوا بادىء ذي بدء يميرون بسفنهم ما بين الساحل الجنوبي الشرقي للاندلس وساحل مدينة تنس الحديثه بافريقية ، وهم الذين اسسوا هذه المدينه الافريقيه في عام ٢٦٠ هـ (٨٧٥ م) ، وسكنها فريقان من أهل الاندلس من أهل البيره وتدمير ، ثم انتقل بربر ذلك الاقليم إلى سكنها ورغبوا في الانتقال إلى قلعة تنس وأستأذنوا البحريين أن يتخذوها سوقاً ودار سكنى نظير تقديم المعونة وحسن المجاورة والعشرة فأجابهم البحريون إلى ذلك ، وانتقلوا إلى القلعة ، ويذكر البكرى بانه « لما دخل عليهم الربيع اعتلوا واستوبوا الموضع ، فركب البحريون من أهل الاندلس مراكبهم ، وظهروا لمن بقي منهم انهم يمتارون ، فجيئذ نزلوا حربه بجانه ، وتغلبوا عليها^(٢) .

(١) العزرى : ترصيع الأخبار ، ص ٨٦ .

(٢) البكرى « أبو عبيد الله بن عبد العزيز » : المغرب في ذكر بلاد افريقية

والمغرب ، نشر دى سلان ، الطبعة الثانيه ، باريس ، ١٩١١ ، ص ٦١ .

وهذا الحديث ينقلنا إلى التعرض لبدء ظهور البحريين في الاندلس . فقد كان معظم هؤلاء البحريين الاندلسيين من أصول اسبانية واقبلهم عرباً وبربراً^(١) ، توفرت لديهم خبرات بحرية لا حد لها توارثوها جيلاً بعد جيل ولحمة أثر لحمة ، وعمد هؤلاء البحريون إلى تأسيس قواعد لهم على طول الساحل السالمى الشرقى ما بين طرطوشه وبلنسية شمالاً والساحل الجنوبى الشرقى عند الموضع الذى قامت عليه مريّة بجانة بعد ذلك جنوباً ، وتزعمهم امير مرقسطه^(٢) ، ومضوا يشتغلون لحسابهم الخاص .

وكان هؤلاء البحريون ينزلون مرسى أشكوبرس Escombreras الواقع فى خليج قرطاجنة الخلفاء ، وقبل ان يستقر بهم المقام فى مريّة بجانة^(٣) . وعلى الرغم من قيام هؤلاء البحريين احياناً بنقل بعض السلع التى ينتجها الاندلس إلى المغرب ووسق سفنهم من ساع المغرب ، فان عمالهم الاعظم الذى انصرفوا له كان يستهدف الجهاد البحرى ، فكانوا يغزون السواحل

(١) Levi-provencl (E) : Histoire de L'Espagne Musulmane, (١)

T 1, Paris, Leiden, 1950, P. 249.

وأنظر أيضاً سالم « بالاشتراك مع أحمد مختار العبادى » فى ، تاريخ البحرية الاسلامية فى المغرب والاندلس ، بيروت ، ١٩٦٩ ، ص ١٥٢ .

(٢) لويس « ارشيدالد » القسوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ،

ترجمة أحمد محمد هيسى ، مراجعة وتقديم محمد شفيق غربال ، مكتبة النهضة العربية القاهرة ، ١٩٦٠ ص ٢٢٩ ، وأنظر أيضاً السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ الاسكندرية وحضارتها فى العصر الاسلامى ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، ١٩٦٩ ، ص ١٣٥ .

(٣) البكرى المصدر السابق ، ص ٨١ .

الكاروانجية بوجه خاص مستغلين في ذلك تفكك قوى الكاروانجيين البحرية في أواخر أيام لويس التقي ، واضمحلال نفوذهم على شمال إيطاليا منذ النصف الأول من القرن الثالث الهجري (منتصف القرن التاسع الميلادي) (١) .

ويرجع بداية اشتغال البحريين الانداسيين بغزو السواحل الكاروانجية ونهبها أو ما يسمية الغرييون تعصبا ضد العرب بالقرصنة (٢) . على سواحل إيطاليا وفرنسا الجنوبية وجزر البحر المتوسط مثل صقلية واقريطش الى أيام الحكم الرضى . ولكن ينبغي ان نشير هنا الى ان اعمال هؤلاء الغزاة لم تكن تتم بموافقة رسميه من حكومة قرطبه (٣) وقد بدأت غاراتهم في عام

(١) ارشيبالد لويس : القوى البحرية ، ص ٢٢٩ .

(٢) « قرصنة العرب » ، عبارة خاطئة ينبغي أن تصحح وقد وقع فيها معظم المؤرخين الأوربيين عن قصد ، واصرارهم عليها لا يخلو من روح التعصب ، مع ان المعروف ان العرب لم يكونوا في يوم من الأيام قرصنة وانما كانوا مجاهدين في البحر ، وانما الذي حدث هو ان القرصان انتشروا في حوض البحر المتوسط الشرق والغرب عقب اضمحلال الدول الإسلامية وعجزها عن السيطرة على البحار منذ بداية القرن الخامس « الحادي عشر الميلادي » ، وكانت جماعات القرصان تتكون من جنسيات مختلفة ، فكانت فيهم اعداد عظيمة من اهل إيطاليا والبلقان وجنوبي فرنسا والمغرب وربما كان المغاربة أقل عدداً من غيرهم ، ولكن البابوية عممت القرصنة على البحريين المسلمين عرباً أو مغاربة لكي تلهب مشاعر الضغط عليهم ، (بينز « نورمان ») الامبراطورية البيزنطية تعريب حسين مؤنس ومحمود يوسف زايد ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٠ ، ص ٣٦٨ ، ١٥ .

(٣) Lévi-povencal : Histoire, T. 1, P. 244.

وأنظر أيضاً ، سالمى ، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس ، ص ١٥١-١٥٢

١٨١ هـ (٧٩٨ م) على جزر البليار التي يبدو انها تخلت انذاك عن تحالفها القديم مع بيزنطة ، والتمست حماية الكاروانجين . وفي السنة من ١٨٩ هـ - ٢٠٠ هـ (٨٠٦ - ٨١٥ م) ، قاموا بهجمات بحرية منظمه على قورشقه والسواحل الكروانجية ما بين مصبي نهر التير ونهر الرون ، وفي عام ١٩٨ هـ (٨١٣ م) شنت قوة بحرية اندلسيه هجوما عنيفا على نيقية (نيس) وشفيثافكيا « Civita Vecchia » وقورشقه ، الا انها تعرضت اثناء قتلها من الغزو بالقرب من ميورقة لهجوم مفاجيء شنه عليها اسطول فرنجي كان يطاردها بقيادة كونت امبورياس وتمكن الفرنجة من استعادة خمسائه اسير قورشقى ، كان قد اسره المسلمون في غزوات سابقة (١) . وفي عام ٢٠٠ هـ (٨١٥ م) تعرضت جزر البليار الواقعه تحت حماية الفرنجة وتنداك لغارة بحرية اسلامية (٢) وواصل المسلمون توجيه ضرباتهم لهذه الجزر الى ان قبلت في النهاية ان تدخل في فلك الدولة الامويه في سنة ٢٣٤ هـ (٨٤٨ م) ، وتعهدت بعدم التعرض لسفن المسلمين وقد ترتب على ضعف سلطان الكاروانجين على طول الساحل الفرنسي الجنوبي ان تجرأ مغامرو المسلمين على اتخاذ قاعدة لهم شبه دائمه هناك تتمثل في جزيرة كامرج « Camargue » عند مصب نهر الرون وقد نجحوا في التوغل من هذه القاعدة الى الداخل حتى بلغوا آرل عام ٢٤٦ هـ (٨٦٠ م) ، وبما استمرت اقامتهم بصفه شبه دائمه بعيدا عن الساحل عند

(١) ارشيبالد لويس : القوى البحرية ، ص ١٦٢ وما يليها ، وأنظر أيضاً ، الأمير شكيب أرسلان ، تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط ، مصر ١٢٥٢ هـ ، ص ١٤٠ ، و « شفيثافكيا » Civita Vecchia اصطلاح لاتيني يعنى المدينة العتيقة .

(٢) ارشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ١٦٢ .

وذلك في عام ٥٢١٤ هـ (١٢٩ م) (١)

وتستطيع ان نخرج من كل ما سبق بحقيقة تاريخية لها دلالتها وهي ان جماعات البحريين كانت تشكل قوة بحرية تجارية وحرية وانها كانت قوة لها مهارتها في فنون البحر وفنون القتال البحري واعظم شاهد على ذلك تلك الغزوات المتواصلة التي كانت توجهها على سواحل جنوب فرنسا وشمال ايطاليا ودورهم في الاستيلاء على الاسكندرية واقريطش واشترائهم مع قوات الاغالبه في فتح جزيرة صقلية ، ولم تكن هذه الاعمال تتم بموافقة رسمية من حكومة قرطبة ، وان كانت لم تلق اعتراضا من هذه السلطات الاميرية .

ومن الجدير بالذكر ان جماعة البحريين الانداسيين وفقت في تأسيس قاعدة بحرية دون ان تتلقى اى عون من السلطة المركزية التي فقدت ظلها آنذاك على معظم اقاليم الاندلس ، ولم تكن هذه القاعدة تعدو بادىء ذي بدء موقعا محدودا يقع بالقرب من وادي اندرش Rio Andarax عرف بحرية بجانة ، ويبدو ان المدينة الرومانية القديمة Urci اجتذبت انظار البحريين الانداسيين بموقعها الممتاز الذى يبعد بعض الشيء عن الساحل ، فانتقلوا اليها بعد ان اتفقوا على ذلك مع عرب ارش اليمن ، وتباحثوا معهم في اقامة ما يشبه الجمهوريه البحرية تضم ارش اليمن ومراسيه ومجارسه ، لمواجهة اى اعتداء بحري يقوم به اى عدو من اعداء الدولة الانداسيه (٢) . ولم يلبث البحريون ان

(١) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، الدار القومية للطباعة والنشر

١٩٦٦ ، ص ٣٨٩ ، وراجع أيضاً ، أحمد مختار العبادي : دراسات في تاريخ

المغرب والاندلس ، الطبعة الاولى ، ١٦٨ ، ص ٢٥٧ .

(٢) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة الزيد ، ص ٢٢ — ٢٣ .

تغلبوا على ما كان فيها من العرب وصار الامر لهم في بجانة ، ثم حوطوا حاراتها المفترقة بسور^(١) . ويظهر ان هذا السور اقيم بعد سنة ٢٧٧ هـ (٨٩٠ م) وهي السنة التي قدمت فيها قوات سعيد بن جودي ، سيد عرب البيرة ، لمهاجمة البحرين فيها ، استنادا الى قول ابن حيان انها كانت « مدربه لم يضرب بعد عليها سور »^(٢) ، اي انها كانت تتألف من دروب وحارات غير مسورة .

وقد اهتم البحريون بمصير بجانة وتعميرها ، واتخذوا من قرطبة حاضرة الاندلس إنموذجا يحتذوه في بجانه ، ويفسر الحميري ذلك بقوله : « وامثلوا في ذلك بينيه قرطبة وترتيبها ، وجعلوا على احد ابوابها صورة تشاكل الصورة التي على باب القنطرة »^(٣) وكان يعلو باب القنطرة في قرطبة تمثال للعدراء ، الذي يقول فيه ابن عذارى : « وهي العدراء صاحبة قرطبة التي وضع أقدام حكمائهم صورتها فوق باب مدينتها القبلى وهو باب القنطرة »^(٤) ، ويستنتج الاستاذ ليفى بروفنسال من ذلك ان بجانة كانت تضم جماعة من البحرين النصراني رانهم اقاموا كنيسة لهم^(٥) . ويعلق الاستاذ الدكتور السيد عبد

(١) الحميري : الروش المطار ، ص ٣٨ ، وأنظر أيضاً ، سالم : المرجع السابق ،

ص ٢٢ .

(٢) ابن حيان « أبو مروان » : المتبس في تاريخ رجال الأندلس ، القسم الذي

نشره الأب مانشور أنطونيا ، باريس ، ١٩٣٧ ، ص ٨٩ .

(٣) الحميري الروش المطار ، ص ٣٨ .

(٤) ابن عذارى « أبو عبد الله محمد » : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ،

تحقيق ليفى بروفنسال ، ج ٣ ، دار الثقافة ببيروت ، لبنان « بدون تاريخ » ،

ص ١٤ .

Lévi-provençal (E) : Histoire de L'Espagne Musulmane , T.I, (٥)

P. 252.

العزیز سالم علی ذاك بقوله : « بان امستاج الاستاذ لینی برودنسال لا یخلو من مبالغة فلیس من الضروري ان یكون ذاك دلیلا علی ان المریة المحدثة كانت تضم جماعة من البحرین انصارى ، وانهم اقاموا كنيسة لهم ، فقد یكون هذا التمثال المنصوب علی باب بحانة مجرد تقليد للتمثال المنصوب علی باب القنطرة بمدينة قرطبة امسانا فی تقليد هذه الحاضرة ، يؤكد ذاك قول الحمیری ، « وامتثلو فی ذاك بینیه قرطبة وترتيبها » (١) ، مما یصدق دلیل علی اعتبار ان قرطبة كانت تمثل فی ذاك الوقت قمة الرقى والازدهار فی الفن والعمارة ، ومن ثم كان اتجاه البحرین الی الاخذ بتقليدها واتباع نمط عمارتها بنصب تمثال علی باب بحانة تقليدا للتمثال الذی كان قائما علی باب القنطرة بقرطبة ، وفی عصر الناصر اقيمت مدينة الزهراء الی كان یقوم علی أحد ابوابها تمثال للزهراء یمثل امرأة لعلها فینوس الرومانیه (٢) .

وقد تولى رئاسة البحرین ببجانة فی عهد الامیر عبد الله ، زعیم منهم یدعى عبد الرازق بن عیسی ، ولم تلبث هذه القاعدة ان اتسعت وكثرت مرافقها وحصونها بعد ان اتجهت الیها عناية الدولة وذلك فی بداية عهد الامیر المنذر بن محمد ٢٧٣ هـ (٨٨٦ م) ، الذی منح اهل بجانة من البحرین والعرب الحق فی توسیع رقعة بلدهم بضم القرى والحصون المجاورة مثل : حصن برشانة المنیع فی الشمال وحصن ناشر فی الشرق وحصن الحمة والخایة وبنى طارق فی الغرب (٣) ، وبذلك أصبحت هذه الحصون تسيطر علی الطريق البری

(١) السید عبد العزیز سالم : تاریخ مدينة المریة ، ص ٢٣ وما یلیها .

(٢) السید عبد العزیز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة فی الأندلس ، ج ١ ، ص ٢٣٦ .

(٣) ابن حیان : المقتبس ، نشر الأب ممشور انطونیا ، ص ٥٣ .

الوحيد الموصل ما بين بجانة ووادي آش من جهة الغرب ومرسية من جهة الشمال الشرقي (١).

ومنذ ان الت الرئاسة في بجانة الى البحرين ، ازدهرت هذه المدينة ازدهار كبيرا بفضل اسطولها الراسي بخليج مريتها ، « فأمتها الناس من كل جهة وانجفلوا اليها من كل ناحيه ، فارين من الفتن التي كانت اذذاك شاملة ، فكانت أمنا لمن قصدها ، وحرما لمن لجأ اليها ، وكانت اميره تجلب اليها من العدو ، وضروب المرافق والتجارات ، وكان ذلك ايضا من الاسباب الداعية الى قصدها واستيطانها وصار حولها ارباض كثيرة » (٢).

واتخذ للمدينة جامع ، بناه عمر بن اسود الغساني ، ويذكر العذري (ق ٥٥) ان « فيه قبوا عاليا فيه احد عشر حنية مصنوعة على اربعة اعمدة منقش اعاليه كله بنقوش عجيبة وصنائف غريبة ، وبشرقي القبة ثلاث بلاطات وبغربية اربع بلاطات اوسع من الشرقية والمحراب والمنبر داخل القبة ، وفي صحن الجامع بئر عذب » (٣). في حين يقول فيه الحميري (ق ٨٨) : « فيه قبوء على قبه فيها احدى عشر حنيه منضربه على اربعة عشر عمودا » (٤). ولعل هذا الاختلاف وقع مع مرور الزمن .

وزخرت مدينة بجانة بالمنشآت وعمرت بالاسواق والمرافق وفي ذلك يقول الحميري : « بأنه كان بمدينة بجانة احدى عشر حماما ، وطرز حرير ومتاجر رابحة وكان يذهب الوادي الاتي من شرقيها كثيرا من ارباضها

Lévi-pronencal : Hfstoire, T. I, P. 354.

(١)

(٢) الحميري : الروض المطار ، ص ٣٨ .

(٣) العذري : ترصيع الأخبار ، ص ٨٧ .

(٤) الحميري : الروض المطار ، ص ٣٨ .

واسوقها عند جملة « (١)

ولكن بجانه لم تنعم كثيراً باستقرارها وهدوئها اذ ما لبثت ان تعرضت لهجمات سوار بن حمد بن المحاربى امير العرب بغرناطة من كورة البيرة ، الذى طمع فى اخراج البحرين من موطنهم بجانه لحقده عليهم بسبب التفاف الناس حولهم ، وانتصاراً لقومه الغسانيين منهم ، ويعبر ابن حيان عن ذلك بقوله : . . . واجتماع الناس اليهم ، واستخفافهم بمن جاورهم من العرب الغسانيين واستطاعتهم عليهم ، وخوفهم منهم على انفسهم لقلّة عددهم « (٢) . لذلك استعد سوار فى عام ٥٢٧٦ (٨٨٩ م) لغزوهم فى عرب البيرة ، وعندما علم رئيسهم عبد الرازق بن عيسى بنجر تأهب سوار لغزوه ، خاف على مدينته من عرب البيرة ورهب ما عرف من شدة بأس سوار ، فعمد الى مهادنته ومسالمة ، فبعث بجامعة من وجوه البحرين المقيمين ببجانه الى العرب الغسانيين لتصفية الخلاف والاعتذار عما بدر من تصرفات غير لائقة من سفهاء قومه ، وطاب منهم الاجتماع بسوار لاستلطافه وابداء رغبتهم اليه « . . . فى الانصراف عنهم وموافقة على اجمال عشيرتهم » (٣) ، وقد اسفرت هذه المساعي عن استجابة عرب بجانه الغسانيين الى رجاء عبد الرازق بن عيسى ، فارسلوا وفداً منهم على رأسه سعيد ابن أسود وخشخاش ابنه ، ومحمد بن عمر بن أسود ابن اخيه ، وابو الادهم بن مخلد الغسانى الى سوار ونجح هذا الوفد فى اقناعه بالانصراف عن غزو بجانه والعودة الى غرناطة (٤) .

(١) الجبرى المصدر السابق ، ص ٣٨ ، وقد ذكر العنرى أيضاً بأنه كان فى مدينة بجانه

أحمد هتر حماماً ، « ترصيم الأخبار » ، ص ٨٧ .

(٢) ابن حيان : المقتبس تحقيق الأب منشور ، ص ٨٨ .

(٣) ابن حيان : نفس المصدر والصفحة .

(٤) نفس المصدر والصفحة .

ولكن البحريين في بجانه لم يلبثوا ان عاودوا التحرش بالفسانيين بعد ان بلغهم نبأ مصرع سوار في عام ٥٢٧٧ هـ (٨٩٠ م) ، فكاتب الفسانيون ابن جودى خليفه سوار بغرناطة يستنهم ضونه لغزو البحريين ، ولم يكتفوا بذلك بل قصدة وفد منهم ليحرضوه على غزو بجانه ، « فخف معهم ، وجاء الى بجانه وهى مدربة لم يضرب بعد عليها سور ، فحاربهم فيها اياما قارشوة فيها ، فلم يظفر بهم بطائل » (١) . وبينما كانت الحرب قائمة بين عرب غرناطة والبحريين في بجانه ، انتهز شنير Sunier II قوس امبـورياس Comte d , Ampurias بقطلونية هذه الفرصة ، وقدم فى خمسة عشر مركباً ارفأت بساحل المريه فرضة بجانه ، واحرق عدداً كبيراً من السفن الاسلاميه الراسية فى خليج المريه ، وعزم على التقدم الى بجانه لنهب المدينة ، ولكنه وجد مقاومة عنيفة اذ تسلل البحريون اثناء الليل من بجانه وقصدوا المريه ، واشتبكوا مع القطلانيين فى معركة قتل فيها احد كبار البحريين وهو خلف بن زهرى بالحوض ، وانتهت هذه المعركة بجنوح القطلانيين الى الصالح مع البحريين وتم ذلك على يدى عبد الرحمن بن مطرف الحاج ، وانصرف شنير عنهم بسفنه ، وعاد البحريون الى بجانه ، فظن جودى ان مددا جاءهم ، فرحل عنهم مسرعاً (٢) .

(١) ابن حيان ، القتبس ، تحقيق الأب ماشور ، ص ٨١ .

(٢) نفس المصدر والصفحة ، « أمبـورياس » « Ampurias »

اسم مدينة فينيقية قديمة ، ثم يونانية عمرها أهل صور وصيدا فى أرض قطلوونية ، تقع على الساحل الشمالى الشرقى لاسبانيا شمالى برشلونه ، وكانت خارجة عن الدولة الاسلامية فى اسبانيا وداخله فى كوتية برشلونه ، راجع « الامبرشكيب أرسلان : —

ونجاح البحريين في مواجهة هذه الفارة البحرية الخطيرة ، اكتسبوا هبة
جيرانهم لهم ، واسيغت عليهم انتصاراتهم صفات من البطولة والقوة أبدت
عنهم طمع جيرانهم .

وظلت بجانه محتفظه بعظمتها طوال النصف الأول من القرن الرابع
الهجري ، ولكنها اخذت تفقد أهميتها امام فرضتها المارية التي اخذت مكانتها
تزداد شيئاً فشيئاً الى أن أصدر الخليفة عبد الرحمن الناصر أمره بتأسيسها في
عام ٥٤٤ هـ (٩٥٥ م) ولم تلبث المارية بعد انشائها ان اصبحت من اهم مراسي
الاندلس واكثرها عمراً ، واصبحت هي وبجانه على حد قول ياقوت
الحموي « بابي الشرق » ^(١) فمن المارية كان « يركب التجار وفيها تحل
مراكب التجار ، وفيها مرفأ للسفن والمراكب » ^(٢) . ولم تلبث مكانه بجانه
ان انحسرت منذ بداية القرن الخامس الهجري بعد ان « كانت كرسى المملوك
الى ان ضعفت » ^(٣) وعظمت المارية فصارت بجانه تابعه .

ولم تقو بجانه ان تواجه الفتن الضارية التي طيحت الاندلس وانتهت
بسقوط الخلافة الاموية ، وعلى حد قول العذري : خربت مدينة
بجانه ، وذهب باقى عمارتها في سنة تسع وخمسين واربعمائة ^(٤) .

== تاريخ غزوات العرب ، ص ٢٤ ، ١ هـ ، حسين مؤنس : تاريخ الجغرافية
والجغرافيون في الأندلس ، معهد الدراسات الاسلامية ، مدريد ، ١٩٦٧ ، ص

٢٨٩ ، أحمد مختار المبادئ دراسات ، ص ٢٥٢ ، ٣ هـ .

١ . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، المجلد الخامس ، ص ١١٩ .

٢ . نفس المصدر والجزء والصفحة .

٣ . ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ ، ص ١٩٠ .

٤ . العذري : ترصيع الأخبار ، ص ٨٧ .

وباضمحلال مدينة مدينة بجانه ، عظمت المرية وازدهرت وانتقلت اليها
قاعدة الاقليم .

ثالثا : المرية اهم قاعدة بحرية لاسطول الاندلس في البحر المتوسط

مما لاشك فيه ان طبيعة الوضع الجغرافي للاندلس كشبه جزيرة ، يحيط بها
البحر المتوسط من الجهتين الشرقية والجنوبية الشرقية والمحيط الأطلسي من
الجهات الجنوبية الغربية والغربية الشمالية الغربية (١) ، ساعدت على توجهه
أهلها بأبصارهم نحو البحر ، كما أن سواحلها المتعرجة وكثرة خلجانها
وأجوائها ساعدت على تعدد مراسيها التي تصلح لرساء السفن وإيوائها بعيداً
عن تيارات البحر وأنوائه (٢) . ومن هذه المراسي : بنشكله ، وبلنسية ،
وشاطبه ، ولقنت وقرطاجنة الخلفاء مرسي مرسية (٣) ، ومرسي محملة من عمل

(١) الادريسي : المغرب وأرض السودان ، ص ١٧٣ .

١٢ السيد عبد العزيز سالم : تاريخ البحرية الاسلامية في المغرب والاندلس ، ص ٧٢ ،
الحون « بفتح الميم » ، وهو الخليج الناتج عن امتداد مياه البحر في الأرض ،

راجع : Dozy . Supplement, I, 236 a

(٣) ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٧١ ، قرطاجنة الخلفاء ، توجد ثلاث مدن بهذا
الاسم احداها الوانم بأفريقية قرب تونس الحالية ، بينما تقسم الثانية والثالثة
بالاندلس ، وهما قرطاجنة الجزيرة عند جبل طارق ، وهي مدينة قديمة مهجورة ،
وقرطاجنة الخلفاء في انليم مرسية وهي ميناء صالح لارسو ، راجع « الجبري :
الروض المعطار ص ١٥١ - ١٥٢ ، كيايا سارنالي تشركوا ، مجاهد الغامري ، قائد
الاسطول العربي في غرب البحر المتوسط في القرن الخامس الهجري ، القاهرة ،

١١١١ ، ص ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ .

بجانه ، ومرسى المربه ، ومرسى بزليانه من عمل كورة ربه (١) ، ومرسى جبل طارق ومرسى الجزيرة الخضراء ، ومرسى النيزه ومرسى عذره ، ومرسى بليسانه ، ومرسى الفروج ، ومرسى شلوبينيه ومرسى المنكب ، ومرسى مريه باش (٢).

وقد فرضت هذه الطبيعة الجغرافية عليها انتهاج سياسة بحرية حربية معينة لحماية سواحلها وثورها من طمع الطامعين ودرءا لغزوات المغامرين من الشعوب الشمالية ، ومن ثم كان يتحتم على اهل الاندلس ان تكون لديهم قوة بحرية ممتازة قادرة على الذود عنها وحمايتها ، إلا ان الدولة الاموية منذ قيامها لم تظهر اهتماماً بتكوين قوة بحرية تعتمد عليها في اوقات الخطر لعاملين : أولهما ، انصراف امراء قرطبه إلى تمكين نفوذهم ودعم السلطة المركزية تجاه الحركات الانتزائية داخلياً ، وفي نفس الوقت اعتماد سياسة دفاعية أو هجومية - حسب مقتضيات الحال - ازاء الممالك المسيحية في شمال اسبانيا ، واما العامل الثانى فهو اطمئنان الدولة الاموية فى الاندلس إلى جانب البيزنطيين لاشتراكهم مع الامويين فى الاندلس فى معاداة العباسيين ، وقد ظلت العلاقات الودية قائمة بين قرطبه وبيزنطة طوال العصر الاموى ، وفى نفس الوقت ساءت

(١) ابن حيان « أبو مروان » : المقتبس ، القسم الثانى « من عصر المستنصر » ، تحقيق عبد الرحمن الحجى ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٦٥ ، ص ٣٩ وما يليها ، « وبزليانه » Ventas de Bezmiliana قرية على ساحل البحر المتوسط أى على الساحل الأندلسى الشرقى ، بينها وبين مالقة Malaga ثمانية أميال « الحميرى : الروض المطار » ، ص ٤٨ ، ابن حيان ، المصدر السابق ص ٤١ ،

(٢) الادريسي : المغرب وأرض السودان ، ص ١٩٨ : ١٩٩ •

العلاقات بين الامريين في الاندلس والكارولنجيين^(١) لفترة طويلة بسبب سيطرة الاندلس في عصر الامارة على القطاع الجنوبي من ولاية سبتانيا ، وحدث تقارب بين الكارولنجيين والعباسيين ، ولهذا السبب اطمأن امراء قرطبه إلى جانب البيزنطيين ولم يحسروا بحاجتهم إلى تكوين قوة بحرية تحمي سواحلهم ، الا ان هذا التقصير في الامور البحرية كان وقفاً على السلاطة الاموية الحاكمة .

وإذا كانت الدولة الاموية قد انصرفت عن الاهتمام بالقوة البحرية اكتماء بالنشاط البحري الذي يمارسه غزاة البحر الاندلسيين ، فان ذلك لم يستمر طويلاً ، فسرعان ما عدلت لدولة عن موقفها السلبي من التنظيم البحري بعد الغزوة النورماندية على سواحل الاندلس في عام ٢٢٩ هـ (٨٤٣ م) ، فصرف الاسراء منذ هذا التاريخ جهداً كبيراً من جهودهم لانشاء السفن الحربية ، وذلك عندما اصدر عبد الرحمن الاوسط امره في عام ٢٣٠ هـ (٨٤٤ م) ، بانشاء دار صناعة اشبيلية^(٢) ، كما اهتم هذا الامير منذ ذلك التاريخ بنظام الرباطات والطلائع والمحارس الساحلية على طول سواحل الاندلس لحمايتها من الغارات البحرية التي كان يقوم بها الاعداء^(٣) .

والاربطة ابنية ذات خاصيتين إحداها حرية والاخرى دينية ، ففيها كان يتجمع اهل الرباط لتحقيق امرين الأول ، إعداد أنفسهم للجهاد في سبيل الله عن طريق التعبد وذكر الله بصوت عال ، والثاني حراسة الرباط والتأهب

(١) لويس « ارشيبالد » : القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ،

ص ٢٢٨ وما يليها .

(٢) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٦٧ وأنظر أيضاً ، سالم : تاريخ

مدينة المريه ، ص ٣٥ .

(٣) أحمد مختار العبادي : دراسات في تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٢٦٦ .

حرباً لمقاتلة أعداء الاسام ، وكان الدعاء والتكبير مهمة اساسيه من سمات المرباطه ، وفي ذلك يقوم الصوفي الغرناطى ابن ابى زمنين : « ورأيت أهل العلم يستحبون التكبير فى العساكر والثغور والمرباطات ، دبر صلاة العشاء وصلاة الصبح تكبيراً عالياً ثلاث تكبيرات ، ولم يزل ذلك من شأن الناس قديماً » (١) .

وكان القائمون على الحراسة ليلاً يعرفون باسم السمار (٢) ، وجرت العادة ان يقوم السمار بعملهم فى مراقب عالية ملحقة بالرباط يطلق عليها اسم منائر (٣) ، او فى اماكن مرتفعة قريبة منه لكشف سفن العدو من مسافة بعيدة ، وكانت هذه المراقب او الربط او المناور تعرف ايضا باسم الطلائع أو الطوالع (٤) ، فكانت على اولئك السمار او المرباطين إذا ما كشفوا عدواً مقبلاً فى البحر من بعيد اشعلوا النار على قمم المنارر او الطلائع ان كان الوقت

(١) ابن ابي زمنين : كتاب ندوة الفازى ، مخطوطة عن أحمد مختار العبادى ، دراسات فى تاريخ الغرب والاندلس ، ص ٣٠٠ .

(٢) ابن عذارى : البيان الغرب ، ص ٢١ ، راجع أيضاً الفائقى « أحمد ابن على » : صبح الاعشى فى صناعة الانشاء ، ص ٥ ، القاهرة ١٣٠٨ هـ ص ٣١٧ .

(٣) منائر جمع منار وهو برج اسطوانى الشكل أو مربع ينتمى من أعلى بقبة تملأ غرفة مفتحة بداخلها موقد توقد فيه النار للانذار أو بانتداب العدو ، من أمثلة هذه المنائر منار خلف الفتى بمدينة سوسة فى افريقية « راجع سالم ، المغرب الكبير ، ص ٢٠٣ وما يليها » .

(٤) Dozy (R.) : Supplement aux Dictionnaire Arabes. T. (٤)

الطلائع أو الطوالع جمع طائلة أو طايعة Atalaya II. p. 55.

ليلاً^(١) ، أو اثاروا فيها الدخان ان كان الوقت نهاراً ، وقد يستخدم اهل الرباط الطبل والنفير لتحذير اهالى المدن المجاورة من غارة العدو ، وكثيراً ما استعمل المرابطون اشارات نارية أو دخانية بطارق أو حركات معينة للاخبار عن حالة العدو أو عدده أو جنسيته أو غير ذلك ، وبهذه الطريقة كان من الممكن ارسال تحذير أو نذير^(٢) .

ولقد اقتبس الاسبان نظام المرابطه عن جيرانهم المسلمين منذ وقت مبكر ، فدخل لفظ رباط العربى فى اللغة الاسبانية ومنه اشتقت كلمة Rebats أى الرباط arrebatador أى يرباط ويقاثل ، Tocar el rebato وتعنى الانذار بغارة معادية ، كذلك استخدموا نفس الوسائل والادوات باسمائها العربيه مثل الطلائع Atalaya والمنارة Almenara والنفير Anafil ، إلا انهم زادوا عليها استعمال النواقيس التى تقابل الطبول عند المسلمين^(٣) .

ومن اهم الربط الساحليه الاندلسيه رباط المريه الذى كان النواة العمرانيه لمدينه المريه ، وكان الناس يرباطون فيه لحماية مدينه بجانه من غارات النورمانديين ، وذلك استناداً إلى قول الحميرى : « وكان المجوس لما قدموا المريه ، وتطوفوا بساحل الاندلس والعدوه ، فاتخذها العرب مرأى ، وابتدئوا بها محارس ، وكان الناس ينتجعونها ويرابطون فيها^(٤) » ، وفى هذا المعنى

(١) الادريسى : صفة المغرب ص ١٩٨ ، ويصف الادريسى قمة البرج فيقول : « وعليه برج مبنى بالحجارة مصنوع لوقيد النار فيه عند ظهور العدو فى البحر » (نفس المصدر والصفحة) .

(٢) أحمد مختار العبادى : دراسات ، ص ٣٠١ .

Asin (Oliver) : Origen arabe del rebato, Madrid, 1928, p. 27. (٣)

راجع أيضاً ، أحمد مختار العبادى : دراسات ، ص ٢٠١ .

(٤) الحميرى : الروم المعطار ، ص ١٨٣ .

ذكر العذرى : « وابتنيت فيها محارس وكنان الناس ينتجعونها ويرابطون فيها ولا عمارة فيها يومئذ ولا سكنى (١) » .

وفى شرق المربه وجد رباط ساحلى آخر عرف برابطة القابطة او القبطه ولعلها قابطه بنى الاسود التى أشار إليها البكرى كموضع بجوار مربه بجانه (٢) ويرى الاستاذ لى بروفنسال انها تقابل اليوم الموضع المعروف باسم Cabo de Gata (٣) كذلك يشير ابن البار إلى رباطات اخرى أقيمت بجوار المربه دفن فيها عدة من الفقهاء والزهاد والمجاهدين مثل رباط عمروس ورباط الخشنى وغيرها ، كل هذا يدل على ان المربه شأنها فى ذلك شأن مدن المغرب الهامة ، كانت محاطة بسلسلة من الرباطات الساحلية لحمايتها من أى عدوان باعتبارها قاعدة الاسطول الاندلسى (٤) .

أما إهتمام الدولة الاموية فى الاندلس بالبحرية الحربية فيبدأ منذ عام ٢٢٩ هـ (٨٤٣ م) عندما تنبه الامير عبد الرحمن الاوسط إلى اهمية وجود بحرية اندلسية وذلك فى اعقاب الغارة النورماندية الاولى فى عام ٢٢٩ هـ (٨٤٣ م) على سواحل الاندلس الغربية (٥) والجنوبية حيث نزلوا بشفر

(١) العذرى : ترصيع الاخبار ، ص ٨٦ .

(٢) البكرى : المغرب فى ذكر بلاد أفريقيا والمغرب ص ٨٩ .

(٣) Levi-provençal : Histoire, T. II, P. 170. (٣)

(٤) أحمد مختار العبادى ، دوايات ص ٢٩٧ وما يليها .

(٥) شن هذه الغارة الجوس الاردمانيون ، ويطاق عليهم النورمان ويعرفون باللغة

الاسبانية Normandos او Wikings ، يقابل ذلك بالانجليزية

Norsemen او Vikings ولعل التسمية الاولى اكثر استعمالا فى الاسبانية

والثانية شائعة فى الانجليزية ، فكلا التسميتين تعي سكان الشمال والمقصود بهم =

الأشبونة (١) ، في اربع وخمسين مركباً عززتها بعد ذلك ست وعشرون مركباً أخرى فبلغت جملة مراكبهم ثمانين ، كما ملأت البحر طيراً

= سكّات الدول الاسكندنافية الذين اشتهروا بنشاطهم الحربى البحرى ، وتعنى كلمة Vikings فى الاصل اللغوى سكان الخلابان وهى مشتقة من الكلمة النرويجية Vik التى تعنى ساكن الخليج ثم اطلقت كلمة Vikings على سكان شبه الجزيرة الاسكندنافية وتداقترت غزوات النورمان بأعمال القتل والحرق والنهب ، اذ كانوا يندفعون الى البحر ، حيث اضافوا الى اسمهم مصدراً جديداً للرعب ، فكانوا ينقضون فجأة كما ينقض النسر ، فيقبضون على فريستهم ، ثم يعرّدون أدرابهم الى حيث يطويهم عالم الجهول ، وقد اصبح الغموض الذى يكتنفهم مضاعفاً كما كان الرعب الذى يمشرونه مضاعفاً كذلك ، ويعود هذا الشعب فى اصله الى الجرمان او التيتونيين وينقسم الى ثلاث مجموعات : (١) السويديون (٢) النرويجيون (٣) الدانيون « الدانمركيون » وكانت للظروف الجغرافية وغيرها اثر فى الوحدة التى قصدها كل منهم فى نشاطه الحربى او التجارى ، والمجموعة الثالثة (النورمان ، الدانيون) هم الذين هاجوا سواحل شبه الجزيرة الايبيرية « اسبانيا والبرتغال » وافريقية احياناً ، وهم الذين تحدث عنهم ابن حياث واطلق عليهم المؤرخون المسلمون فى الغرب الاسلامى اسم الجوس او الاردمانيون او كلابها ، واما تسميتهم بالجوس التى تطلق اصلاً على الزرادشتيين عبدة النار فلان النورمان حين غزوا الاندلس كانوا يكتدون من اعمال النار فظن المسلمون هناك انهم يعبدون النار راجع (سعيد عبد الفتاح طاور ، ادربا فى العصور الوسطى ، ج ١ القاهرة ١٩٦٦ ، ص ٢١٠ ، ابن حياث : المفتيس ، تحقيق عبد الرحمن الحجى ، تعليق ص ٢٤٩ وما يليها ، سكوت (ملك كالوم) : الفيكنج ورحلاتهم البحرية (تاريخ العالم ، المجلد الرابع ، فصل ٩٦ ، مكتبة النهضة العربية) .

(١) الاشبونة او اشبونه ويكتب اسمها بالاسبانية Lisbonne وبالبرتغالية Lisboa =

جوناً (١) ، واحتلوا بسيط هذه المدينة ، فنازلهم أهلها وقاتلهم قتالاً شديداً حتى تمكنوا من صدم وفي هذه الاثناء انذر وهب الله بن حزم والى المدينة الامير عبد الرحمن الاوسط بقدمهم ليتخذ أهبطه ولما أدرك النورمانديون صعبو به تقدمهم قفلوا راجعين إلى سفنهم ، ومن ثم اتجهوا جنوباً ، فحلوا بكورة اشبيلية ونزلوا عند مصب نهر الوادى الكبير واتجه فريق منهم جنوباً بجذاء الساحل الاسباني حيث نزل على ساحل كورة شدونه واحتل ثغر قادس بينها صعد الفريق الاول بسفنه نهر الوادى الكبير ، فاحتل مدينة اشبيلية عدة ايام عاث خلالها قتلا ونهباً وتخريباً سنة ٢٣٠ هـ (٨٤٤ م) (٢) . ولم يكن الامير عبد الرحمن ساكناً وقتئذ فقام من فوره لمقاومة الخطر النورماندى ، فعبا جيشه وقدم عليه خير قواده واحتل هذا الجيش بالشرف Aljarafe من

تقع على ساحل المحيط الاطلى عند مصب نهر التاجو ، ومنها كان خروج الفتية المغربين فى المحيط ، وقزولهم فى جزر الخالدات التى تعرف الان كناريس Canarias راجع (الجيرى : الروض المعطار ص ١٦ والترجمة الفرنسية ص ٢٢ لى بروفنسال ، مادة لشبونة فى العصر الاسلامى فى دائرة المعارف الاسلامية ، الطبعة الفرنسية ص ٣ ص ٢٩ ، حسين مسؤوس : الجغرافية والجغرافيون فى الاندلس : ص ٢٧٥ وما يليها ، ابن الكردبوس : الاكتفاء ص ١٢٨) (٣)

(١) ابن هذارى : البيان المغرب ، ص ٢ ص ٨٧ ، الجون : ضرب من القطاسود البطون والاجنعة ، راجع العبادى : دراسات ، ص ٢٦١ هـ ٣٠

(٢) ابن القوطيه : تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٦٦ ، ابن هذارى : المصدر السابق ، ص ٢ ص ٨٧ ، سالم : تاريخ المسلمين واثارهم فى الاندلس ص ٢٢٥ وما يليها ، أحمد مختار العبادى : دراسات ، ص ٢٦٢ .

اشبيلية وفي نفس الوقت كتب الامير إلى عمال الكور في استنفار الناس ، كذلك استنفروا أهل الثغر ، فأنبأوا من كل صوب إلى قرطبة ، وبفضل هذه الجهود الكبيرة التي بذلها الامير استطاع جيش قرطبة ان يوقع بالنورماندين الهزيمة في قرية طلياطه Tejada يوم الثلاثاء ٢٥ من صفر ٢٣٠ هـ (١١ نوفمبر ٨٤٤ م) وقتل منهم عدد كبير ، واحرق من مراكزهم ثلاثون مركبا (١) ويرى الاستاذ الدكتور احمد مختار العبادي ان انسحاب النورماندين من اشبيلية لم يتم إلا بعد وصول وحدات الاسطول الاندلسي إلى مكان المعركة استناداً إلى قول العذري : « ثم هبطت للامام عبد الرحمن الاوسط خمسة عشر مركبا بالمقاتلة والعدة ، فنزلوا اشبيلية فلما احس المجوس بها لحقوا ببلبله (٢) » ، وأياما كان الامر ، فقد رحل النورمانديون بعد هزيمتهم إلى ابله ثم توجهوا من هناك إلى الاشبونه ، وانتطع خبرهم بعد ذلك .

نبهت هذه الغارة النورمانديه المفاجئة الامير عبد الرحمن الاوسط إلى ضرورة مواجهة أمثالها مستقبلا ، فاهتم بتحسين الثغور الغربية والجنوبية الغربية ، كما امر ببناء « سور مدينة اشبيلية من اجل طروق المجوس لها من ناحية البحر الرومي ، وذلك في عام ٢٣٠ هـ » (٣) ، بإشارة وزيره عبد الملك ابن حبيب ، كما اهتم بإنشاء محارس وراقب على طول الساحل الغربي المطل

(١) ابن عذاري : المصدر السابق ، ص ٢٨ ، سالم : المرجع السابق ص ٢٢٦ .

(٢) أحمد مختار العبادي : دراسات ، ص ٢٦٣ .

(٣) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق عبد الرحمن الحجي ، تاليف من ٢٤٤ ، وانظر ايضا ابن سعيد ، المغرب : ص ١٤٩ ، الحميري : الروض المعطار ص ٢١ .

على المحيط وشحنها بالمرايضه (١) . وأهم من ذلك كله فيما يتعلق بموضوعنا أنه أصدر أمره بإنشاء دار صناعة بأشبيلية وإنشاء المراكب واستعد برجال البحر من سواحل الاندلس فألحقهم وسع عليهم فاستعد بالآلات والنظ (٢) . وكان من نتائج هذه السياسة البحرية أن أصبح للدولة الأموية اسطول قوى لعب دوراً هاماً في الأحداث التالية ، فقد استخدمه الأفرأ للدفاع عن سواحل الاندلس أو للقيام بحملات تأديبية علي بعض الجزر كما حدث في الحملة البحرية التي وجهها الأمير عبد الرحمن الأوسط لجزيرة ميورقة في ثلاثمائة مراكب لنقض أهل هذه الجزيرة العهد وإضرارهم بمن مر عليهم من مراكب المسلمين ، وأدت إلى إخضاع أهلها وقيامهم بالكتابة إلى الأمير بطلب الصفح (٣) .

ثم تكرر طروق النورمان سواحل اسبانيا الاسلاميه ، فأغاروا مرة أخرى في عام ٣٤٥ هـ (٨٥٩ م) على الساحل الاندلسي الغربي في اثني وستين مركباً ، ولكنهم وجدوا هذا الساحل محروساً بمراكب المسلمين ، التي استطاعت أن تستولي علي مركبين من مراكب النورمان وغنمت ما فيها من الذهب والنفضة والسبي والعدة بالقرب من سواحل كوره باجه اما بقية مراكب المجوس فقد اتجهت جنوباً حتى وصلت إلى مصب نهر الوادي الكبير حينئذ بادر الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط بتوجيه جيشه إلى المغرب ، مستنقراً الناس لملاقاة العدو ، فوصلوا من كل صوب ، ثم تقدمت مراكب النورمان حتى حلت بالجزيرة الخضراء ، وتغلبوا عليها واحرقوا مسجدها الجامع

(١) السيد عبد العزيز سالم : في ، البحرية في المغرب والاندلس من ١٦٠ .

(٢) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الاندلس ، من ٦٧ .

(٣) ابن عذاري : البيان المغرب : ٢٠ ، من ٨٩ .

ثم اقلعت مراكبتهم تجاه العدو المغربية واحتلت بناكور وعائلت خلالها قتلا ونهباً ، ثم قفلت راجعة مرة ثالثة إلى الساحل الشرقي للأندلس حتى وصلت ساحل كورة تدمير ، وتمكنوا من دخول حصن أوربوله ، ثم اقلعوا شمالاً تجاه الشاطئ الإفريقي ، واستولوا على مدينته فيه ، ومكنوا بها حتى انقضى الشتاء ثم اقلعوا جنوباً تجاه الشاطئ الأندلسي ، وفي هذه الاثناء استعد لهم الأمير محمد بالمراكب المعدة بجميع اصناف العدة البحرية وقوارير النفط والرماد واستطاعت القوة البحرية الاسلامية ان تضيق مركبين لهما بساحل شذونة واستولوا على ما فيها من أموال كثيرة وامتعة واسعة ، كما احرقوا لهما مركبين آخرين وفرت باقي مراكبتهم (١) .

وقد حاول الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط تدعيم الاسطول الأندلسي بمزيد من القطع البحرية لاستخدامه في الاغارة على جليقية ، ولكن بناء هذا الاسطول تم سريعاً دون عناية باتقان صناعته ، علاوة على عدم مهارة ملاحيه بحيث تعرض لتشتت قطعة بمجرد بلوغها مياه المحيط ، ويفصل لنا ابن عذارى الخبر بقوله : « أمر الأمير محمد بإنشاء المراكب بقرطبة ليتوجه بها إلى البحر المحيط عبد الحميد الرعيطي المعروف بابن مغيث ، وكان قد رفع إليه رافع ان

(١) نص من المقتبس لابن حيات خاص بعمر عبد الرحمن الأوسط ، عن أحمد مختار العبادي ، دراسات : ص ٢٦٥ وما يليها ، ابن عذارى : البيان المغرب ح ٢ ص ٩٦ وما يليها ، ناكور : تكتب كذلك ناكور وهي مدينة مندرسة في شمال شرق المملكة المغربية ، است سنة ١٢٢٢ هـ ، وكان من اعمالها ثغر الزمره الذي حرره الاسبان إلى ألوثيا ، التي هربها المسلمون إلى الحميمه الحالية التي تسمى ابنا سان خو خو وهي خاضعة للنفوذ الاسباني ، راجع ، العبادي : دراسات ص ٢٦٦ ، ٢٨٠ .

جليقيه من ناحية البحر المحيط لا سور لها وأن أهلها لا يمتنعون من جيشه أن غشيتهم من تلك الناحية ، فلما كملت المراكب بالانشاء ، قدم عبد الحميد بن مغيث ، فلما دخل البحر ، تقطعت المراكب كلها وتفرقت ، ولم يجتمع بعضها إلى بعض ، ونجا ابن المغيث (١) .

وقد ازداد إهتمام حكام الاندلس بالبحرية في عهد عبد الرحمن بن محمد لاضطراره إلى مواجهه الفاطميين في افريقيه ، ويمكننا القول بأنه لم يحدث أن وجدت للاندلس قوة بحرية منظمه بالمعنى الصحيح إلا على عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر أي ابان النصف الأول من القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) .

فقد بدأ عبد الرحمن بن محمد بتنظيم البحرية في الاندلس واستكمالها فأكثر من بناء السفن الحربية ، ومهد لهذا بالشاء عدد كبير من دور الصناعة في مدن الاندلس مثل المريه ، وطرطوشه (٢) ، والجزيرة الخضراء (٣) ،

(١) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٢ ص ١٠٣ وما يليها .

(٢) طرطوشه : Tortosa من الاسم القديم Dertosa تقع في شمال شرق اسبانيا بالقرب من ساحل البحر المتوسط عند مصب نهر الابرو ، جنوبي مدينة طركونة Tarragona واشتهرت طرطوشه في العصر الاسلامى بدار صناعة المراكب التي بناها الخليفة عبد الرحمن الناصر ، ويتوافر مواد بناء هذه السفن من خشب الصنوبر المتوفر بجزيرة لها ، راجع (الادريسي : المغرب وارض السودان ، ص ١٩٠ الحميرى : الروض المعمار ص ١٢٤ وما يليها ، ابن الكردبوس : الاكتفاء من ١٠٠ ، ١٠١) .

(٣) الجزيرة الخضراء : وتسمى اليوم Algeciras وهى ميناء في أقصى جنوب اسبانيا بجوار جبل طارق ، وتسمى أيضا في المراجع العربية بجزيرة ام حكيم وهى =

ومالقه ، ولقنت (١) ، وشلب (٢) ، والقصر (٣) ،

= جاريه الطارق بن زياد كان قد جهلها معه عند شروعه لاسبانيا ، ثم تركها في هذه البلدة فنسبت اليها ، وبها دار صنائه بنها عبد الرحمن بن محمد واتقن بناءها وعلى اسوارها ، راجع (الادريسي : المصدر السابق ، ص ١٧٩ ، الجبري : المصدر السابق ، ص ٧٣ ، ابن الكردوبوس : الاكتفاء ، ص ٤٥ ، ٢٥) .

(١) مالقه Malaga مدينة على ساحل البحر المتوسط تقع جنوبى شرق اسبانيا اسمها الفينيقيون واعطوها اسم مالكو Malako ومعناه الملح نسبة الى مستودعات الاسماك الملحقة التى كانت تجفف وتحفظ بها ، ولها قصبة منيعة في شرقيها وهي غاية في الحصانة والمنعة ، ولها ربحان كبيران ، بها الفنادق والحمامات واشتهرت كذلك بها كانت تحويه من شجر التين المنسوب اليها والذي كان يعمل الى مصر والشام والعراق ، راجع (الادريسي : المصدر السابق ص ٢٠٤ ، الجبري : المصدر السابق ، ص ١٧٧ وما يليها) ابن الخطيب : اعمال الاعلام « القسم الخامس بالمغرب » ص ٢٤١ ، ٣٥) ، أما لقنت Alicante فهي مدينة صغيرة من بلاد الاندلس بينها وبين دانيه على الساحل سبعون ميلا وتنشأ بها المراكب السفرية والحراريق ، راجع (الجبري : المصدر السابق ص ١٧٠ ، الادريسي : المصدر السابق ، ص ١٩٣) .

(٢) شاب Silves من مدن غرب الاندلس وتقع على نهر بطايوس وهي من كورة شدونه ولها مرسى في الوادى وبها الانشاء ، راجع (الادريسي : المصدر السابق ص ١٩٣ ، اسيري : المصدر السابق ، ص ١٠٦ وما يليها) .

(٣) القصر : مدينة بالاندلس بينها وبين شاب اربعة مراحل ، على ضفة النهر المسمى شطور وهو نهر كبير تصعد اليه السفن والمراكب السفرية كثيرا . . . وبها الانشاء الكثير ، راجع (الادريسي : صفة المغرب ، ص ١٨١ ، الجبري : المصدر السابق ص ١٦١) .

ودائيه (١) ، وشنتمرية (٢) ، وشلطيش (٣) .

وفي أيامه وضحت القوى البحرية وازداد عدد قطعها بحيث تجاوز المائتي سفينة اذ يشير ابن خلدون في مقدمته الى ذلك فيقول : وانتهى أسطول الاندلس أيام عبد الرحمن الناصر الى مائتي مركب أو نحوها (٤) . واعتقد أن المقصود بهذا العدد السفن الغزوية المخصصة للقتال في البحر كالحرايق

(١) دانيه Denia على ساحل البحر المتوسط جنوبى بالسيه من شرق الاندلس واسم المدينة العربى والاسبانى مشتق من اسمها الرومانى القديم Danium ويشرف على دانيه جبل مرتفع هو جبل « قاعوت » ويسمى اليوم مونجو Mongo والمدينة محاطة بغابات كثيفة من شجر الصنوبر الذى تصنع منه السفن فى دار صناعة دانيه ، وكانت دانيه قاعدة بحرية هامة منذ عهد الامويين واشتهر امرها عندما انتزى بها مجاهد الاموى (راجع الادريسي : المصدر السابق ص ١٩٢ الحميرى : المصدر السابق ص ١٠٢ ، ابن السكردبوس : الاكتفاء ص ٩٦ ، ٢٥ ، أحمد مختا العبادى ، دراسات ص ٢٩٨ ، ص ٣١٠) .

(٢) شنتمرية : مدينة فى الاندلس من مدن اكثونه على البحر الاعظم وبها دار صناعة الاساطيل ، راجع (الحميرى : الروض المعطار ، ص ١١٥ وما يليها) .

(٣) شلطيش : وهى جزيرة بالقرب من مدينة بلنه ، بها دار صناعة الحديد الذى يعجز عن صنعه اهل البلاد لجفائه ، وهى صنعة المراسى التى ترسو بها السفن . وهى كثيرة السفن وبها دار صناعة لانشاها راجع « الادريسي : المصدر السابق ، ص ١٧٩ ، الحميرى : المصدر السابق ، ص ١١٥ وما يليها » .

(٤) ابن خلدون « عبد الرحمن بن محمد » مقدمة العلامة ابن خلدون ، المطبعة التجارية ، مصر ، ص ٢٥٣ وراجع ايضاً : محمد جمال الدين سرور ، حياة الفاطميين الخارجية ، دار الفكر العربى ، ١٩٦٧ ، ص ١١ .

والأغربة المقاتلة والا فان الرقم يقل عما كان عليه زمن الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط (١) .

زمن المعروف ان أغلب القواعد البحرية في الاندلس تركزت على امتداد الساحل الشمالى الشرقى ما بين طرطوشة Tortosa وبلنسية Valencia وربما كان مرجع ذلك العداء الشديد بين سكان شرق الاندلس وبين الفرنجة الكارولنجيين والقسم الجنوبى من الساحل الاندلسى ويشمل المريه ومالقه والجزيرة الخضراء واشبيلية .

وكانت مدينه المريه القاعدة الرئيسيه للبحرية الاندلسيه ، ويليهما طر كونه Tarragona (٢) ثم طرطوشه (٣) ولقنت (٤) Alicante فشرش (٥) Jerez وشلب (٦) Silves فالجزيرة الخضراء (٧) Algéciras بالاضافه الى جزيرة يابسه (٨) Ibiza أصغر جزر البليار .

وكان أسطول الاندلس يتألف من قطع مختلفة لكل منها عمل معين فى

(١) أنشأ الأمير محمد فى البحر سبعمئة شراب ، راجع (« ابن الكردبوس : كتاب الاكتفا ص ٥٧ » ابن ابى دينار « محمد بن ابى القاسم الرعيني القبروانى » المؤنس فى أخبار أفريقيه وتونس ، ١٢٨٦ هـ ، ص ١٧) .

(٢) الحميرى الروض المعطار ، ص ١٢٥ وما يليها .

(٣) الحميرى : الروض المعطار ، ص ١٢٠ .

(٤) نفس المصدر ، ص ١٧٠ .

(٥) نفس المصدر ، ص ١٠٢ .

(٦) نفس المصدر ، ص ١٠٦ وما يليها .

(٧) نفس المصدر ، ص ٧٣ وما يليها .

(٨) نفس المصدر ، ص ١١٨ .

القتال ومن أمثلة هذه السفن الحربية : الحزازيق التي كانت تصنع في دار صناعه المريه ومالقه (١) ، ولقنت (٢) ، والاغربة (٣) ، والبطس (٤) ، والجمالات (٥)

(١) الشري « ابن فضل الله » : مساك الابصار في ممالك الأمصار ، الجزء الخاص بوصف افريقية والاندلس ، نشر حسن حسنى عبد الوهاب ، تونس ، ص ١٤ وما يليها ، وانظر أيضا : ابراهيم احمد العدوى : الاساطيل العربية في البحر المتوسط ، القاهرة ، ١٩٦٣ ص ١٦٧ ، أحمد مختار العبادي : دراسات ص ٣٩٣ وما يليها ، والحزازيق نوع من السفن الحربية التي ترمى بالنيران كالنار الافريقية ، راجع « ما تقدم من مصادر ومراجع ونفس ارقام الصفحات المبين امامها » .

(٢) احمدى : الروض المطار ، ص ١٧٠ .

(٣) الاغربة : جمع غراب ، واشتهرت هذه السفن بالبأس الشديد وانزال الرعب في قلوب الاعداء ، وهى سفن حربية لا تختلف عن الشوانى ، راجع : « العدوى المرجع السابق ، ص ١٦٧ ، درويش النخيلي : السفن الاسلامية على حروف المعجم ، مطابع الاهرام ، ١٩٧٤ ، ص ٣٠٣ » .

(٤) البطس ، جمع بطس ، وهى من السفن الحربية العظيمة الحجم تشتمل على عدة طبقات يشغل كل طبقة منها فئة معينة من الجند بأسلحتها ، وتسيرها قلوب كبيرة ، وكانت تستخدم في شحن الغلال والاثوات والمسير والاموال والنفقات علاوة على آلات الحرب والقتال الى جانب القيام بعمليات القتال في البحر ، راجع « العدوى المرجع السابق ص ١٦٨ » النخيلي : المرجع السابق ، ص ١٤ وما يليها » .

(٥) الجمالات : جمع جماله من مراكب النقل ، وكانت تستخدم لحمل الفللال وهى من ماحقات الاسطول الحربى ، مخصصة لنقل مؤونة الجيش ، وازواده والصناع والخدم الملحقين بالجيش والاسطول ، راجع في هذا ، « Dozy(R.): Supplement »

والشندي (١) والشواني (٢) والطرايد (٣) والعشارى (٤) والقراقير (٥)
والمسطحات (٦) .

aux dictionnaires arabes ; I, p. 327 :

النخيلي : المرجع السابق ، ص ٤٠ وما يليها .

(١) الشندي : والجمع شنديات ، وهى سراكب حربية كبيرة مسطحة تحمل المقالة
والسلاح وتستخدم كذلك في نقل البضائع ، راجع

(Dozy : Op. cit , I. p. 459)

(٢) الشواني : جمع شينى او شينيه ، وهى السفينة الحربية الكبيرة وكانت مزودة
بأبراج وقلاع للدفاع والهجوم وتجذب بمائة وثلاثة واربعين مجذافا ، راجع ،

Dozy : Op. cit. I. p. 717 ,

العدوى : المرجع السابق ، ص ١٦٧ ، النخيلي : المرجع السابق ص ٤٢ .

(٣) الطرايد : جمع طريدة او طراد ، وهى سفن صغيرة سريعة ، عرفها دوزى بأنها
من المراكب الحربية اكثر شيها بالبرميل الهائل منها بالسفينة ، راجع

Dozy : Op. cit. . I , p. 34

(٤) العشارى : والجمع عشاريات وهى نوع من السفن الصغيرة الخفيفة الملحقة بالاسطول
العربى لتكون قوارب نجاة ، انظر النخيلي ، المرجع السابق ص ١٦٥ .

(٥) القراقير : جمع قرقور وهى من السفن الضخمة التى تحمل المائت للاسطول ،

Dozy : Op. cit. . II. p. 335

(٦) المسطحات : جمع مسطح ، وهى من السفن الحربية الكبيرة ، وهى من اكبر
سفن الاسطول الاسلامى ، انظر : النخيلي : المرجع السابق ، ص ١٤١
وما يليها .

ولقد أشرنا فيما سبق الى عاملين ساعدا على دعم البحريه الاندلسية ،
الاول ، غزوة النورمان الأولى التي نبهت أولى الأرواح في الاندلس الى ضرورة
اصطناع سياسة بحريه رسمية ، والثاني ، قيام الدولة الفاطمية في المغرب وتطلعها
لغزو الاندلس منذ ايام عبد الرحمن بن محمد . ولا نشك في ان عبد الرحمن
الناصر كان على يقين من استفحال الخطر الفاطمي على الاندلس منذ ان
ساندوا حركة الثائر عمر بن حفصون وزودوه بالسلاح والميرة (١) ، ومنذ
ان توسعوا غربا على حساب الرستميين في الجزائر والادارسه في المغرب
الأقصى ، وكانت قوة البحريه الفاطمية تفوق القوة الاندلسية ، اذ ان
الفاطميين بالاضافه الى ماورثوة من سفن الاغالبه وقواعدهم البحرية في تونس
وصقلية وقوصره (٢) ، اتخذوا المهديه - عاصمتهم الجديدة - قاعدة بحريه
وداراً لصناعه السفن (٣) ، مكنتهم من إعداد إسطول يعد اعظم اساطيل
بحر المغرب .

الى جانب هذا الخطر الفاطمي ، كان خطر الغارات النورمانديه لايزال
جائها بعد ان بلغت سفن النورمان سواحل المغرب والاندلس . وهذا يفسر
إهتمامه بدعم القوة البحرية للاندلس في مواجهه الانواء المقبلة من المغرب
كما يفسر حرصه على إنشاء قواعد بحريه متعددة ودور صناعة في مختلف

(١) ابن هزاري : البيان المغرب ٢ ص ١٦٥ ، وانظر ايضا : ارشيبالد لويس :

القوى البحرية ، ص ٢٣٦ .

(٢) العدوي : الاساطيل العربية ، ص ١٢٨ وقوصرة هي المعروفة الان بجزيرة

« بنزلاريا » جنوب جزيرة مالطة .

(٣) احمد مختار عبادي : سياسة الفاطميين نحو المغرب والاندلس « صحيفة معهد

الدراسات الإسلامية في مدريد » ، المجلد الخامس ، ١٩٥٧ ، ص ٢٠٠ .

ثغور الاندلس (١) . وعلى تحصين الثغور الاندلسية المواجهة للمغرب ، واحتلال الثغور المغربية المطله على المضيق كسبته وطنجه ومليلة تأمينا لسلامة بلاده (٢) .

وقد نجح الاسطول الاندلس في عصر الخلافه في إحباط محاولات المهدي الفاطمي لتدعيم حركة ابن حفصون وامكنه ان يقطع الميرة والمؤونه الفاطمية التي شجنت في سفن الفاطميين الى الاندلس لمساندة الثوار في عام ٣٠١ هـ (٩١٣ م) (٣) . ثم تمكن الاسطول الأموي من الاستيلاء على مدينة مليلة Melilla في سنة ٣١٤ هـ (٩٢٧ م) (٤) ، ومن انتزاع مدينة سبته في عام ٣١٩ هـ (٩٣١ م) (٥) ، ولم تمضي فترة حتى تمكن

(١) ارشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية ، ص ٢٣٦ .

(٢) أحمد مختار العبادي : دراسات ، ص ٧٢ وما يليها .

(٣) ابن عذاري : البيان المغرب ج ٢ ص ١٦٥ ، ابن خلدون « عبد الرحمن بن محمد » كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٤ ، طبعة بولاق ، ١٢٨٤ هـ ، ص ٣٣ ، سالم « بالاشتراك مع أحمد مختار العبادي » في : تاريخ البحرية الاسلامية في مصر والشام ، جامعة بيروت العربية ، بيروت ، ١٩٧٢ ، ص ٦٤ .

(٤) البكري : المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ، ص ٨٨ ، راجع أيضاً : سالم : تاريخ المسلمين وأثوارهم في الأندلس ، ص ٢٨٥ ، وله أيضاً : المغرب الكبير ، ج ٢ ص ٦١١ ، أحمد مختار العبادي : دراسات ، ص ٧٢ .

(٥) ابن حيان : القتبس قطاعة خاصة عبد الرحمن الناصر مخطوطه ، ورقة ١١٥ ، البكري المصدر السابق ، ص ١٠٣ وما يليها ، ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٠٤ ، وراجع أيضاً :

= Lévi-provençal : Histoire, T. II, p. 96.

الناصر من احتلال ثغر طنجة المجاور لها (١) .
ولم يقتصر الأمر على ذلك ، بل تجاوز الأسطول الأندلسي أعماله المنفردة
إلى اشتباكات بحرية مع الأسطول الفاطمي وتوجيه الغارات على سواحل
أفريقية (٢) ، وبواسطة هذا الأسطول الأندلسي أمكن نقل قوات الجيش
الأموي عبر مضيق جبل طارق تدعياً للقوة الأندلسية بساحل العدو و بعض
مناطق مغربيه امتد إليها النموذ الأموي في فاس والمنطقة المجاورة لها ، ففي
عام ٣٣٣ هـ (٩٤٤ م) غزا محمد بن رماحس على الأسطول إلى بني محمد
بالعدوة ، وكان عدد سفن الأسطول خمس عشرة مركباً حربية وشينين
وفتاشاً (٣) ، وفي العام التالي غزا محمد بن رماحس قائداً على الأسطول
الأندلسي إلى أفريقية من المرية (٤) . كما أثبت الأسطول الأموي في عصر

السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ١١١ ، أحمد مختار العبادي
المرجع السابق ، ص ٧٣ .

(١) لم يرد في المصادر التاريخية تاريخ استيلاء الناصر على ثغر طنجة ، ويرى
الاستاذ الدكتور أحمد مختار العبادي أنه كان بن الطيحي بعد أن أقتل الناصر
سبته أن يحتل ثغر طنجة المجاور لها ، استناداً إلى أسارة ابن عذاري للتحصينات
التي أقامها تاهل الأندلس في هذه المدينة ، راجع « أحمد مختار العبادي :
دراسات ص ٧٤ » .

(٢) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٢١ وما يليها ، راجع أيضاً الهدوى
الأساطيل العربية ، ص ١٢١ .

(٣) العذري : ترصيع الاخبار ، ص ٨٤ ، فتاش : نوع من الراكب الحربية التي
عرفت بالأندلس أنظار ، « النخيلي : السفن الإسلامية ، ص ١١٥ » .

(٤) العذري : المصدر السابق ، ص ٨٢ .

الخلافة ايضاً قوته ، كفاءته ، ففي عام ٣١١ هـ (٩٥٥ م) ، أنشأ عبد الرحمن الناصر مركباً كبيراً لم يعمل مثله وسير فيه امتعته إلى بلاد الشرق فلقى في البحر فيه رسول من صقلية إلى المعز فقطع عليه اهل المركب الأندلسي ، واخذوا ما فيه واخذوا الكتب التي إلى المعز وبلغ ذلك المعز فعمر اسطولا واستعمل عليه الحسن بن علي صاحب صقلية وسيره إلى الأندلس فوصلوا إلى المريه ، فدخلوا المرسى وأحرقوا جميع ما فيه من المراكب واخذوا ذلك المركب وكان قد عاد من الأسكندرية وفيه امتعه لعبد الرحمن وجوار ومغنيات وصعد من في الأسطول إلى البر فقتلوا ونهبوا ورجعوا إلى المهدية (١) . وكان رد الفعل الأموي على ذلك ان امر عبد الرحمن الناصر « باطلاق اللعن على ملوك الشيعة بجميع منابر الأندلس واتخاذ كتبه بذلك إلى العمال بسائر الأقطار (٢) . كما جهز اسطولا اموياً مكرناً من ستين سفينة بقيادة امير البحر غالب بن عبد الرحمن وهاجم في عام ٣٤٥ هـ (٩٥٦ م) ارض سواحل افريقية من عمل الفاطميين ، وكان مرسى الخرز وساحل سوسة هدفاً

(١) ابن الاثير « ابو الحسن علي بن أحمد بن أبي الكرم » السكامل في التاريخ ، ج ٨ ، القاهرة ١٣٥٣ هـ ص ١٨٥ ، ميخائيل اماري المكتبة العربية المقلية مكتبة المتنبي ببغداد ، ليبسك ١٨٥٧ ، ص ٢٦٢

Dozy (R) : Histoire des Musulmans d'Espagne, T , II ,
Leyde. 1932. pp. 16.-165 .

السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٦١٢ ، ٦١٣ .

(٢) ابن عذاري : البيان المغرب ج ٢ ، ص ٢٢٠ ،

Levi-Provençal : Histoire. T. II. p. 108.

لهذه الغارة الانتقامية (١).

وهكذا تأكدت للبحرية الأندلسية السيطرة على مياه البحر المتوسط مسجلة بذلك تفوقها على القوى البحرية للفاطميين . ولم يقتصر نشاط الأسطول الأندلسي على التصدي للفاطميين من قاعدته المريه ، فلقد قام بغزوات بحرية إلى بلاد الفرنجة ، ففي المحرم ٣٢١ هـ (٩٣٣ م) عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر إلى قائده احمد بن عيسى بن احمد بن عبده باصلاح الاسطول بدار الصناعة بالمريه وتهذيبه وزيادة فيه وتجهيزه وذلك استعداداً لغزو بلاد الفرنجة ، واعد لهذا الغرض اسطولاً يتألف من عشرة مراكب وخمسة شواني مجهزة بالعدد والعدة ، والبحر إلى بلد الفرنجة ، إلا أن هذا الأسطول لم يلبث ان اصابه عطب بسبب سوء الأحوال البحرية فلم يتم الغزو ، ويعبر ابن حيان عن ذلك بقوله : « ... فاصابه من فيض غشت (اغسطس) مخرجه من جزيرة ميورقه هول ارتج به الجـو فعطب من مراكبه شنى واحد وقارب وانخرم سائر المراكب .. فلم يتم لها غزو (٢) » . وفي عام ٣٢٣ هـ (٩٣٤ م) ، غزا اسطول الاندلس بلاد الفرنجة بقيادة عبد الملك بن سعيد بن ابي حمامه ، وكان يتكون من اربعين مركباً وعشرين حراقة مجهزة بالنفط والآلات البحرية ، وعشرين مركباً مشحونة بالمقاتلة ، وبلغ عدد الجند المقاتلة الف مقاتل ومن البحريين الفين ، ثم غادر الاسطول ميناء المريه في رجب من هذه السنة ، ماراً بجزيرة

(١) ابن عذارى المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٢١ ، راجع ايضاً : سالم : المغرب

الكبير ج ٢ ، ص ٦١٣ .

(٢) ابن حيان « ابو مروان » : القتبس (قطعة من عهد عبد الرحمن الناصر ،

مخطوط ميكروفيلم رقم ٢٠٨ ، موجود بمعهد الخطوط بجامعة الدول العربية ،

القاهرة من مخطوطة الخزانة الملكية بالرباط ، رقم ٨٧ ، ورقة ١٢٨ .

ميورقه إلى ان وصل « بالش »^(١) من بلاد الفرنجة وفيها دارت معركة عظيمة بين العرب والفرنجة ، انتهت بانهزام الفرنجة ، وتقدم الاسطول العربى بعد ذلك إلى ميناء اينش^(٢) - وهو مرفأ ودار صناعة - فهدمه المسلمون واحرقوا المراكب الراسيه به والأرباض الممتدة حوله ، وبلغ عدد قتلى الفرنج فى هذه المعركة ما يزيد على اربعمئة قتيل ، ثم واصل الاسطول بعد ذلك سيره إلى برشلونه وهناك اعترضه على مقر به منها القائد الفرنجى بليط فى جيش كبير التحم مع العرب ، وكان النصر فى النهايه حليفاً للمسلمين وقتل بليط واغلب جنده ، ثم قفل الاسطول الأمري راجعاً بعد غزواته الناجحه إلى مدينه

(١) بالش : وردت هكذا فى المقتبس لابن حيان ، وقد اطلق هذا الاسم على اكثر من موضع بالاندلس ، مع تغيير فى رسم الكلمة فى كل مرة ، فسمها ابن البارلس من عمل لورقة « التكملة لكتاب الصلة ، الجزء الاول ، ص ٣٢١ » ، اما الادريسي فاورد حصن بالش من اقليم بجاية (صفة المغرب وارض السودان ومصر والاندلس) ص ١٧٥ ، ص ١٩٤) وورد فى ابن الخطيب بليش فى غرب مالقة ، وقد اطلق عليها بليش مالقة Malaga Vélez لجوارها من مدينة مالقة ، اما بلس لورقة رسمى حالياً Vélez Rubio o vélez Blanco « مشاهدات اسان الدين بن الخطيب » ص ٧٨ ، ص ٧٩ وراجع هامش ٦ من المصدر نفسه » ، فى حين ان بالش التى يذكرها ابن حيان فموضع آخر لعله يقع جنوب برشلونه ، استنادا الى ان الاسطول الاموى أبجر من ميورقة الى بالش من ارض الفرنجة — كما ورد فى المتن — وارجح انها بلدة ساحلية فى اقليم قطالونية .

(٢) لم نجد فيما بين ايدينا من مصادر جغرافية أو تاريخية ما يدل على موقع هذه المدينة .

طرطوشه سالماً غانماً (١).

ويفهم من كلام العذري ، انه في عام ٣٠٨ هـ (٩٣٩ م) خرج محمد بن رماحس قائد اسطول المريه زمن الناصر ، في حربيين برجالهما من اهل مريه بجانه إلى طرطوشه ، وركب من هناك في عشرة مراكب حربية واربعه شوانى وفتاش بالاضافة إلى حربيى المريه ، واجر إلى انبوريش (٢) فبلغ رأس الصليب (٣) على طوف جون انبوريش ، وبعد ان انهى مهمته عاد إلى طرطوشه ماراً ببرشلونه (٤).

وفي عام ٣٣١ هـ (٩٤١ م) غزا محمد بن رماحس قائد اسطول المريه في عصر الناصر إلى افرنجه مع غالب بن عبد الرحمن وسهل بن اسيد في ثلاثين مراكب حربية وستة شوانى فخرج من مريه بجانه في ١٣ من شوال من العام نفسه واكن سفنه تعرضت لعاصفه عاتيه فرقتها ، فتلوم بمرسى القبطه ،

(١) ابن حيان : المقتبس « قطعة من عهد عبد الرحمن الناصر ، مخطوط ، ورقات ١١٣ ، ١٤١ ، ١٤٥ ».

(٢) انبوريش ولعل المقصود بها امبورياس Ampurais الواقعة شمال برشلونه على الساحل الشمالى الشرقى لاسبانيا ، انظر عن هذه المدينة ما جاء هنا في البحث ص ١٥ ، ١٥٠ .

(٣) كذا بالاصل ولم اعرف مايقابلها فيما بين ايدينا من مصادر جغرافية او تاريخية .

(٤) العذري : ترصيع الأخبار ، ص ٨١ ، حربية والجمع « حربيات » وحرابي ، عرف بها المقرئى اذ يقول : « فالحربية هي التى تلتصق بالجزو المقاتلة ، (المقرئى تقى الدين أحمد بن على بن عبد القادر بن محمد) كتاب المواظ والاهتبار بذكر الخطط والاثار ، ج ٢ ، طبعة يولاق ، القاهرة ، ١٢٧٠ هـ ، ص ٨٩ ، وانظر ايضا النخيلى السفن الاسلامية ، ص ٢٧ .

أما القائدان غالب وسهل فقد لجئنا إلى سهل منبسط ، فغنا به ثم عادا إلى المرية (١) .

ونستدل مما سبق ان ذكرناه ان المربة حظيت في عصر الخلافة بشهرة عالية باعتبارها القاعدة الرئيسية لاساطيل الأندلس ، وكان خليجها العميق يضم معظم وحدات الاسطول الاموي في الأندلس (٢) ، الذي كان يتألف من مائة سفينة ، وكانت دار الصناعة بالمربة تتابع انتاجها الوفير للسفن الحربية والمعدات الحربية ، وفي ذلك يقول ابن غالب الأندلسي « وبالمربة دار الصنعة وسورها على ضفة البحر ، وقد استقرت فيها العدة والآلات للسفن وما يقوم به الاسطول » (٣) .

وكانت المربة حتى أوائل القرن الرابع الهجري لا تعدو رباطاً للجهاد ينتجعه المجاهدون ويرابطون فيه (٤) ، ثم ظهرت أهمية ميناء المربة كقاعدة بحرية لاسطول الأندلسي منذ عام ٣٢٨ هـ (٩٣٩ م) عندما عين الخليفة الناصر أول وال من قبله علي بجائه ، فأنخذ هذا والي من ميناء المربة منطاقاً لعملياته البحرية (٥) . وأكدت هذه العمليات البحرية حقيقة هامة وهي ان قاعدة الاسطول الحقيقية هي المربة وليست بجانية ، التي تقع في الداخل ،

(١) العذري : المصدر السابق ، ص ٨٠ .

(٢) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المربة ، ص ٣٧ .

(٣) ابن غالب « الحافظ محمد بن ايوب » : قطعة من فرجة الانفس في تاريخ

الأندلس ، تحقيق اطفى عبد البديع ، « مجلة معهد المخطوطات العربية - جامعة

الدول العربية » المجلد الأول ، الجزء الثاني ، نوفمبر ١٩٥٠ م ، ص ٢٨٣ .

(٤) الجبري : الروض المعمار ، ص ١٨٣ .

(٥) العذري : ترصيع الاخبار ، ص ٨١ .

ولما لاشك فيه ان عمليات الاسطول تتطلب سرعة في الحركة والتزود بالمعدات والمؤن وهو أمر يتمثل في المريه يضاف إلى كل ذلك ما تتميز به المريه من خليج شديد الاتساع والعمق ، يتسع لعدد كبير من السفن ، كما يتميز هذا الخليج بهدوء مياهه وقلة امواجه ^(١) ، وإلى جانب هذا تتميز المريه بحصانة الموقع ومناعة الدفاع فحولها تتوزع حصون وقلاع تزيد من قدراتها الدفاعية مثل حصن برجه وحصن شنش ، والحصانه والمنعة من الشروط التي يجب توافرها في المدن الساحلية ، وفي ذلك يقول ابن خلدون : « ومما يراعى في البلاد الساحلية التي على البحر ان تكون في جبل أو ان تكون بين امّة من الامم موقوفة العدد تكون صريحاً للمدينة متى طرقها طارق من العدو والسبب في ذلك ان المدينة إذا كانت حاضرة البحر ولم يكن بساحتها عمران للقبائل اهل العصبية ولا موضعها متوعر من الجبل كانت في غرة للبيات وسهل طروقها في الاساطيل البحرية على عدوها ^(٢) . كذلك يشترط ابن خلدون في المدن الساحلية والموانى ان تكون قريبة من نهر أو يكون بازائها عيون غلبة ، « فان وجود الماء قريباً من البلد يسهل على الساكن حاجة الماء وهي ضرورية فيكون لهم في وجوده مرفقه عظيمة عامة » ^(٣) .

لذلك كله اهتم الخليفة الناصر بمرية بجانة وأمر في عام ٣٤٤ هـ (٩٥٥ م) بتمصير مدينة المريه وبنائها وأدار حولها سوراً ^(٤) يحميه الحراس

(١) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المريه ، ص ٤٢ .

(٢) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٣٤٩ .

(٣) نس الصدر ، ص ٣٤٨ .

(٤) الجبى : الروض العطار ، ص ١٨٣ .

والسهار^(١) وأصبح كل وال تسند إليه ولايتها وولاية بجانه إلحاقاً^(٢) .

وأخذت المريه من ذلك التاريخ تنمو ويتسع عمرانها على حساب جارتها بجانه ، فانقلب الوضع وصارت المريه أشهر المراسى وقاعدة القيادة العليا للأسطول^(٣) ، منها يخرج لغزو الأفرنج^(٤) . بينما خربت بجانه وتحولت إلى قرية صغيرة^(٥) . وفي عام ٤٠٢ هـ (١٠١١ م) انتقل أهل بجانه إلى المريه فكان ذلك إيذاناً بنهايتها^(٦) .

وحرص الحكم المستنصر منذ توليه الخلافة على تدعيم قاعدة المريه ، ففي عام ٣٥٣ هـ (٩٦٤ م) ، انتقل إليها بنفسه لتوقعه غزواً فاطمياً محتملاً ، وللمعاينة ما استكماله بها من أعمال التحصينات ومطالعة حال رابطة القبطه والوقوف على خال الرايا بتلك الجهة^(٧) . إذا كانت قاعدة المريه تضم معظم قطع الأسطول الخلافي لقرىها من سواحل أفريقيه ، في حين كانت أشبيلية

(١) ابن فضل الله العمري : جزء من كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، بعنوان وصف إفريقية والمغرب والاندلس ، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب ، ص ٤٥ .

(٢) ذكر العنزي في ترصيع الأخبار ، ص ٨٢ ، عددا ممن تولوا إمارة البحر وولاية المريه وبجانه ٤٠٠ هـ ، وانظر أيضا ، العبادي : دراسات ، ص ٢٩٠ .

(٣) ابن حيان : المقتبس ، نشر عبد الرحمن الحجى ، ص ٢٨ ، وانظر أيضا ، العبادي المرجع السابق ، ص ٢٩٧ .

(٤) العمري : المصدر السابق ، ص ٤٥ .

(٥) ابن حيان : المقتبس ، نشر عبد الرحمن الحجى ، ص ٢٨ .

(٦) العنزي : ترصيع الأخبار ، ص ٨٢ .

(٧) ابن حيان : المقتبس ، نشر عبد الرحمن الحجى ، ص ٨١ .

مقراً للأسطول المرابط على سواحل المحيط لمواجهة خطر الغزو النورماندى (١) .

ولقد تعرضت الأندلس على عهد الحكم المستنصر لثلاثة غارات نورماندية من جهة الغرب وفي مياه المحيط الاطلسى . ففى أول رجب ٣٥٥ هـ (٩٦٥ م) كانت غارة النورماندين التى هاجموا فيها قصر أبى دانس فى ثمانية وعشرين مركباً ، مما اوقع الاضطراب فى اهل ذلك الساحل الغربى للأندلس ، خاصة بعد وصول النورمان إلى بسيط اشبونه ، التى دارت بها معركة حامية بين النورمان والمسلمين اسفرت عن مقتل عدد كبير من الجانبين ، وهزيمة النورمان هزيمة ساحقة ، ثم تمكن اسطول اشبيلية من اللحاق بالاسطول النورماندى عند مصب وادى شاب ، وتحطيم معظمه واسترداد ما كان فيه من اسرى المسلمين (٢) . ولم يستطع النورماندون ان يعاودوا غاراتهم التالية على الأندلس إلا بعد ذلك بخمس سنوات .

اما الغارتان النورمانديتان اللتان اعقبتا تلك الغزوة ، فقد تمتا فى سنتى ٣٦٠ هـ ، ٣٦١ هـ (٩٧٠ م ! ٩٧١ م) ، ويغلب على الظن ان النورمان لم يتمكنوا خلالها من النزول بالسواحل الأندلسية بفضل شدة بأس الاسطول الأندلسى ويقظته بحيث امكنه فى سهولة ويسر من التصدى اسفنهم وابادة معظمها .

ولا شك ان هذه الغارات النورماندية دفعت الحكم المستنصر إلى زيادة عدد قطع الاسطول الأندلسى ، فارتفع عدده من ثلاثمائة (٣) إلى ستمائة جن

(١) ابن هزاري : البيان العرب ، ٢ ، ص ٢٢٦ .

(٢) نفس المصدر والجزء ، ص ٢٣٩ .

(٣) ابن الخطيب (اسان الدين) : اعمال الاعلام فيمن بويغ قبل الاحتلال من =

ما بين غزوى وغيره (١) .

وفي عهد هشام المؤيد الذي خلف اياه المستنصر على دست الخلافة بقرطبه في سنة ٣٦٦ هـ (٩٧٦ م) ، واصل حاجبه محمد بن عبد الله بن ابي عامر الملقب بالمنصور (٢) الاهتمام بالاسطول الاندلسي ، واستعان بهذا الاسطول في نقل قواته ومعداته إلى العدو المغربي للاحتفاظ بساطان الامويين هناك . كما استخدم بعض وحدات الاسطول في حملاته على ساحل قطلونية عام ٣٧٤ هـ (٩٨٥ م) ، وفي نقل المشاه من جنوده في المحيط الاطلسي في حملته على جليقية او غاليسية Galicia غربا ٣٨٧ هـ (٩٩٧ م) وهي الحملة التي دمرت مدينة شنت ياقب Santiago de Compostella القاعدة الدينية لاسبانيا المسيحية (٣) . وفي سنة ٣٨٧ هـ (٩٩٧ م) أنشأ المنصور اسطولا كبيرا في الموضع المعروف بقصر ابي دانس من ساحل غرب الاندلس وجهره برجاله البحريين وصفوف المترجلين ، وحمل الاقوات والاطعمة والعدة والاساحه (٤) . كما وصف احد الشعراء المعاصرين الاسطول الذي انشأه المنصور بن ابي

= ملوك الاسلام « الجزء الخامس بالاندلس » تحقيق ابي بروفنسال ، انطبعة الثانية بيروت ، دار المكشوف ، ١٩٥٦ ، ص ٤٢ .

(١) مؤلف مجهول : اخبار مجموعة ، ص ١١٢ ، والجفتة أشبه شيء بالقصعة وبذلك تتمدد ابعادها ، اذ هي سفينة دائرية من سفن الغزو والحرب ، والجفن الغزوى كثيرا ما يستعمل في الاندلس ، « النحيلي السفن الاسلامية » ، ص ٣٣ وما يليها .

(٢) ابن هزاري : البيان المغرب ، ص ٢٠ ، ص ٣٥٦ .

(٣) ابن هزاري : البيان المغرب ، ص ٢٠ ، ص ٣٩٥ وما يليها ، وراجع ايضا أحمد مختار التمددي ، دراسات ، ص ٢٨٨ وما يليها .

(٤) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، « القسم الخامس بالاندلس » ، ص ٦٧ .

عامر (١) ، ويعلق المقرئ على هذا الوصف بقوله : « وقد اطنب الناس في وصف السفن واطابوا ، وقرطسوا القريض واصابوا » (٢) .

وعندما اخذت الخلافة الاموية في الاندلس تتدهور بعد سقوط الدولة العامرية وما تبع ذلك من احداث انتهت بسقوط الخلافة الاموية ٤٢٢ هـ (١٠٣٠ م) ، اختفت البحرية الاموية تماماً في لاندلس واخذ نجم القوى البحرية الانداسية يأفل وسرعان ما دخلت الاندلس بعد ذلك في فترة سياسية مضطربة ادت إلى انهيار وزوال وحدتها السياسية والحربية معاً (٣) وتوزع رؤساء الطوائف المنتزعين في مختلف ثغور الاندلس الأسطول الأموي فيما بينهم (٤) ، ولكن المربه ظلت تحتل المركز الأول بين القواعد البحرية في

(١) يصف ابن دراج القسطلی الاسطول الذي أنشأه المنصور بن ابی عامر فيقول :

تحمّل منه البحر بحراً من القنا	يروع بها امواجه ويهول
بسكل مهلات الشراع كأنها	وقد حملت اسد الحقائق ذيل
إذا سابقه شأو الرياح تخيلات	خيولا مدى فرسانهن خيول

(القسطلی « ابو عامر أحمد بن محمد بن دراج » ديوان ابن دراج القسطلی

تخقيق محمود علي مكي ، الطبعة الأولى ، منشورات المكتب الاسلامي بدمشق ،

١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م ، ص ٥٥ ، وقد أورد المقرئ هذه الايات ، المقرئ : « نفع

الطيب ، ص ٥٠ ، ص ٢٢٧ » .

(٢) المقرئ : نفس المصدر ، ص ٥٥ ، ص ٢٢٧ .

(٣) ابن عذارى : البيان المغرب ، ص ٣ ، ص ٤٣ وما يليها ، ابن الخطيب : أعمال

الأعلام « القسم الخاص بالاندلس » ، ص ٨٩ وما يليها .

(٤) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية ، ص ٤٨ ، وانظر أيضاً :

Henri pérès : La poesie andalouse en arabe classique au

Xle siècle. Paris. 1937. p. 24.

الأندلس زمن ملوك الطوائف ، فحينما استقل بحكم المريه معن بن ضباح التجيبي
المسلقب بالمتصم ٤٣٣ هـ (١٠٤١ م) ، كان كل غايته العناية باسطوله ، ويروى
ابن خاقان في القلائد : « ان المعتصم اشتغل بترميم اساطيله ^(١) ، كما انه - اي
المعتصم - « لم يزد على مراعاة امر جواريه وفلكه » ^(٢) . ولهذا كان اسطول
المعتصم موضع حديث الشعراء الذي عاينوه ، وقد رصف الشاعر ابن الحداد
اسطول المعتصم بن ضباح وتضمن شعره اشارات إلى الات النفط التي كان
يتزود بها ^(٣) غير ان هذا الأسطول لم يلبث ان احرقت معظم قطعه على يدي
معز الدولة بن المعتصم ، الذي ايقن بتغلب المرابطين على ملكه ، فقد امر معز
الدولة رجاله بنقب السور خارج باب موسى إلى دار الصنعة ، وركب بمن
اختص به في قطعة ، وحمل المال والمتاع في ثنتين ، احرق باقي الاجفان
خشية الاتباع فأمن عاديتهما ^(٤) ، وأوى إلى دولة بني حماد وملكها إذ ذاك

(١) ابن خاقان « الفتح » : قلائد العقيان ، طبعة مصر ، ١٢٢٠ هـ ، ص ٤٨ .

(٢) نفس المصدر والصفحة

(٣) يقول ابن الحداد :

هام صرف الردى - هام الاعادي ان سميت نحدوهم لها اجيد
وترات بشرعها العيون دأبها مثل خائف سهاد
ذات هذب من الجواديف حاك هذب باك لدمعة اصعاد
حسم هونها من البيض نار كل من ارسلت عليه رماد
ومن العظ في يدي كل در الف حظها على البحر صاد
« في المقرئ : نفيع الطيب ، ص ٥ ، ص ١٩٨ » .

(٤) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، « القسم الخاص بالأندلس » ، ص ١٩٢ .

المنصور بن الناصر ، فقر به واحسن إليه » (١) واقطعه تدلس بالجزائر (٢) .

(١) ابن الكردبوس « ابو مرواث عبد الملك » : كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء ، القسم الخاص بالاندلس ، معهد الدراسات الإسلامية بمطريد ، ١٩٧١ ، ص ١٠٠ ، وقد خلف المنصور بن الناصر ابن علفاس بن حماد والده الناصر عام ٤٨١ هـ ، وكان المنصور مولما بالبناء والتشييد فأسس جامع بجاية ، وجدد قصورها وشيد العديد من القصور منها قصر المنار وقصر الكواكب وقصر السلام ، « راجع السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ص ٢٤٤ ٦٨٤ » .

(٢) ابن الخطيب : أعمال الأعلام « القسم الخاص بالمغرب » ، ص ٩٧ ، وراجع أيضا : السيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص ٦٨٤ ، و « تدلس » Dellys بفتح التاء والذال المهملة وتشديد اللام ، مدينة بالجزائر على ساحل البحر المتوسط ، « ابن الخطيب : المصدر السابق ، ص ٩٧ ١٠٥٤ » .

الفصل الثاني

المريه في عهد خيران وزهير العامرين

أولا : النظام الاداري في المريه منذ انشائها حتى قيام دويلات الطوائف

حظيت المريه منذ ان اسسها عبد الرحمن الناصر في سنة ٣٤٤ هـ (٩٥٥ م) باهتمام خاص منه ومن خلفائه لعظم اهميتها وخطورة مكانتها كقاعدة رئيسية لاسطول الاندلس . وقد نمت المريه في عصر الخلافة واصبحت قاعدة كوره (١) تابعة لقرطبه . وبينما نجد في الاندلس كوره تنسب إلى حواضرها مثل كورة اشبليه (٢) ، وجيان ومالقه وريه ، نجد بعض الكور لا تنسب إلى حواضرها او قصباتها مثل كورة البيرة وقصبتها مدينة قسطله (٣) .

(١) الحميري : الروض المطار ، ص ١٨٢ — ١٨٤ ، قسمت الاندلس اداريا الى كور « جمع كورة » على نحو ما كان متبعاً في مصر والشام في صدر الاسلام ، وكورة لفظة يونانية الأصل من (Guria) وكانت تقابل كلمة pagarchie في النظام البيزنطي ، راجع : Lévi-provençal : Histoire. t. III p. 48 ويعرف باقوت الكورم بانها : « كل صقع يشتمل على عدة قرى ولا بد لتلك القرى من قصبة أو مدينة أو نهر يجمع أسمها ذلك اسم الكورة » (معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٣٦) ، وظهر اصطلاح كورة في الاندلس لأول مرة في عهد الوالي ابي الخطار الحسام بن ضرار الكلبي وذلك عندما أراد أن يجد حلاً للجند الشاميين الذين دخلوا الاندلس سنة ١٢٣ هـ مع بلج بن بثر القشيري ، « راجع ابن عذاري : البيان للغرب ، ص ٢٠ ، ٣٠ ، ٣١ » .

(٢) الحميري : المصدر السابق ، ص ٢٠ ، ابن غالب : فرجة الأنفس ، ص ٢٩٢ وما بعدها .

(٣) ابن غالب : المصدر السابق ، ص ٢٨٢ .

ويعرف ياقوت الاقاليم ، ويعتبره خاصا بأهل الاندلس فيعبر عن ذلك بقوله : « والاصطلاح الثانى لأهل الاندلس خاصة فانهم يسمون كل قرية كبيرة جامعة اقلية ، وربما لا يعرف هذا الاصطلاح إلا خواصهم وهذا قريب عما قدمنا حكايته عن حمزة الأصفهاني فاذا قال الاندلسي انا من اقليم كذا فانما يعنى بلدة أورستاقا بعينه » (١) .

وللعذري نص - غير كامل - يشير إلى ان الكور كانت تنقسم إلى اقاليم يتبع كل اقليم عدد من القرى (٢) .

ونخلص مما سبق ان المريه كانت قاعدة كوره وانها كانت تنقسم بدورها إلى أقاليم ، يتضمن كل منها عدداً من القرى . وكان يطلق على كل ما يدخل في نطاق الكورة أو الاقليم اسم عمل (وجمعه اعمال) (٣) ، أو حوز (٤) (وجمعها أحواز) أو نظر (٥) أو ولاية (٦) .

وأيا ما كان الأمر ، فالمعروف ان كور الاندلس كانت تسند إلى

(١) ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ص ١٥٥ ، الحميري : الروض المطار ، الترجمة الفرنسية ص ٢٥٧ .

(٢) العذري : ترصيع الأخبار ، ص ١٠ ، ص ٢٠ ، ص ٢٣ ، ص ٩٠ .

(٣) ياقوت : المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٥٩ ، ج ٢ ص ٢٧٦ ، ص ٣٧٦ ، الحميري : المصدر السابق ، ص ٥٩ وما بعدها .

(٤) ابن غالب : فرحة الأنفس ، ص ٢٨٢ وما بعدها ، الحميري : المصدر السابق ، ص ١٨٨ .

(٥) الحميري : المصدر السابق ، ص ١٠٤ .

(٦) ياقوت : المصدر السابق ، ج ٦ ص ٤٣ ، الحميري : المصدر السابق ، ص ١٦٢ .

عمال (١) يعينهم الخليفة بنفسه (٢) ، يقومون عنه في جميع المناسبات بإدارة كل ما يتعلق بالكورة أو المدينة من شئون عسكرية ومالية وغيرها ، في حين كان يتولى إدارة المدن الواقعة في مناطق الثغور قواد عسكريون (٣) .

وكان ولاية الكور وقواد المدن يقيمون في مركز الكورة أو المدينة ويعرف بالقاعدة (٤) ، أو الحاضرة (٥) ، أو القصبة (٦) ، كانت تتمثل فيها نماذج مصغرة من مختلف مكاتب الإدارة الموجودة في العاصمة قرطبة ، فكان يوجد قسم خاص لمكاتبات العمال والقادة الرسميه لإبلاغ الخليفة بكل ما يتعلق بشئون مدنيهم وكورهم (٧) ، وكان من مهام عمال الكور الاشراف على إعداد الجند وحشدهم من القرى والنواحي عندما يتطلب الأمر القيام بغزو (٨)

(١) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق عبد الرحمن الحجى ، ص ١٧٠ ، ابن عذاري :

البيان المغرب ، ص ٢٠٢ ، ص ١٠١ ، ص ١٦٤ ، ص ٢٠٢ .

(٢) ابن حيان : المصدر السابق ، ص ١٧٥ وما بعدها ، ابن عذاري : المصدر السابق

ص ٢٠٢ ، ص ١٩٠ ، ص ٢٨٣ ، الجبري المصدر السابق ، ص ٢٠ ، ص ١٤٩ ، ص ١٥٠

(٣) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق عبد الرحمن الحجى ، ص ٢١١ ، ابن عذاري :

البيان المغرب ، ص ٢١٠ ، ص ٢٨٧ .

(٤) الجبري : الروش المطاوع ، ص ١٢ ، ص ٢٨ ، ص ١٠٦ ، ص ١٨٨ ، ياقوت :

معجم البلدان ، ص ٢٠٤ .

(٥) ابن غالب : فيحة الأنفس ، ص ٢٩١ ، ص ٢٩٢ ، ص ٢٩٤ .

(٦) ياقوت : المصدر السابق ، ص ٧ ، ص ٢٦ ، ص ٣١٩ .

(٧) ابن حيان : المصدر السابق ، صفحات ٧٥ ، ٨٩ ، ٢٢٧ ، ابن عذاري :

المصدر السابق ، ص ٢ ، ص ١٧٦ ، ص ٢٣٧ .

(٨) ابن عذاري : المصدر السابق ، ص ٢ ، ص ١٧٦ ، ابن الخطيب : أعمال =

والنظر في جباية الأموال المفروضة على الأهالي وإرسالها إلى قرطبة (١) بعد أن يستقطع الأمين (٢) ، وهو القائم بهذه الأعمال ، منها رواتب الموظفين ونفقات الجند .

وكان تنصيب العمال وعزلهم يتهم بأمر الخليفة شخصياً (٣) ، وكانت مجرد شكوى واحد من أهالي الكورة ضد الوالي تكفي لأن يتهمه الخليفة بأساءة استعمال السلطة (٤) ، وكان ذلك الاتهام كنيلاً بعزله وإنزال العقاب الذي يوقعه الخليفة عليه ، فقد حدث أن عزل المنصور القائد عبد الرحمن بن مطرف عن سرقسطة بسبب شكوى أهل النغور منه ، فصدر الأمر بالقبض عليه ومحاسبته ثم قتله (٥) .

وإذا بحثنا في وضع المربية باعتبارها قاعدة لإحدى كور الاندلس في بداية الفترة موضوع البحث ، نجد أن رئاسة المربية وبجائته منذ عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر قد اسندت إلى قائد البحر محمد بن رماحس (٦) ، الذي كان

الاعلام « القسم الخاص بالاندلس » ، ص ٢٣ .

(١) ابن الأبار : الحلة السراء ، ص ١٠٤ ، ابن عذاري : المصدر السابق ،

ص ١٢٥ .

(٢) ابن الفرضي « أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي » : تاريخ علماء

الاندلس ، نشر كورير ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، مصر ١٩٦٦ ص ٢١٧

« ترجمة ٨١٠ » .

(٣) ابن عذاري : المصدر السابق ، ص ١٩٠ ، ص ٢٨٣ .

(٤) نفس المصدر : ص ٢٩٣ .

(٥) نفس المصدر : ص ٢٨٣ .

(٦) العذري : قرصيع الاخبار ، ص ٨١ ، وانظر أيضاً ، أحمد مختار العبادي :

دراسات في تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٢٨٩ .

مسئولا في ذلك الوقت عن التجنيد في مدينتي بجانه والبيره (١) . وكان ابن
رماحس عندما يعهد إليه الخليفة بالغزو يستخلف على المريه وبجانه مكانه
ابنه عبد الرحمن بن محمد بن رماحس وقاسم بن عبد الرحمن بن مطرف (٢) ،
واستمر محمد بن رماحس في ولايته عليها إلى أن دس له المنصور بن أبي عامر
مما قضى عليه في سنة ٣١٩ هـ (٩٨٠ م) (٣) .

ويورد العذري ثبثاً فريداً في نوعه بعدد الولاة الذين اسندت إليهم ولاية
المريه وبجانه بعد ابن رماحس حتى سنة ٤٠٠ هـ (١٠٠٩ م) يقول فيه : « ثم ولى
ابن مسلمه ثم ولى القاسم بن القاسم بن عبد الرحمن سنة ستة وثمانين وثلثائة ، ثم ولى
ابن حدير ، ثم ولى ابن فرجون المعروف بالربولوا (٤) ، وكان صاحب الشرطة
القائد على بجانه والمريه في سنة ثلاث وتسعين وثلثائة محمد بن عبد الله بن حمد بن
ثم ولى ابن صاعد ، ثم ولى عبد الرحمن بن رويش بجانه والمريه واعمالها سنة
اربعمائة ووليها معه افلاح العبد وشاركه في الولاية ، ووقع بينهما خلاف إلى
ان تقاتلا ، وافلاح هذا في قصبة المريه وعبد الرحمن في مدينتها ، ثم خرج عبد

Lévi—provençal : Histoire, t. III, p. 109.

(١)

(٢) العذري : المصدر السابق ، ص ٨١ ، ٨٢ .

Lévi—provençal; Op. cit., p. 109

(٣)

أحمد مختار العبادي المرحوم السابق ، ص ٢٨٩ .

(٤) والربولوا : بضم كل من الراء المهملة والياء الموحدة من أسفل ثم واو ولام
بعدها واو والفاء ، هكذا تشكيل الكلمة في العذري ، ترميم الاخبار ، ص ٨٢ ،
وأقرب التفسيرات لهذه اللفظة انها مشتقة عن الاسبانية Royo, Rojo, Rubio
Robbio أى لأحمر ، وابن الربو أو الربول أى ابن الأحمر ،
= (Simonet « Francisco » ; Glosario de voces Ibéricas y

الرحمن هذ من المريه هارباً واستجلب البربر ونزل في جامع بجانه ، ودخل عليه

Latines usadas entre los mozarabes, Madrid, 1888, p.498); =

أو من Robo بمعنى سرقة أو من روبربو المشتقة من Riobarbo ربما تعني
نهر الفالوجا أو الدانوب حيث تنبت بعض الأعشاب البرية باسم barbar
(Simonet : Op. cit., p. 486;

أو من Rodavallo ، وتم ثي نوعا من السمك ويعطى اللفظ معنى الشيء الذي
يدور مثل العجلة ، (Simonet : Op. cit., p. 492) أو من Rebollo
وهو نوع من الاشجار العالية ، أو Repollo بمعنى الكرنب (راجع القواميس
الاسبانية) ، أو عن Rebellion بمعنى ثورة أو عصيان ، ومن بين هذه
التفسيرات نميز ثلاث :

أولها ، أن يكون المقصود بربولوا الاحمر أو الاذقر ، والثاني ، أن تكون
الكلمة مشتقة من Robo بمعنى سلب أو نهب اذ أن طبيعة عمل ابن مرجون
تعبّر عن هذا المعنى ، ومع هذا فقد يكون المراد من كلمة روبولوا القرصان
فأطلق من ثم عليه هذا اللقب ، ومما يقرب ترجيحنا لذلك احتمال أن يكون أصله
من جماعات البعريين الذين استوطنو بجانه وواصلوا الاغارة على سواحل فرنسا
الجنوبية وشمال وجنوبي ايطاليا خلال القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) ،
ومن ثم أطلق عليهم المستشرقون لقب القراصنة ، اما التفسير الاخير وهو ارجاع
الاشتقاق الى لفظة Riobarbo ، نسبة الى نهر الفولجا أو الدانوب حيث تنبت
بعض الاعشاب البرية باسم barbar ، وفي هذه الحالة يحتمل أن يكون من
الصقالبة واطلق عليه هذا اللقب ، ومع ذلك فنحن نميل الى ترجيح التفسير الاول
وفي هذه الحالة يصبح المعنى ابن الاحمر أو الاشقر ، وانتبه هذه الفرصة لأوجه
جليل شكري الى أستاذي الدكتور أحمد مختار المبادئ على تفغله بتفصيله الى وجود
معجم سيمونت الذي استعنت به في تحقيق هذه اللفظة .

في مقصورتها وفي جامعها وقتل هناك ، واستجلب رأسه وجثته إلى المريه « (١) .

ثانياً : انتزاع خيران العامري بالمريه

وهكذا تولى أمر المريه منذ نشائها ولاية من الحكومة المركزية بقرطبه إلى ان سقطت الدولة العامريه بمصرع شنجول (٢) بن المنصور بن ابي عامر ، وعلى اثر ذلك (٣) وما ترتب عليه من انهيار الخلافة الاموية وتفكك الوحدة

(١) العذري : ترصيع الاخبار . ص ٨٢ ، والجدير بالذكر أن هذا النص لم يرد في أي من المصادر المعاصرة أو للتأخره زمنيا عن الفترة موضوع البحث مما يدل على أهميته خاصة وأن العذري من ثقافة مؤرخي الأندلس .

(٢) شنجول أي (Sanchuelo) وهو تصغير شانجو من أسماء خثوانته حكم نافارا ، وكان أبوه المنصور بن ابي عامر قد تزوج ابنة شانجه بن فرسيه بن فرذند ملك نافارا ، والتي اعتنقت الاسلام وتسمت باسم عبدة ، فيذكر ابن الخطيب : « انها كانت من خيرات نساءه دينا متينا وحسبا أصيلا » وانجب منها المنصور عبد الرحمن الذي اطلقت أمه عليه شنجول ذكرى لأبيها ، « ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ٣٨ ، ابن الخطيب : أعمال الاعلام / القسم الخامس بالأندلس ص ٦٦ ، ابن الكردبوس (أبو مروان عبد الملك التوزري) : تاريخ الاندلس : تحقيق أحمد مختار العبادي ، معهد الدراسات الاسلاميه بمدريد ، مدريد ١٩٧١ ، ص ٦٦ ، هـ ٥ » .

(٣) ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٢ ص ٧٧ ، ابن الخطيب : المصدر السابق ص ١١٢ .

السياسية في الاندلس اشتعلت نار الفتنة البربرية ، فقد عمل البربر على التدخل تعيين الخلفاء وعزلهم والتعصب لخليفة ضد آخر ، فادى ذلك إلى نشوب الفتن وانتشار الفوضى وترتب على ذلك احتدام الصراع بين الحموديين والمروانيين للظفر بالخلافة مما شجع بعض رؤساء الاندلس وقادتها على اعلان انفصالحم عن السلطة المركزية التي فقدت هيبتها وتراخت قبضتها على الاقاليم منذ بداية الفتنة .

قانتزى الرؤساء والقواد والولاة على اختلاف اجناسهم في سائر انحاء الاندلس واقتسموا خططها ، واستبد كل منهم بما تغلب عليه من النواحي ، وانتحل لنفسه لقباً ملوكياً ، ويعبر ابن بسام عن ذلك بقوله : « فأضحت اقطار الجزيرة يومئذ كبنى الاعيان واهابها كما قال اخو بنى عدوان » (١) . فامتلك البربر جنوبى الاندلس بأكمله ، بينما اختص الصقالبة العامريون بشرق الاندلس ، اما البلديون من اهل الاندلس سواء اكانوا عرباً ام بربراً أم من أصول اسبانية تعربت بمرور الوقت فقد اسسوا أربع دويلات هي : مملكة

(١) هذير الحى من هذيرا ن كانوا حية الارض

بنى بعض على بعض فم برعوا على بعض

« راجع ابن بسام (ابو الحسن على) : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، القسم

الثانى ، المجلد الاول ، تحقيق لطفى عبد البديع ، الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٧٥ ، ص ٤ ، اخو بنى عدوان : هو ذى الاصبيع العدوانى وأسمه حرثان

بن عمرو بن عدوان بن عمرو بن هيلان وكان جاهلياً ، وعزيز الحى من تولهم

اعذر من نفسه اذا أمكن منها بات يكثر عيبه وفساده ، ومنه الحديث لمن بهم الك

الناس حتى يعذروا من أنفسهم ، وفي بعض النسخ يذيرى ، (حاشية نفس المصدر

رقمى ٢ ، ٣) .

سرقسطه ، ومملكه طليطله ، ومملكه بطليموس ، ومملكه اشبيلية (١) ، وفي خضم هذا الصراع انتزى خيران العامري بالمريه . وكان خيران فتي صقليبا من بين جماعة الفتيان العامريه (٢) الذين زحرت بهم قرطبه بعد استيلاء سليمان المستعين عليها . والصقالبه اسم اطلقه العرب على الرقيق المجلوبين لهم من

(١) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ مدينة المريه الاسلاميه ، ص ٥٨ .

(٢) الصقالبه ، جمع صقلبي ، بالاسبانية Esclavos وبالانجليزية Slave (راجع شروح عبد الرحمن الحجي على هذا اللفظ في ان حيان : المقتبس ، ص ٤٨ ، ١٥) وبالفرنسية Esclave ومعناها عبد أورقيق ، وهي التسمية التي أطلقها الجغرافيون العرب في العصور الوسطى على الشعوب السلافية التي كانت تسكن البلاد المتداية من بحر فزوين شرقا الى البحر الادرياتي غربا وهي البلاد التي كان يطلق عليها في العصور الوسطى باغاريا العظمى ، راجع في هذا :

(متن : الحضارة الاسلاميه ، ص ٢٦٨ ، أحمد مختارالمبادي : الصقالبه في أسبانيا لمح من أصلهم ونشأتهم وعلاقتهم بحركة الشعوبيه ، المعهد المصري للدراسات الاسلاميه بمديد ، ١٩٥٣ ص ٨ قيام دولة المماليك الاولى في مصر والشام ، ص ١٧) ، وكانت هذه القبائل السلافية قد نزحت في أول الأمر شمال البحر الاسود ونهر الدانوب ثم أخذت تنزح غربا وجنوبا نحو أواسط أوروبا ، واضطروا لهذا السبب الى محاربة الشعوب التي اعترضت طريقهم كالكسوت والهور وغيرهم مما أدى الى تكاثر الأسرى بين الجانبين وكانت من عادات تلك الشعوب بيع أسراهم يبيع الرقيق (راجع جورجى زيدان ، تاريخ التمدن الاسلامي ، مراجعة وتعليق حسين مؤنس ، دار الهلال القاهرة ١٩٥٨ ، ص ٢٢٣) ، اذا كانت الحياوش الجرمانية في غزرها بلاد السلاف تكثر من سبي ذراريتهم ، ثم تقبل على بيعهم في طريق غزوهم لعرب أسبانيا ، راجع في هذا : (Lévi-provençal : L'Espagne : Musulmane aux xème siècle, Paris, p. 54) ;

السلاف ثم شاع هذا الاسم واصبح يطلق على جميع الارقاء المجلوبين من البلدان الاوربيه ، ويذكر الرحالة ابن حوقل الذي زار الاندلس في القرن الرابع الهجرى (أو اسط القرن العاشر الميلادى) ان الصقالبه كانوا من سبي افرنجيه وانكبرده Lombardia في شمال إيطاليا ، وقلوريه Calabria في جنوبها أو جايقيه في شمال اسبانيا ^(١) ، والظاهر ان هذا التفسير يعزى إلى الغارات التى كان يشنها طوائف البحريين من المغاربه والاندلسيين على الشواطىء الاوربيه المطله على البحر المتوسط ^(٢) . وكان هؤلاء الصقالبه المجلوبون للاندلس يخرطون فى سلك الجنديه أو يتخذون لخدمه الحريم فى القصور بعد ان يمروا بدور الخصاء ، ومن المعروف ان تجارة الرقيق كانت رائجه فى العصور الوسطى ، وقد اقتص بها التجار اليهود فى فرنسا ، ويؤكد المستشرق الهولندى دوزى انه كانت لهم مراكز لاختصاصهم فى فردان Verdune ^(٣) . وكان هناك مركز آخر للتجار اليهود - لإختصاص الصقالبه المجلوبين - خلف مدينه بيجانه ، فيذكر المقدسى « وأما الصقالبه فانهم يحملون

= وكان طريقهم الرئيسى يبتدىء من شرق المانيا مارا بإيطاليا ثم فرنسا ومنها الى الأندلس عن طريق نهر الروث وتغالونيا حتى نغر بيجانه على الساحل الجنوبى الشرقى لاسبانيا بجوار المربه ، راجع (أحمد مختار العبادى : الصقالبه فى اسبانيا ، ص ٨) .

(١) صورة الارض ، ص ١٠٥ ، ١٠٦ .

(٢) ليفى بروفسال ، مادة (صقالبه) فى دائرة المعارف الاسلاميه ، الطبعة الفرنسية ص ٧٩ ، ٨٠ .

(٣) Dozy (R) : Histoire des Musulmans D'Espagne. t. II, (٣)
Leyde, 1932, p 154.

إلى مدينته خلف بجانه أهلها يهود فيخسونهم» (١) .

ولم تقتصر عملية الخصاء على اليهود وحدهم بل شارك المسلمون انفسهم في هذه الحرفة ، لا سيما في مناطق الثغور المتصلة بفرنسا ، ويعبر المقرئ عن ذلك بقوله : « . . . وقد تعلم الخصاء قوم من المسلمين هناك فصاروا يخلصون ويستحلون المثل » (٢) ، ويذكر ابن حوقل ان « جميع من على وجه الارض من الصقالبة الخصيان فمن جلب الأندلس (٣) » . وكان هؤلاء الصقالبة يباعون في الأندلس احداثا صغار السن ، فيتعهدهم امراء الأندلس بالرعاية ويتولون تنشئتهم تنشئة خاصة ، فيعلمونهم اللغة العربية وفنون الفروسية وآداب المجتمع الأندلسي (٤) ، ويدربونهم على شئون القصر .

وإذا كان عبد الرحمن الداخل هو أول من استخدم الصقالبة كجند مرتزقة في الأندلس ، وان كان قلما رغب فيهم ، فان حفيده الحكم الربضي يعتبر أول من استكثر منهم ، إذ انه بالغ في اصطنائهم واجتباب منهم اعداد كبيرة اعتمد عليهم في كل امر من اموره ، ولقد بلغ عددهم في عهده خمسة آلاف مملوك ، وكانوا يسمون بالخرس لعجمة السنتهم كما عرفوا بالماليك (٥) ، وبينما يطلق ابن حيان عليهم اسم « المجاييب الصقالبة » (٦) فان ابن عذاري

(١) المقدسي (شمس الدين أبو عبد الله محمد) : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم

تحقيق دي غويه De Goeye ، ليدن ١٠٦ ، ص ٢٤٢ .

(٢) نفح الطيب ، ١٠ ، ص ١٤٠ .

(٣) كتاب صورة الارض ، ص ١٠٦ .

(٤) لطفى عبد البديع : الاسلام في اسبانيا ، مكتبة النهضة العربية ، ١١٠٨ ، ص ٣٦ .

(٥) المقرئ : نفح الطيب ، ١٠ ، ص ٢٢٠ .

(٦) ابن بسام : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، القسم الثالث مخطوط ، ورقة ٤ .

يسمىهم العلوج^(١) . ويواصل الأمويون سياسة اجتلاب الصقالبة إلى الأندلس واستخدامهم في الجيش ، حتى لقد بلغ عددهم عند وفاة عبد الرحمن الناصر ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمسين صقلية ، وبلغ عدد النساء بالقصر ستة آلاف وثلاثمائة^(٢) ويبدو أن عبد الرحمن الثالث كان يستهدف من الاستكثار منهم اضعاف قوة القبائل العربية^(٣) . ويدل عدد الصقالبة ذكورا كانوا

(١) البيان المغرب ، ٣٠ ، ص ١٦٢ .

(٢) ابن عذاري : المصدر السابق ، ٢٠ ، ص ٢٢٢ ، وتنق رواية ابن الخطيب مع ابن عذاري في عدد الصقالبة واسكنها تختلف في عدد النساء بالقصر ، اذ يذكر ابن الخطيب أن « عدد النساء بالقصر ستة آلاف وسبعمائة وخمسين » ، (ابن الخطيب أعمال الأعلام « القسم الخاص بالانلس » ، ص ٤٠ ، ٤١) .

(٣) ليفي بروغنسال : مادة «صقالبة» ، دائرة المعارف الإسلامية ، الطبعة الفرنسية ص ٧١ ، ٨٠ ، اذ لم يتردد الخليفة الناصر في أن يهدم إلى نجده الصقلي بقيادة الحملة الموجهة ضد راميرو الثاني Ramiro II ملك ليون وحلفائه أصحاب مملكة نافارا Navarra على الرغم مما أبدته حاشيته من استياء ، وهي الحملة التي كانت نتيجة هزيمة المسلمين في وقعة سنت مائكم Simancas والخندق Alhandega عام ٣٢٧ هـ (٩٢٩ م) ، والتي يقال أن فشلها يرجع إلى تغير نفوس العرب لتقديم الصقالبة عليهم ، اذ أقسموا على أن يتركوا الصقالبة وحدهم عند بدء المعركة مما أدى إلى الهزيمة وقتل نجده الصقلبي قائد الحملة ، وفرار عبد الرحمن الناصر بأقل من خمسين فارس بعد نجاحه بأعجوبة ، «راجع : مؤلف مجهول ، أخبار مجموعة ، مكتبة المثنى ببغداد ، طبعة مجرطة ١٨٦٧ ، ص ١٥٥ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام « القسم الخاص بالانلس » ، ص ٣٦ ، ٣٧ ، المقرئ : تفصح الطيب ، ج ١ ، ص ٢٣٩ ، ٢٣٢ ، أحمد مختار العبادي : الصقالبة في أسبانيا ، ص ١٢ ، ١٣ ، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين واثارهم في الأندلس ، ص ٢٨٩) .

أم انثاء على ظهور طبقة جديدة في المجتمع الاندلسي ، اخذت تنمو تدريجياً حتى أصبحت تمثل إحدى القوى الرئيسية ، التي لعبت دوراً هاماً في التاريخ الاندلسي ، فقد حازوا ثقة الخلفاء فتقلدوا المناصب الرفيعة في الدولة كصاحب البرد وصاحب السكة وصاحب الطراز ، واسندت إليهم مهام عليا بالقصر كما تولي بعضهم مناصب القيادة العسكرية (١) .

وفي عهد الخليفة المستنصر ، تمتع الصقالبة بنفوذ واسع وأصبحوا يتحكمون في كل مداخل القصر ومخارجه كما استأثروا بحراسة الخليفة ، ولمع منهم اثنان استبددا بالسلطة داخل القصر أحدهما فائق صاحب البرد والطراز ، والآخر جوذر صاحب الصباغة واليازرة (٢) ولقد لعب هذان الأخيران دوراً هاماً في عهد ابنه هشام ايضاً (٣) .

وقد استكثر المنصور بن أبي عامر من العبيد والمسالين والعلوج ليقهر بهم من يطاوله ويشكك ذلك ما أورده صاحب نفح الطيب بقوله : « وقدم رجال البرابرة وزناته ، واخر رجال العرب واسقطهم عن مراتبهم ، فتم له ما أراد

(١) Bertrand (Louis) . The History of Spain, Part, I, London 1934, d. 58.

(٢) ابن هذاري : البيان المغرب ، ٢ ، ص ٢٥٩ ، ابن الخطيب : اعمال الاعلام القسم الخاص بالاندلس ، ص ٦٥ .

(٣) يعبر ابن الخطيب عن ذلك بقول « كان هؤلاء الفتيان الصقالبة يستأثرون بما خلف حجاب القصر ، ينفون على الاف وفيهم الاكابر الملقبون بالخلفاء تعظيماً لهم وتنوياً بعلو شأنهم ، وكان عددهم حوالى العشرين فتى ، يعيشون هيشة الملوك العظماء وعلى رأسهم فائق وجوذر » (اعمال الاعلام ، القسم الخاص بالاندلس ص ٦٥) .

من الاستقلال بالملك والاستبداد بالأمر... وجند البرابرة والممالك واستكثر من العبيد والعلاج للاستيلاء على تلك الرتبة ، وقهر من تطاول إليها من العلية (١) .

ولم يكن الصقالبة الذين نسب معظمهم إلى المنصور بن أبي عامر أقل جشعاً في السلطان من اجناد البربر ، فقد استغلوا ضعف المؤيد وعزلته عن الحياة السياسية التي فرضها عليه العامرية واخذوا ينافسون البربر في الظفر بالسلطان ، فأشتركوا في جميع المؤامرات التي كانت تحاك في قرطبه وسائر بلاد الاندلس ، وتبادلوا مع خصومهم النصر والهزيمة ولكنهم أبلوا في حروبهم معهم كل ضروب البسالة والاقدام تحت لواء خيران العامري رئيس طائفة الصقالبة في قرطبه (٢) .

ولما توزعت الطوائف فيما بينها بلاد الاندلس استأثرت طائفة الصقالبة بشرق الاندلس فأنزلوا فيها وكونوا الممالك . فكانت بلنسية من نصيب مارك والمظفر الصقليين وآلت طرطوشة إلى لبيب الصقلي ، ودانية إلى أبي الجبش مجاهد العامري والمريه إلى خيران ثم زهير .

أولوية خيران :

ويهمنا من كل ذلك خيران العامري الذي ظفر بالمريه وكان خيران هذا من جلة فتيان المنصور بن أبي عامر ، حظى في عهد هشام المؤيد بمكانة رفيعة أهلته لرئاسة الصقالبة ، والمشاركة في جماعة الفحول النائبيين عن الدولة (٣) . فلما نشبت الفتنة كان في جلة المؤيد بن محمد بن هشام المهدي حتى بدا لهم من

(١) المقرئ : نفح الطيب ٢٠٦ ص ٢٧٤ .

(٢) أحمد مختار العبادي : الصقالبة في أسبانيا ص ١٧ .

(٣) ابن الخطيب : أعمال الاعلام (القسم الخاص بالاندلس) ص ٢١٠ .

أمره ، فنقموا عليه صنعه بهشام المؤيد من أقدامه على اضطهاده وحبسه بالقصر
ووافعه بآبن أبي عامر عبد الرحمن شنجول ، وتجريته بعد ذلك على أخذ البيعة
لنفسه ، كل ذلك حرك نقيمتهم على المهدي فثاروا عليه ثم قتلوه ، وكان من
أبرز مدبري هذه المؤامرة الحاجب واضح الفتي وزميله عنبر وخيران اللذان
قدما من شاطبه بين لقيف من الصقالبه للمشاركة في أحداث قرطبه ، فبعد نجاح
مؤامراتهم بقتل المهدي أطلقوا سراج الخليفة هشام المؤيد وأعادوه إلى دست
الخلافة وأسندوا حجابته إلى واضح الفتي ، إلا أن البربر تمسكوا بزعيمهم
سليمان بن حكم الملقب بالمستعين فواصلوا حصار قرطبه إلى أن تغلبوا
عليها (١) ، واقتحموها فكان خيران أحد من تخطته المتالف فقر منها بينما
اشبع البربر انتقامهم من أهل قرطبه فتعرضوا لسيوف البربر (٢) .

وكان قد انضم إلى خيران جميع فتيان محمد بن أبي عامر فحولهم
وخصيانهم (٣) فرحلوا عن قرطبه مؤثرين النجاة بارواحهم إلى شرق
الاندلس (٤) ، ورأى خيران أن يفيد منهم فينفذ بهم أهدافه ، فقاومهم باديء
ذى بدء إلى أوريوله وكانت مثلاً « في الحصانة والمنعة » (٥) ، وكان

(١) ابن هذاري : البيان المغرب ، ٣ ، ص ٩٧ ، ٩٨ ، ابن الخطيب : أعمال الاعلام

ص ١١٥ وما بعدها ، السيد عبد العزيز سالم : قرطبه حاضرة الخلافة في الاندلس ،
الجزء الأول ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧١ ، ص ٨٥ .

(٢) الضبي : بغية الملتبس ، ص ٢٢ ، ابن هذاري المصدر السابق ، ٣ ، ص ٨٩ .

(٣) ابن هذاري المصدر السابق ، ٣ ، ص ١٦٦ .

(٤) نفس المصدر ، ٣ ، ص ١١٥ .

(٥) ابن الخطيب : المصدر السابق ، ص ٢١١ ، أوريوله : مدينته قديمة ، كانت أيام

المغرب تابعة لكورة تدمير ، اسمها اللاتيني Aurariola وتفسرها الذهبية =

البربر يسيطرون عليها منذ بدايه الفتنه فأخرجهم منها (١) واستولى عليها واتخذوها نقطه انطلاق لتوسعه في شرق الأندلس ولم يلبث ان ضم إليه مرسية حاضرة كورة تدمير إلى حوزته واخضعها لسلطانه في سنة ٤٠٣ هـ (٢٣ يوليو ١٠١٢ - ١٢ يوليو ١٠١٣) (٢)، واخرج البربر منها . وتوج خيران حركته تلك بالسيطرة على كل اقاليم كوره تدمير (٣) وظلت هذه الكورة

وهي على بعد ١٢ ميلا من مرسية ، وبينها وبين قرطاجنه ٤٥ ميلا ، ولها قصبه منيعة ، « راجع ، الادريسي ، المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، ص ١٩٣ ، المجري : الروس المطار ، ص ٢٤ ، محمد الفاسي : الاعلام الجغرافية الاندلسية ، « مجلة البيئة » ، السنة الاولى ، العدد الثالث ، ١٩٦٢ ، الرابط ، ص (٢١) .

(١) العنري : ترصيع الاخبار ، ص ١٦ .

(٢) ابن الخطيب : المصدر السابق ، ص ٢١١ .

López (Emilio Molina) : La cora de Tudmir segun Al'Udri (S. XI); en (Cuaderno) de Historia del Islam), Sevilla, 1972, p. 87 .

(٣) العنري : ترصيع الاخبار ، ص ١٦ ، وقد حدد العنري ، المصدر السابق ، ص ١٠ ، اقاليم كورة تدمير فقال : « اقليم لورفة ، اقليم مرسية ، اقليم المحكر ، اقليم شتجباله ، اقليم الش ، اقليم ايد السهل ، اقليم جبل واتصره القلعة ، اقليم طيباليه ، اقليم توتيه ، اقليم ابن الجابح ، اقليم بقعمره أخرى ، اقليم مورم ، اقليم بالاش وفيه حصن قريش ، وفيه حصن رنيه وفيه حصن ايليار ، وقاعدة بالاش بذلالش ، واطليم بيرة ، ويذكر المجري أن تدمير تضم سبع مدن هي : « اوربوله ، ولاقته ، ولاقنته ، وموله ، وبلاته ، ولورفه ، اله » ، الروس المطار ،

ص ٦٢ .

خاضعة له حتى وفاته (١).

السياسة الخارجية لخيران العامري :

وما ان تغلب علي هذه الكورة حتى اتجه إلى المريه معقل الاندلس ، وكان أفلح الصقاني آنذاك متغلباً عليها ، ويصفه ابن الخطيب بانه « رجل جلف شديد العتو والجهالة ، مفرط النخوة ، لا يحسن التفرد والاستقلال بنفسه ، قد ذهب به العجب كل مذهب ، ورأى لنفسه الفضل على سائر جنسه بالشيخوخه وقديم الملكه » (٢) ، فهاجمه خيران بجيشه في أول المحرم سنة ٤٠٥ هـ (يوليو ١٠١٤ م) وضيق عليه ، وتمكن من التغلب على أفلح وولديه وقتلهم وألقى بجثثهم في البحر ليلاً ، ثم دخل مدينه المريه واستولى على قصبتها ، وانهب كل ما وجدوه فيها من أموال وعدة ، وأمن أهلها (٣) .

ومن ذلك الحين أصبحت المريه حاضرة مملكته وقاعدة دولته فجاب إليها أمواله وعدته (٤) ، واستوزر ابا جعفر احمد بن عباس بن ابي زكريا ليعينه في تدبير شئون المملكة وكان ابو جعفر هذا من كبار كتّاب الاندلس ذاعت شهرته في الافاق وعظمت منزلته في مراتب الادباء وذكرواعنه انه : « بزأهل زمانه في اربعة ، أشياء : الثروة ، والكبر ، والبخل والانشاء » (٥) ، وقد لعب

(١) العذري : المصدر السابق ، ص ١٦ .

(٢) أعمال الاعلام « القسم الخاص بالاندلس » ، ص ٢١١ .

(٣) العذري : ترصيم الاخبار ، ص ٨٣ .

(٤) ابن الخطيب : أعمال الاعلام « القسم الخاص بالاندلس » ، ص ٢١٢ .

(٥) انظر ترجمته في ابن بسام : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ق ١ ، م ١ ،

ص ١٥١ ، ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٠٥ ، دوزي « رينهارت » :

ملوك الطوائف ، ترجمة كامل كيلاني ، مصر ١٩٣٣ ، ص ٤٧ ، ٤٨ .

هذا الوزير دورا بالغ الخطورة في عهد زهير العامري خلف خيران كما سئرى
بعد في موضعه (١) .

وما ان استقر الأمر لخيران في المريه قاعدته الرئيسيه ، حتى غادرها
بجيشه تلبية لدعوة على بن حمود - القائم بسبته - الذى ثار على الخليفة المستعين
مدعيا انه حصل على وصيه من الخليفة هشام المؤيد ، تؤهله للخلافه من بعده
ويعبر ابن عذارى في ذلك نقلا عن المظفرى بقوله ان عليا لما خرج « عن
طاعه المستعين اخرج كـتابا نسبته إلى هشام بن الحكم يقول فيه انقدنى من
أسر البرابر والمستعين وانت ولى عهدى » (٢) وفى روايه للمقرى ان
المؤيد هشام كـان « يشتغل بالملاحم ، ووقف على ان دولة بنى اميه تنقرض
بالاندلس على يد علوى أول اسمه عين ، فلما دخل سليمان مع البربر قرطبة ومجوا
كثيراً من محاسنها ومحاسن اهلها كان من اكبر امرائهم على بن حمود ، وبلغ
هشاماً المؤيد وهو محبوس خبره واسمه ونسبه ، فـدس إليه ان الدولة صائرة
إليك ، وقال له : ان خاطرى يحدثنى ان هذا الرجل يقتلنى ، يعنى سليمان ، فان
فعل فتخذ بشأرى » (٣) وأيا ما كان الامر ، فان خيران لم يتردد فى تلبية دعوة
على بن حمود لنجدته فسار بقواته إلى مالقه ، وكان على بن حمود لـكى يكسب
انصاراً جـدداً ، قد اعان فى مالقة أنه لم يحضر إلا لنصرة الخليفة هشام
المؤيد (٤) ، فلقى اعلانه هذا استجابة من أهل مالقه بالاضافة إلى تأييد خيران
وزاوى بن زيرى وخبوس بن ماكسن بن زيرى وأخوته وبنى عمه الصنهاجيين ،

(١) أنظر صفحات ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ .

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب ٢ ٣ ص ١١٦ .

(٣) نفح الطيب ٢ ٢ ص ٢٧ .

(٤) ابن عذارى : البيان المغرب ٢ ٣ ص ١٢٠ .

فعظم شأنه وقوى أمره ، وحارب بهم المستعين . وكان المستعين عندما بلغه نبأ تحالف علي بن حمود وخيران العامري عليه ومسير جيوشها إليه ، عظم عليه الأمر وخرج بمن تبقى من رجاله للقائها ، واشتبك الفريقان في المحرم سنة ٤٠٧ هـ (يوليو ١٠١٦ م) فدارت الدائرة على المستمعين وانصاره ، وانتصرت جيوش علي بن حمود وخيران ودخل علي بن حمود قصر قرطبه في ٢٢ محرم سنة ٤٠٧ هـ (يوليو ١٠١٦ م) (١) .

أما خيران فكان يحدوه الامل في ان يجد مولاه هشاما ما يزال حيا كما اوهم ابن حمود بذلك فلما تبين له ان الامر لم يكن سوى خدعة أظهر خلافه ، وخشى في نفس الوقت ان يغدر به علي بن حمود فيتخلص منه ، ولهذا السبب بادر بالرحيل عن قرطبه إل شرق الاندلس (٢) .

واما علي بن حمود فقد استقرت له الامور بقرطبه إلى ان قتل في أول ذي القعدة سنة ٤٠٨ هـ (١٠١٧ م) ، على ايدي ثلاثة من صقالبته اقدموا على قتله في حمام قصره واعترفوا بذلك (٣) . ثم استدعى البربر أخاه القاسم من أشبيلية لمبايعته بالخلافة ، فلم يتردد في القدوم ودخل قرطبه في ٤ ذي القعدة

(١) الضبي : بنية الملتصق ، ص ٢٥ ، ابن هذاري : البيان الغرب ، ص ٢ ، ص

٢ ، ١٢١ ، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وأثرهم في الاندلس ،

ص ٣٥٧ .

(٢) الضبي المصدر السابق ، ص ٢٥ ، ابن هذاري : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٢٠ ،

١٢١ ، السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق والصفحة .

(٣) ابن حزم « أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد » نطق العروس في تواريخ الخلفاء ،

تحقيق شوتى ضيف « مجلة كلية الآداب » ، مطبعة جامعة القاهرة ، ديسمبر

١٩٥١ ، ص ٨٠ ، ابن هذاري : المصدر السابق ، ص ٢ ، ص ١٢٢ .

سنة ٤٠٨ هـ (١٠١٧ م) وبويع له بالخلافة ، وتلقب بالمأمون^(١) ، ولكن تفوذ الخلافة ظل في عهده محدود السيطرة « فقد غلب عليه رؤساء البربر المسؤولون على الكور وامراء الثغور ، والفتيان العامريون بالبلاد الشرقية »^(٢) .

فلما علم القاسم بن حمود نبأ قيام خيران العامري في سنة ٤٠٧ هـ (١٠١٧ م) ، بتنصيب خليفه من أعقاب بني ابيه يدعى عبد الرحمن بن محمد ابن عبد الله بن الناصر لقب بالمرتضى ، ومبايعة امراء الثغر له ، كاتب العامريين وعمل على استمالتهم ، فاقطع زهير احيان وقلعة رباح وبياسة ، وكاتب خيران واستعطفه ولجأ إليه واجتمع به بالمريه ثم عاد إلى قرطبه^(٣) .

وكانت لهذه المساعي على ما يبدو وأثرها في مجريات الاحداث ، خاصة وان المرتضى اظهر الجفاء لمنذر بن يحيى وخيران ، فندما على تأييدهما لقضيته^(٤) ، وأضمر الكيد له وخذلانه في معركة المقله مع البربر المتغابرين في قرطبه واعمالها^(٥) . فلما كاد المرتضى يظفر بالبيعة حتى قر عزمه على

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ م ١ ص ٨٣ ، ابن عذارى : المصدر السابق ،

ص ٢٣ م ١٢٢ — ١٢٤ ، ابن الخطيب : أعمال الاعلام « القسم الخاص

بالاندلس » ص ١٣٠ .

(٢) ابن الخطيب : المصدر السابق ، ص ١٣٠ .

(٣) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ص ٧ م ٢٨٦ .

(٤) نفس المصدر والجزء والصفحة ، السيد عبد العزيز سالم : قرطبه حاضرة

الخلافة ، الجزء الاول ، ص ٩٥ .

(٥) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ م ١ ص ٨٠٠ ، السيد عبد العزيز سالم :

الموجع السابق ، الجزء الاول ، ص ٩٥ .

إعادة الخلافة الاموية بقرطبة فاعد لهذا الغرض جيشاً كثيفاً من موالى
العامريين خرج في مقدمة وصحبه في جملة من جاء معه منذر التجيبي صاحب
سرقسطه وخيران وعدد من فرسان النرنجة () ولكن هولاء خافوا من
عواقب انتصاره وايقنوا ان ظنره بالخلافة يتعارض مع مطامعهم الشخصية
ومصالحهم ، ويعبر المقرئ عن ذلك بقوله : « فكان من الاتفاق العجيب ان
فسدت نية منذر وخيران على المرتضى ، وقالا أرانا في الأول وجهها ليس
بالوجه الذى نراه حين اجتمع إليه الجم الغفير ، وهذا ماكر غير صافى
النيه » (٢) ، ويعمل ابن حيان سبب غدر منذر وخيران بالمرتضى بأنهما طالبا
منه ان يخرج مبارك صاحب بلنسية معهم في غزو قرطبة ولما لم يجيبهما المرتضى
إلى طلبها واقرارها بتخلف مبارك لجمع الاموال ، حقدأ عليه واجما على
الغدر به ١٢ نعمدا إلى تضليله وتظاهرا باسداء النصيحة له وهما يغرران به
واقنعاه بمهاجمة بربرغناطه بحجة انه لا يمكنه غزو قرطبة قبل ان يقضى على
عدو يترصد بهم فى غرناطه ويهدد مؤخرتهم (٣) ، فافتنع المرتضى برأيهم ،
ولم يجد ما يمنع من البدء بزاوى بن زبرى اكبر سند للقاسم بن حمود (٤) .
وهكذا نجح خيران ومنذر بن يحيى فى استدراج المرتضى الى محاربة بربر

(١) المقرئ : نفع الطيب : ٢٨ ، ص ١٩ ، ٣٠ .

(٢) المقرئ : نفع الطيب ، ٣٨ ، ص ٢٩ ، ٣٠ .

(٣) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ١ ، ص ١٠ ، السيد عبد العزيز سالم قرطبة

حاضرة الخلافة ، الجزء الأول ، ص ١٥ ، ١٥ .

(٤) ابن بسام : نفس المصدر ، ق ١ ، م ١ ، ص ١٠٠ .

(٥) خالد الصوفى : تاريخ العرب في اسبانيا في نهاية الخلافة الأيوبية ، حلب ، ١٩١٣ .

غرناطة في الوقت الذي دبر فيه هزيمته بالاتفاق مع زاوى بن زيرى، ويؤكد ذلك ما ذكره ابن بسام في الذخيرة اذ اشار الى انهما « دسا الى زاوى واسرا عليه بالغدر بالمرتضى » (١)، وما اوردته المقرئ من أن خيران لما اقترب من غرناطة كتب الى ابن زيرى الصنهاجى المتغلب على غرناطة « وضمن له انه متى قطع الطريق على المرتضى عند اجتيازه عليه الى قرطبه خذل عن نصرته الموالى العامرين اعداء المروانيين وأصحاب رياسة الثغور فاصغى ابن زيرى الى ذلك » (٢). فلما هاجم المرتضى بجيشه بربر غرناطة تخلى منذر وخيران عنه وانسحبوا من المعركة فدارت عليه الدائرة وولى الادبار، فارسل الصقالبة وامراء الثغور بعض رجالهم لقتله وتم له في ذلك في سنة ٤٠٩ هـ (١٠١٩ م) (٣).

ثم تدخل خيران ومجاهد العامري في الاحداث السياسيه بقرطبة مره ثانية، اذ سعى بعض اهل قرطبه الى الاتصال يحيى بن على بن حمود العلوى بهدف اعادته الى الخلافة بعد ان تاكد لديهم خبر موت الخليفة المستكفي بالله الاموى (٤) وكان يحيى بن على قد استقر انذاك بمالقة بعد ان خطب لنفسه بالخلافة وتلقب بالمعتلى، فاجاب طلبهم وأرسل من قبله عبد الرحمن بن عطاف اليفرنى واليا عليهم، ثم سار المعتلى الى قرطبه ودخل مقر الخلافة يوم الخميس ١٦

(١) ابن بسام : الذخيرة ، م ١ ، ق ١ ، ص ٤٠٠ .

(٢) المقرئ : تقيح الطيب ، ص ٢ ، ص ٣٠ .

(٣) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ١ ، ص ٤٠٠ .

(٤) ابن هنادى : البيان المغرب ، ص ٣ ، ص ١٢٢ ، ابن الخليل : أعمال الأعلام ،

رمضان سنة ٤١٦ هـ (٩ نوفمبر ١٠٢٥ م)^(١) ، ولكنه لم يقيم بها طويلا ،
إذا كان يتوجس خيفة من اهله ولم يكن يحس بينهم بأمان فغادرها بعد
ما يقرب من أربعة شهور ، بعد أن ترك فيها وزيره وكاتبه أبا جعفر أحمد بن
موسى وروناس بن روح كي ينوبا عنه في حكمها^(٢) . ولكن بعض المؤرخين
يذكرون أن جماعة من أهل قرطبة خاطبوا يحيى بن علي بالخلافة ، فوافقهم
وارسل اليهم نائبا عنه لولاية قرطبة يدعى عبد الرحمن بن عطف اليفرنى ولم
يحضر هو باختيارة^(٣) . ولكن المعتلى لم يلبث أن لقي حتفه بجهة قرمونة في
حربه مع ابن عباد صاحب اشبيلية^(٤) . وموته ابدى أهل قرطبة أنفتهم من
بقاء ما يفتهم تحت حكم البربر وعزموا على اعاده الخلافة للامويين ، فاتصلوا
بخيران التامري صاحب المرية ومجاهد صاحب دانية واستنصروا بهما على
البربر ، ومع ذلك فلم ينتظروا وصولهما فوثبوا في ٢٠ ربيع الاول سنة ٤١٧ هـ
(١٩ يونيو ١٠٢٦ م) على البربر وقتلوا منهم ما يقرب من ألف بربرى^(٥) .

(١) ابن الخطيب : المصدر السابق ، ص ١٢٦ .

(٢) ابن عذارى البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ١٤٣ ، ١٤٥ ، ابن الخطيب : المصدر

السابق ، ص ١٣٦ ، ١٣٧ ، وأنظر أيضا :

Léve-Provençal . Histoire, t. II, pp. 336 - 337 .

(٣) ابن الأثير الكامل ، ج ٧ ، ص ٢٨٨ ، عبد الواحد المراكشي : المعجب في

تلخيص أخبار المغرب ، نشر محمد سعيد العربي ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، ص ١٠٢ ،

المقرئ : فتح الطيب ، ج ١ ، ص ٤٠٨ .

(٤) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ١ ، ص ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ابن عذارى : البيان

المغرب ، ج ٣ ، ص ١٤٤ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ١٠٧

(٥) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٤٣ ، ابن الخطيب : المصدر السابق ،

وعلى اثر ذلك وصل مجاهد وخيران العامريان الى قرطبة بحشودهما ، فأقاما بها نحو شهر ولكنهما تنازعا ودب بينهما الخلاف فخاف كل منهما من صاحبه فعاد خيران الى المرية وَاخِر ربيع الآخر سنة ١١٧ هـ (١٠٢٦ م) ، اما مجاهد فقد ظل يقيم بقرطبة مدة ثم رجع الى دانيه حاضرتة ^(١) ، ويقال ان سبب مغادرتهم لقرطبة يرجع الى عدم اتفاقهما مع اهلها للبيعة لاحد الامويين ^(٢) . ويمكننا ان نخلص مما سبق ان سياسة المصاحبة كانت الهدف الاول الذي يوجه خيران العامري صاحب المرية في كل تحركاته ، اذ سعى جاهدا الى توجيه العصبية الاندلسية للقضاء على العصبية البربرية في خلافة علي بن حمود ، واصطنع مع المرتضى المكر والدهاء بعد ان لجأ اليه القاسم بن حمود واستنجد به فسير المرتضى الى حتفة وتخلص منه بقتلة .

ولم يقتصر دور خيران على التدخل في الاحداث السياسية بقرطبة فقد شارك في احداث شرق الاندلس ، فعندما اسند الفتيان العامرية بشرق الاندلس امرهم الى نفر من مشيختهم بعد خروج مجاهد رئيسهم عنهم ، وتشاوروا في تنصيب امير يتخذونه رئيسا لهم من سلالة مولاها المنصور بن ابي عامر ، اتفق رأيهم على تنصيب عبد العزيز بن عبد الرحمن شنجول بن المنصور بن عامر ملكا عليهم ^(٣) . وكان عبد العزيز انذاك فتى حدثا لا يتجاوز

(١) ابن الاثير : المصدر السابق ، ص ٧٠ ، ص ٢٨٧ . ٢٨٨ .

(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، ص ٣٠ ، ص ١٤٤ ، ابن الخطيب : المصدر السابق ص ١٢٧ ، أنظر ايضا :

Lévi-provençal : Histoire, t. II; pp. 336 — 337 .

(٣) ابن بسلام ، الذخيرة ، القسم الثالث ، مخطوطة بغداد ، لوحة ٨١ ، ابن عذارى :

البيان العرب ، ص ٣٠ ، ص ١٦٤ ، ابن الخطيب : أفعال الأعلام ، ص ١٩١ .

من العمر خمسة عشر عاما ، كان في حماية ابيه عبد الرحمن شنجول طفلا واضطر الى الفرار من قرطبة - مرا الى سرتسطة في اعقاب مصرع ابيه واندلاع الفتنة واستيلاء محمد بن عبد الجبار على قرطبة ، واثام في سرتسطة في كنف صاحبها يحيى بن منذر بن يحيى التجيبي^(١) . وظل يقيم بها الى ان استدعاه الموالي العامريون في شاطبة^(٢) . التي كانت اندالا من املاك خيران العامري - ومنها اعانته ورئيسا لحزبهم في سنة ٤١١ هـ - ١٠٢٠ م^(٣) وتلقب منذ ذلك الوقت بالمنصور تمثلا بلقب جده ابن ابي عار ، مما جعل بعض مؤرخي العرب يطلقون عليه اسم المنصور الصغير تمييزا له عن جده^(٤) .

ويبدو أن خيران - الذي ساهم في تنصيب عبد العزيز بن عبد الرحمن شنجول على دست الرئاسة - قد خشي من ازدياد نفوذه ، وعز عليه ان

(١) ابن الخطيب : الصدر السابق ، ص ١٩٣ ، ١٩٥ .

(٢) شاطبة : مدينه تقع بالقرب من بانسيه على ساحل البحر وكانت من أكثر ثغور شرق الأندلس مناعة وحصانة ، والحجري يذكر أنه كان لها قسمان متمعتان كما يشير الى خصوبة بقعتها وعظم ثرائها وشهرتها في صناعة السكاكند والى أنها « حاضرة اهله بها جامع ومساجد وفنادق وأما واق وقد أحاط بها الوادي ، (مواد أندلسية جديدة من الروض لمطار اصلاح الدين الزبد « مجلة معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية » ، المجلد الخامس ، الجزء الأول ص ٢٨ القاهرة ١٩٥٩)

(٣) ابن عذاري : البيان المغرب ، ص ١٦٤ ، ابن خلدون « عبد الرحمن بن محمد » : مكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ص ٤ ، يولاق ١٢٨١ هـ ، ص ١٦١ .

(٤) ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ١٦٢ .

يحتل مكانه فعزم على التخليص منه ، وساعدته الظروف على تحقيق هدفه عندما مل أهل شاطبه من حكم عبد العزيز وكرهوا استبداده بهم ، وقد عزمهم على الاطاحة به ثم تردد خيران في تأييد حركتهم بالانزلة على عبد العزيز ، وتم الامر على نحو تجاوز تقديراتهم ، ففر عبد العزيز الى بانسية في سنة ١١٣ هـ (١٠٢١ م) (١) .

وفي هذه الاونه كانت العلاقات قد ساعدت بين خيران ومجاهد العامري صاحب دانيه وجزر البليار ، ولعل ذلك يرجع الى حسد مجاهد لخيران بسبب سياسته التوسعية واقدامه على ضم مزيد من الاملاك فطمع مجاهد في ان يردده (٢) منها وعزم على مهاجمة ، فجمع بالنعل جيوشه واساطيله وحاصر سواحله المربه (٣) ، فأدرك خيران بذكائه أن لا طاقه له بمقاومة مجاهد ، فعمد الى دهائه ، واستقر رأيه على أن يضرب مجاهد بشخص يرتضيه العامريه ، فقرر ان ينصب أحد اخفاد من لاه العظيم النصور بن ابي عامر ليستعين به على مجاهد العامري ، فحمي الى علمه أن محمد بن عبد الملك المظفر يقيم بجيسان وأنه استطاع بفضل الثروة الكبيرة التي كانت لأمه أن يجتذب اليه الاتباع ويشترى ولاء المؤيدين ، فبعث خيران في استدعائه فقدم اليه فبايعه بالامارة ومملكة أوريولة ومرسية ، وتلقب محمد بن عبد الملك بالموثق ثم المقتصم (٤) .

الا أن الاحوال سرعان ما تآزمت بين المقتصم وخيران فالسيفان لا يجتمعا

(١) ابن خلدون : المحرر السابق ، ج ١ ص ١٦٢ .
 (٢) ابن الخطيب : أعمال الاعلام ص ١٠٣ ، تشركوا « كنييا سارني » : مجاهد العامري قائد الاسطول العربي في غربي البحر المتوسط في القرن الخامس الهجري الطبعة الأولى ، لجنة البيان العربي ، القاهرة ١٩٦١ ص ٨٣ .
 (٣) ابن حزم « ابو محمد علي » : كتاب طوق القامه في الألف والالف ، تحقيق بقرنف D. K. pitrof ، لندن ، ١٩١٤ ص ٨٥ .
 (٤) ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ١٩٣ ، ١٩٤ .

في غمد واحد ولا يمكن للامور ان تستقيم مع طموح خيران الذي اضطر الى الفرار من مرسية في ربيع الاول سنة ٤١٢ هـ (١٠٢١ م) ، والالتجاء الى المرية ، ومن هناك نظم قواته وأعد لها لمحاربة المعتصم ونجح في الايقاع به وتمكن من اخراجه من مرسية في ربيع الاول سنة ٤١٣ هـ (١٠٢٢ م) (١) ، فالتجأ المعتصم الى أوريولة واصبحت مرسية خاضعة لخيران يحكمها من المرية حتى وفاته سنة ٤١٩ هـ (١٠٢٨ م) الا انه لم يستطع الصمود امام منابذة خيران له ، فاضطر الى الالتجاء الى مجاهد العامري في دانيه فترة غير قصيرة سار بعدها الى غرب الاندلس ، واستقر بحصن دارة حتى توفي في شهر رمضان سنة ٤٢١ هـ (١٠٢٠ م) (٢) .

وهكذا يتبين لنا حنكة خيران ومدى ما اصابه من توفيق في سياسته سواء ما يتعلق بأحداث قرطبة او في علاقاته بشرق الاندلس ، وما اقترنت به من مكر ودهاء وبلاء واقدام .

المرية في عهد خيران :

اذا كان خيران قد وفق في سياسته الخارجية ، فانه باع شأوا عظيما في سياسته الداخلية ، فقد أصبحت المرية في عصره وبفضل ما حظيت به من اهتمامه وجهده وما حفل به عمرانها على يديه من توسع وازدهار من اعظم مدن الاندلس واكثرها تألقا وعمرانا . (٣) اذ امتدت امارة المرية آنذاك على هيئة مثلث كبير رأسه نحو الجنوب يمتد بجانبه الشرقي بحذاء المنطقة

(١) السيد عبد العزيز سالم ، مدينة مرسية ، موطن الشيخ الزاهد أبو العباس المرمي

مطبوعات جمعية الآثار بالاسكندرية ، ١٩٦٩ ، ص ٦ .

(٢) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ١٩٤ ، ابن خلدون ، العبر ٤ ص ١٦٢ .

(٣) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الاسلامية ، ص ٦١ .

المتددة على حافة الساحل الجنوبي الشرقي لأسبانيا ، وجانبه الغربي حتى وادى
آش وحدود مملكة غرناطة والجانب الشمالى حتى بسطه وجيان اللتين كانتا
اهم قواعد الامارة بعد المربه كما كانت تضم عددا من معاقل الاندلس
الكبار فذكر منها مدينتى اوريوالة ومرسيه اللتين كان يحكمها زهير العامرى
اميرا من قبل خيران (١) .

ومن المعروف ان خيران منذ ان استقر بالمربه حتى اتخذها قاعدة اسطانه
وعمل على ضوطها ، وتحصين قصبتها - التى كان قد اقامها الخليفة عبد الرحمن
الناصر - وزاد فيها الى حد انها نسبت اليه واصبحت من اعظم قصاب الاندلس
واليه يرجع الفضل فى « سد عورات المدينة بتدعيمه أسوارها القديمة » (٢)
وحرصه على وصل الماء اليها وقيامه ببناء الحمة العجيبة (٣) .

ونفهم من رواية العذرى ان خيران زار فى سنة ٤١٠ هـ (١٠١٩ م) فى جامع
المربة زيادة اتسع بها الجامع ، كما بنى السور الهابط من جبل ليهم الى البحر
وفتح فيه اربعة ابواب : باب فى جبل ليهم ، وباب تجاه مدينة بجانه ، وباب
يسمى باب المربى وباب السودان قرب ضفة البحر الذى عرف (زمن العذرى)
بباب الاسد (٤) .

وجه خيران اهتمامه الى العمارة والتشبيد ، اهتم كذلك بالعلوم والاداب

(١) راجع فى هذا : محمد عبد الله غزوان ، دول الطوائف منذ قيامها - حتى الفتح
المرابطى ، الطبعة الأولى ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٦٠ ،

ص ١٥١ .

(٢) ابن الخطيب أعمال الأعلام ، ص ٢١١ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٢١٢ .

(٤) راجع عذرى : ترصيع الاخبار ، ص ٨٣ .

فقد وفد على المريه في عصره بعض أدباء الاندلس المشهورين اجتذبهم خيران بكرمه وتشجيعه ذكر منهم على سبيل المثال احمد بن عباس الكاتب الذي استوزره^(١) ، وشاعر الاندلس الكبير ابو عمرو احمد بن دراج القسطلي الذي مدح خيران في سنة ٤٠٧ هـ بقصيدة طويلة^(٢) . ويعبر وفود الادباء على المريه في تلك البترة عما نعمت به هذه المدينة في ظل حكم خيران من أمن واستقرار كان لهما اعظم الأثر فيما أصابته من ازدهار حضارى لم تشهده سائر مدن الاندلس المعاصرة .

وكان خيران رغم هذا متواضعا زاهدا في الرتب الملوكية والالقب فلم يتلقب بشيء من الالقب الضخمة التي تلقب بها سائر ملوك الطوائف في عهده رقع بما كان يعرف به من ألقاب مثل « الخليفة » و « الفتي الكبير »^(٣) وتوفي خيران بالمريه في ٣ من جمادى الاولى سنة ٤١٩ هـ (١٠٢٨ م) بعد مرض دام شهور^(٤) .

(١) راجع ما فات هنا ، ص ٩٣ .

(٢) تبدأ القصيدة بهذا البيت المشهور :

اك الخير قد أوفى بعهديك خيران . . . وبشراك قد وافاك عز وسلطان

(القسطلي « ابن دراج » : ديوان ابن دراج ، تحقيق عمود على مكي ، الطبعة

الاولى ، منشورات المكتب الاسلامي بدمشق ، دمشق ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م ،

ص ٨٦ ، ٨٧ ، وقد وردت القصيدة أيضا في ابن بسام ، الذخيرة ، ق ١ ، م ١ ،

ص ٧٤ ، ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ٢١٢ ، ١١٣ .

(٣) ابن الخطيب : المصدر السابق : ص ٢١٢ .

(٤) نفس المصدر : ص ٢١٥ .

ثالثا - عهد زهير العامري

وخلف خيران على امارة المرية زهير الفتى العامري احد فتيان المنصور
ابي بن عامر الصقالبة^(١) فلما ان توفي خيران حتى بادر الوزير احمد بن عباس
بالاجتماع برجال دولته واهل العقد والحل ، واخبرهم بوصية خيران في ان
يخلفه اخوه زهير في حكم المرية اذ كان يشق به وبولائه له ، فاتفق المجتمعون
على تنفيذ هذه الوصية ، وكان خيران حينما احس بدنو اجله قد بعث في
استدعاء زهير نائبه على مرسية وجيان وأوصى بولايته الامارة من بعده فاقبل
زهير فور استدعائه واقام بالمرية الى ان توفي خيران واجمع القوم على استخلافه
وفقا لمشورة ابن عباس ، فلم يزهد في الامارة ورضى الناس به اميرا عليهم
في ٣ جمادى الاولى سنة ٤١٩ هـ (١٠٠٨)^(٢) .

إلا زهير لم يسلم من منازعة القسام على حصن اوريوله ، اذ وقع
خلاف بينهما لعله بسبب حسد مسلم على اختيار زهير خلفا لخيران مما ادى الى
تمرده عليه فسارع زهير في الحال باحكام الحصار عليه في قلعة اوريوله ، واستمر
هذا الحصار ستة أشهر ضايقه فيها زهير حتى اضطر مسلم الى التسليم بشروط
قبلها على الفور وتم التنازل له عن كل شيء^(٣) .

(١) العذري : ترصيع الاخبار ، ص ٨٣ وقد رجع اميليو مولينا لويث الى العذري في
نفس هذه الفقرة ، انظر له :

La Cora de Tudnir segun Al'Udri (S. XI), en (cuaderno
de Historia del Islam), p. 88 .

(٢) ابن الخطيب (لسان الدين) : الاحاطة في اخبار غرناطة ، تحقيق محمد عبد الله
عنان ، دار المعارف بمصر ، ١٩٥٥ ، ص ٥٢٥ ، ٥٢٦ .

(٣) العذري : ترصيع الاخبار ، ص ٨٣ .

وكان زهير قبل ان يتولى امارة المرية ينوب عن خيران في ولاية مرسية ،
بالاضافة الى جيان وقلعة رباح وبياسة التي اقطعها له الخليفة القاسم بن حمود^(١) .
ولقد اتبع زهير منذ توليه نهج صاحبه خيران في حسن السيرة وضبط
الادارة ضبطاً حازماً ، وتلقب بالامير عميد الدولة ابي القاسم^(٢) ، فاتبعت
امارة المرية في عهده اتساعاً كبيراً ، وامتدت من بلدة المرية الى قرطبة واعمالها
غرباً ، ومن المرية الى شاطبه ومرسية في الشمال الشرقي ، ومن المرية الى بياسه
وحتى اعمال طليطلة في الشمال الغربي^(٣) . ويعبر العذري عن ذلك بقوله :
« وتمادت ولاية زهير التي على المرية واعمالها الى أن دخل في ولايته مدينة
قرطبة واعمالها »^(٤) . أما ابن الخطيب فرواياته اكثر تفصيلاً فهو يذكر أن
زهير « دبر أمر قرطبة منفرداً به أيام الفتنة والاستفتاء عن الخلافة ، وسكن
قصرها يوم الاحد لخمس بقين من شعبان سنة ٤٢٥ هـ ، ودام ساطعاً عليهم
خمسة عشر شهراً ونصف شهر »^(٥) .

ونفهم من نص العذري وابن الخطيب ان قرطبة دخلت في ولاية زهير ،
وأنه اقام بها زهاء خمسة عشر شهراً ونصف شهر ، ولم يوضحاً ان كان ذلك

(١) راجع ما فات هنا ص ٩٦ .

(٢) ابن خلدون : المعبر ص ٤٤ ص ١٦٢ .

(٣) ابن عذاري : البيان الغرب ص ٣٣ ص ١٦٨ ، ١٦٩ ، ابن الخطيب : أعمال

الاعلام ص ٢١٦ ، الاحاظه ص ١٠١ ص ٥٢٦ .

(٤) العذري : المصدر السابق ص ٨٣ .

(٥) ابن الخطيب : أعمال الاعلام ص ٢١٦ ، الاحاظه ص ١٠١ ص ٥٢٦ ، راجع

ايضاً : Prieto y Vives (Antonio) : Los Reyes de Taifas ,

Madrid, 1926, p. 34.

ثم سلمها أم حربا. ومن المعروف ان قرطبه كانت تابعة آنذاك لابي الحزم بن محمد ابن جمهور الذي ظل يتولى امارتها منذ ان أعلن سقوط الخلافة الاموية في الاندلس سنة ٤٢٢هـ (١٠٣٠م) حتى سنة ٤٣٥هـ (١٠٤٣م)، وكان ابو الحزم بن جمهور حاكما قديرا، استطاع ان يلم الشمل وينهض قرطبه من عثرتها، ويجدد ما طمس من معالمها بعد سقوط هشام^(١)، ويصفه ابن الخطيب بأنه كان بين « رؤساء الطوائف بمنزلة الاب يقصم بل بينهم في القضايا ويشفع في الحوائج ويصلح بينهم في المنازعات، فلم يدر الناس ما فقدوا منهم إلا بعد ان بلوا غيرهم وفقدوا خيرهم^(٢)». واعتقد ان ابا الحزم بن جمهور استدعى زهيراً للمعاونة في استتباب الاوضاع في قرطبه لا سيما في الفترة التي اعقبت انتهاء رسم الخلافة نهائيا في الاندلس لخطورتها وما يمكن ان يترتب على ذلك من نوائب وفوضى متجددة تزيد من طحن الاندلس وتكبتها، ولعل عبارة ابن الخطيب انه « دبر أمر قرطبه منفردا به أيام الفتنه والاستفتاء من الخلافة »^(٣)، وما تذكره المصادر المعاصرة من ان فترة حكم ابي الحزم بن جمهور بقرطبه واعمالها امتدت من سنة ٤٢٢هـ (١٠٣٠م) الى سنة ٤٣٥هـ (١٠٤٣م)، يشير الى استمرار ابن جمهور في حكم قرطبه في الفترة نفسها التي أقام فيها زهير بقرطبه مما يدل على ان اقامته هناك كانت بناء على طلب ابن جمهور.

وفي عهد زهير عرض عليه ضم قصبة شاطبه ولكنه أسلمها للمنصور عبد العزيز ابن ابي عامر قائلا : « هو احق بها من جميعنا »^(٤)، وفي عهده

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ م ٢ ، القاهرة ١٩٤٢ ، ص ١١٤ .

(٢) ابن الخطيب أعمال الاعلام ، ص ١٥١ .

(٣) ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ٢١٦ .

(٤) المنذرى : ترصيع الاخبار ، ص ٨٣ .

انسلخت عنه قلعة رباح باستيلاء اسماعيل بن ذى النون عليها (١) .

وسعى زهير الى تأكيد شرعيته في حكم منطقة نفوذه عن طريق الاستناد إلى سند شرعى كأن يأتى بشيبه للخليفة هشام المؤيد ويزعم انه عثر عليه ويقيم معه في المريه ليستمد من وجوده شرعية لحكمه تدعم مركزه وتزيد من سلطانه فأحضر رجلا سقاء شديد الشبه بهشام ، زعم انه هشام بعينه وظل يمسوه به على الناس زمنا خـلال عام ٤٢٦ هـ (١٠٢٤ م) ثم طرده (٢) . وفي رواية أخرى لابن عذارى ، ان هشام المؤيد المزعوم كان قد اختفى وظهر في مالقه - حين توثب على بن حمود على الخلافة بقرطبة - ثم سار الى المريه فانتهى خبره الى صاحبها زهير الفتى فاخرجه منها ، فقصده قلعة رباح التى كانت تحت طاعة ابن ذى النون فاطاعه أهلها ، وعندما علم اسماعيل بن ذى النون بخبره ، حاربهم فضعفوا عن مقارمته واخرجوا هشام المزعوم (٣) .

كما احتذى القاضى محمد بن عباد حذو زهير فى تنصيب خليفة بـجـواره يستمد منه سلطانه ، فجاء بشخص فقير يشبه هشام يسمى «خاف الحصرى» كان يشتغل فى الحلفاء بأحدى قرى اشبيلية وبايعه بالخـلالـة فى عام ٤١٧ هـ (١٠٣٥ م) (٤) واقتفى أثره فى مبايعة هذا الخليفة عدد كبير من ملوك الطوائف منهم بنو المنصور بن أبى عامر اصحاب بلنسية وابن جمهور صاحب قرطبة ،

(١) ابن عذارى : البيان المغرب ٢ - ٣ ص ١٩٠ .

(٢) ابن الخطيب : أعمال الاعلام ٢ ص ١٥٤ .

(٣) ابن عذارى : البيان المغرب ٣ - ٤ ص ١٩٠ ابن الاثير : الكامل ٧ - ٨ ص ٢٩١ .

(٤) ابن عذارى : المصدر السابق ٣ - ٤ ص ١٩٩ ، ٢٠٠ ابن الخطيب : أعمال الاعلام ٢ ص ١٥٤ .

ومجاهد العامري صاحب دانيه ولبيب صاحب طرطوشه عام ٤٢٩ هـ (١٠١٧)، ولم يتخلف عن مبايعته من الصقالبة العامريين سوى زهير صاحب المريه الذي رفض أن يعترف به خليفة في اشبيلية^(١). كذلك شارك باديس بن حبوس صاحب غرناطة زهيراً في عدم مبايعة هشام المؤيد باشبيلية، وعندما علم بنية القاضي ابن عباد على محاربتهم واقدامه على ارسال جيش لمعاقبته اسرع بالالتجاء الى باديس بن حبوس وعقد تحالفاً معه، وبفضل هذا التحالف اضطر القاضي ابن عباد الى العودة بمسكركه الى اشبيلية «وام يكن بين المعسكرين قتال»^(٢).

وفي هذه الاثناء، كان يحيى بن علي بن حمود قد قتل بظاهر قرمونه على يد اسماعيل بن عباد عام ٤١٧ هـ (١٠٣٥ م)، وتغلب محمد بن عبد الله البرزالي عليها ولما بلغ ادريس بن علي بن حمود بسببه خبر مصرع يحيى أخيه، سارع متوجهاً الى ما لقيه حيث دخلها ودعا الى نفسه، واستجاب لدعوتهم حبوس بن ماكن وزهير العامري، وتعاقدا الزعميات على القيام بدعوتهم، وبالنهل أمر زهير بالخطابة لادريس في المريه في منتصف شهر ذي الحجه عام ٤٢٧ هـ (١٠٣٥ م) مثلاً في ذلك اتفاقاً أبرمه زهير مع حليفه وجاره بالهيرة^(٣).

(١) ابن عذاري: المصدر السابق ج ٣ ص ١٩٠، ابن الاثير: المصدر السابق ج ٧

ص ٢١١.

(٢) ابن الاثير: المصدر السابق ج ٧ ص ٢٩١ وراجع أيضاً:

Dozy (R.): Histoire, t. III: p. 17.

(٣) ابن عذاري: البيان المغرب ج ٣ ص ١٩٠، ابن الخطيب: أعمال

الاعلام ج ١ ص ١٤٠.

ولكن حبوس لم يلبث ان اختلف مع حليفه زهير بسبب موالة زهير
لمحمد بن عبد الله البرزالي صاحب قرمونه في حربه ضد حبوس صاحب
غرناطة^(١)، ويعزى المستشرق الهولندي دوزي سبب هذه الواقعة الى ابن عباس
وزير زهير الذي نجح في ايقار صدره على حليفه وتمكن من الواقعة بينهما^(٢)،
ويرجع سبب تحاميل ابن عباس على حبوس الى انكاره ان يرى سيده زهير
حليفا لرئيس بربري يستوزر بهوديا، وكان ابن عباس عربيا تحملا يذكره
البربر ويحتقر اليهود^(٣)، وكان من تأثير هذا الوزير ابن عباس على زهير
انه « كان لا يحدث أمر إلا بإشارته وبعد مشاورته »^(٤).

ويظل زهير واقفا تحت تأثير وزيره حتى وفاة حبوس بن ماكن صاحب
غرناطة في عام ٤٠٨ هـ (١٠٢٦ م) وقيام ابنه بامارة غرناطة من بعده، فعندما
تولى باديس امر غرناطة كتب الى زهير « معايبا مستدعيا تجديد المحالفة »^(٥)
التي كانت قائمة بين أبيه حبوس وزهير صاحب المريه، ولكن زهير رد
عليه بأن كل شيء تتم تسويته عند المقابلة^(٦)، ويبدو ان زهير كان يضمن

(١) ابن بسام : الذخيرة ق ١ م ٢ ص ١٦٦ ، ابن عذارى : المصدر السابق ،

ص ٣ ص ١٦٩ .

(٢) دوزي « رنهارت » : ملوك الطوائف ، ترجمة كامل كيلاني ، الطبعة الاولى ،

مكتبة البائلي ، القاهرة ١٩٢٢ ص ٥٠ .

(٣) نفس المرجع ، ص ٤٩ .

(٤) ابن عذارى : المصدر السابق ، ص ٣ ص ٢٩٣ .

(٥) ابن بسام : الذخيرة ق ١ م ٢ ص ١٦٦ ، ابن عذارى : البيان المغرب ،

ص ٣ ص ١٦٩ ، ابن الخطيب : أعمال الاعلام ص ٢١٦ ، الاضافة ص ١ ص ٥٢٦ .

(٦) دوزي : ملوك الطوائف ، ص ٥٢ .

في نفسه أمراً ، فقد استصغر باديس ^(١) ، وطمع في امتلاك غرناطة وضربها إلى مملكته متبعاً في ذلك نشورة وزيره ابن عباس الذي زين له غزو باديس في غرناطة ، مهونا عليه أسباب الاستيلاء عليها خاصة بعد زوال حبوس ^(٢) .

فخرج زهير من المرية في حشود كشيده ، واجتاز حدود مملكة باديس ولم يتبع القواعد والمراسيم المتبعة في الزيارات أو عند الالتقاء ^(٣) ، « بل أقبل ضارباً سوطه حتى تجاوز الحد الذي جرت عاداته بالوقوف عنده من عمل باديس دون اذنه ، وصير الأوعار والمضايق خلف ظهره لا يفكر فيها ، واقتحم البلد حتى وصل إلى باب غرناطة ^(٤) » مما يدل على ما كان يبيت في نفسه نحو باديس ^(٥) .

وكان من الطبيعي ان يستثير هذا التصرف الشائن باديس فيعتبره ضرباً من التعدي على سيادة بلاده ، ولكنه رغم كل هذا قابل زهيراً بكل حفاوة وترحاب ، ولم يظهر له شيئاً من غضبه ، بل أولم له ولين معه وليمة فاخرة واغدى عليهم العطايا والهدايا .

(١) ابن سعيد : المغرب ، ٢ ، ٢٤٠ ، ١٩٤ .

(٢) الامير عبد الله : مذكرات الامير عبد الله ، اخر م لوك بن زري فر . طه السماء بكتاب « البيان » تحقيق ايحي يروندال ، دار المعارف ، مصر ١٩٥٥ ص ٢٤٠ .

(٣) ابن عذاري : المصدر السابق ، ٢ ، ٣ ص ١٦٩ ، ابن الخطيب المصدر السابق ، ص ٢١٦ .

(٤) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ م ٢ ص ١٦٧ ، ابن عذاري : البيان المغرب ، ٢ ، ٣ ص ١٦٩ ، ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص ٢١٦ .

(٥) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الاسلامية ، ص ٧١ .

إلا أن زهير - علي - ما يبدو - اعتبر احتفال باديس له وترحيبه به نوعاً من الضعف وأوهمه وزيره أن باديس لم يفعل ذلك إلا لعجزه عن الوقوف أمامه ، فأخذ في التشطط في مطالبه وتظاهر أمام باديس بعظمة تركت في نفسه أثراً سيئاً .

وكان طبيعياً أن تفشل المفاوضات التي دامت بين باديس وزهير ، فلم يتمكنوا من الاتفاق على شيء ، بسبب تشدد زهير وتصلبه في موقفه (١) . ورغم هذا لم ييأس باديس بل أرسل أخاه بلقين رسولاً من قبله إلى الوزير ابن عباس في محاولة أخيرة للتوفيق بينهما لعلمه بأن زهيراً يأخذ بمشورة وزيره ولا يصدر شيء عنه إلا بعد أخذ رأيه ، فتوجه بلقين إلى حيث مجلس ابن عباس ليلاً وخاطبه في تصفية الخلافات القائمة بين الامارتين وتجديد الحلف القديم ، لكن ابن عباس رد عليه بلهجة قاسية كشف عن نفوذ وسلطان قاهر من جهة ، وعن امتحان لمحدثه وازدراء له من جهة أخرى ، ولما حارل باقيين أن يستعطفه فقام إليه معانقاً باكياً ، ولم يؤثر في ابن عباس معانقة باقيين ودموعه (٢) ، وإنما بالغ في الاستخفاف به وقال له : « وفر عليك هذه المظاهر الكاذبة ، والعبارات الفارغة فإنها لا تترك أي أثر في نفسي (٣) » . فخرج بلقين حانقاً لما لحق به من اهانة ، وعاد إلى أخيه باديس ومجلسه منعقد ، فأفضى إليه بكل ما دار بينه وبين ابن عباس من حديث ، وما أصابه من اذلال ، فقرر المجتمععون محاربة زهير لقبحته وجفائه ، وصمموا على الايقاع بوزيره ابن عباس لما بدا منه من عناد وفضاظة (٤) .

(١) ابن بسام : المصدر السابق ، ق ١ م ٤ ص ١٦٧ .

(٢) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ م ١ ص ١٧١ .

(٣) دوزي : ملولا الطوائف ، ص ٥٥ .

(٤) ابن بسام : المصدر السابق ، ق ١ م ١ ص ١٧٢ .

وكان لابد لزهير - عبد عودته إلى المريه - من اجتياز قنطره لأمحمد له عنها ، فأمر باديس بقطع هذه القنطره ، كما أرسل جنده فاحتلوا تلك المضائق والاعوار ، ونصب كتائبه وكائنه في الطريق ، وأعد عدته للحرب (١) .

ومع ذلك فأن باديس لم يفعل ما أقدم عليه إلا بدافع من الحيطه والمجرد التأمين على نفسه بلده ، كما انه لم ييأس من رجوع زهير - صديق والده القديم - إلى صوابه ، ليجدد صلات الود والصدقه التي كان يرتبط بها مع ابيه ، ولهذا قرر أن ينهيه في الخفاء إلى الخطر المحدق به ، فعهد إلى حرس من البربر من جند المريه وبعثه إلى زهير رسولا وأسر إليه بما أخبره به (٢) .

ويبدو ان هذه النصيحة صادفت قبولا عند زهير ووقعت منه موقع الاعجاب ، إلا ان ابن عباس وزيره رفضها ، ويقال في تعليل موقف ابن عباس هذا ، انه إنما كان يهدف إلى التخلص من زهير في المعركة ، فينفرد بحكم المريه ، ومما يؤيد هذا الرأي اعتزاز ابن عباس - وهو في سجنه - امام باديس بأنه تمكن من استدراج زهير حتى وقع في الشرك (٣) ، « وغاداه باديس صبيحتها على تعبئة محكمة ، فلم يرعه إلا رجلة القوم راجعين إليه » (٤) ، فتظاهر زهير بالثبات ، فرتب جنده المشاة من الزنوج وكانوا خمسمائة ، والمشاة من الاندلسيين ، وقدم هذيل الصقلبي خليفته على الفرسان الصقالبه (٥) . ولم تكد المعركة تحتدم حتى سقط هذيل عن جواده وانهمز زهير واصحابه فأخذهم البربر

(١) ابن بسام : الذخيرة ق ١ م ٢ ص ١٦٧ ١٦٨ .

(٢) ابن بسام : الذخيرة ق ١ م ٢ ص ١٧٢ ١٧٣ .

(٣) نفس المصدر ق ١ م ٢ ص ١٧٣ ، وراجع أيضاً دوزي ، ملوك الطوائف ص ٥٨ .

(٤) ابن بسام : المصدر السابق ق ١ م ٢ ص ١٦٨ .

(٥) نفس المصدر السابق ق ١ م ٢ ص ١٦٨ .

بالشيف وأبادوا من قر منهم في شعاب غرناطة ، وقتل زهير « وجهل مصرعه » (١) ، وان كان معظم المؤرخين يؤكدون مصرعه في قرية ألفت من خارج غرناطة (٢) . وأسر كبار رجاله من حملة الأعلام ، وفي مقدمتهم وزيره ابن عباس ، الذي قتل بعد ذلك بأسابيع قليلة بايعاز من باديس (٣) ، أما باقى حملة الأعلام فقد أمر بالافراج عنهم وكان من بينهم ابن حزم والباجي وغيرها (٤) .

أما ما يتعلق بأعماله في المرية ، فقد تابع زهير نهج سلفه خيران من الاهتمام بتعمير البلاد والتوسع في العمران ، فكانت له بالمرية اثار جليلة ، فهو الذى بنى المسجد الجامع وزاد فيه الزيادات من جهاته الثلاث : الشمالية والشرقية

(١) ابن بسام : المصدر السابق ، ق ١ م ٢ ص ١٦٩ ، ويذكر الامير عبد الله الزيرى : « وخفى زهير عن العسكر فلم يوجد حياً ولا ميتاً » (مذكرات الامير عبد الله ص ٢) كما يذكر العذرى « وقتل زهير يوم الجمعة فى آخر شوال سنة تسع وعشرين وأربعمائه واختلف فيمن قتله ولم يوقف على حقيقة ذلك » (العذرى : ترصيع الاخبار ص ٨٣ ، راجع ايضا ابن عذارى : البيان المغرب ص ٣ ص ١٧١) .

(٢) ابن سعيد : المغرب ص ٢ ص ١٠٧ ، راجع ايضا : ابن عذارى : البيان المغرب ص ٣ ص ١٦٧ ، ابن الخطيب : اعمال الإدلام ص ٢١٧ ، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الاسلامية ص ٧٢ .

(٣) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ م ٢ ص ١٧٣ ، ابن عذارى : المصدر السابق ص ٣ ص ١٧٢ .

(٤) ابن بسام : المصدر السابق ، ق ١ م ٢ ص ١٧٠ ، ابن عذارى : المصدر السابق ص ٣ ص ١٧١ .

والغريبه (١) ، كما اوقف عليه الفنادق والحوانيت الموجودة في شرقيه وفي قبله وفي معظم شماله ، وهو الذي بنى السقايه وجاب الساقيه إليها من النطيه ، وهو الذي بنى السور الواقع بساحل ربض المصلى (٢) .

وكان زهير بالاضافه إلى اصلاحاته ، يشاور الفقهاء ، ويعمل بقولهم (٣) . وكانت هزيمة زهير ومصرعه ضربه قاسية أصابت إمارة المريه ، كان من آثارها استيلاء باديس بن حبوس على الجزء الشمالى الغربى من اراضى المريه وفي مقدمتها مدينة جيان اكبر قواعدها الشماليه (٤) .

ولما علم اهل المريه بهزيمة زهير ومصرعه ، اجتمع أعيانهم وأسندوا امرهم إلى شيخهم ابى بكر الرميمى ، فقام بشئون المريه وضبط الأمن والنظام بها ، إلى ان كاتب اهلها عبد العزيز بن عبد الرحمن شنجول بن ابى عامر يبلنسيه (٥) ، وكان عبد العزيز يرى انه صاحب الحق الشرعى فى ميراث الفتيان العامريين موالى جده ، وكان منذ مصرع زهير قد ارسل وزيره ابن صمادح إلى باديس صاحب غرناطه ، يلح عليه فى قتل الوزير ابن عباس (٦) . حتى لا يعارضه فى امتلاك المريه ، وبادر عبد العزيز الى المريه فدخلها فى آخر ذى القعدة عام ٤٢٩ هـ (١٠٣٧ م) ودخل قصبتها وملك جميع اعمالها ،

(١) العذرى : ترصيع الاخبار ص ٨٣ ، ابن الخطيب : المصدر السابق ص ٢١٦ .

(٢) العذرى : المصدر السابق ص ٨٣ .

(٣) ابن الخطيب : المصدر السابق ص ٢١٦ .

(٤) عنان : ملوك الطوائف ص ١٦١ .

(٥) ابن عذارى : البيان الغرب ص ٣٠٣ ١٦٧ ١٩١٦ ، ابن الخطيب : أعمال الاعلام ص ٢١٧ ، ابن خلدون : العبر ص ٤٠٤ ١١٢ .

(٦) ابن عذارى : المصدر السابق ص ٢٠٣ ١٧٢ .

فبايعه اهله ، واستولى على يث المال بها ، بما كان يحويه من ذهب
مضروب ودراهم وجواهر ، ونقل كل هذا الى مقر ملكه بلنسية^(١) ، واقام
عبد العزيز الدعوة على منابرها لهشام المؤيد ، واصبح ملك عبد العزيز يشمل
مرسيه وبلنسية والمريه .

ولكن المنصور لم يهنأ طويلا بامارة المريه ، إذ سرعان ما انتهز مجاهد
العامري صاحب دانيه وجزر البليار فرصة وجوده بها وخرج غازيا بلاده ،
ويعلل ابن حيان ذلك بقوله : « لما صارت (اى المريه) لعبد العزيز بن ابي
عامر واستضافها الى بلده بلنسية حسده على ذلك مجاهد صاحب دانيه واظلم
الافق بينهما ، فخرج مجاهد غازيا الى بلاد عبد العزيز وهو (اى المنصور)
بالمريه مشغول فى تركة زهير ، فخرج مبادرا عنها لاستصلاح مجاهد^(٢) » ،
ويذكر ابن عذارى ان الحرب وقعت بين مجاهد وقوات المنصور^(٣) .

لذلك اضطر المنصور الى مغادرة المريه والعودة الى مقر حكمه فى بلنسية ،
وقدم على المريه ابنه عبد الله عام ٤٣٠ هـ (١٠٣٨ م) ، ولقبه بالناصر ،
واستوزر له ذا الوزارتين ابا الاحوص مهن بن محمد بن صمادح ، وخطب فى
المريه للمؤيد هشام المنصب باشييليه^(٤) .

(١) العذري : اوصيغ الاخبار ٤ ص ٨٤ .

(٢) ابن بسام : الاخبار ٤ ق ١ م ٢ ص ٣٣٧ .

(٣) ابن عذارى : البيان المغرب ٤ ص ٣٠٢ .

(٤) ابن عذارى : المصدر السابق ، ٣ ص ١٩٢ ، الزويرى (أحمد بن عبد

الوهاب) : نهاية الارب فى فنون الادب : الباب الخامس من القسم الخامس ،

نسخة مصورة من دار الكتب المصرية ١٩٥١ مودعة بمكتبة الادب

بالأندلس برقم ٢٢ م ٤٦ ص ٦١ .

غير ان رئاسة عبد الله المريه لم تدم طويلا ، إذ سرعان ما استغل معن بن
صمدح فرصة غياب المنصور ، ووفاة ابنه عبد الله ، ودعا لنفسه وانتزى بالمرية في
سنة ١٢٣ هـ (١٠٤١ م) ^(١) ، وباستقلاله بها تبدأ صفحه جديده في تاريخ
هذه القاعدة :

١٢٣ هـ

١٢٤ هـ

١٢٥ هـ

١٢٦ هـ

١٢٧ هـ : سنة الفيل

١٢٨ هـ

١٢٩ هـ : سنة الفيل

١٣٠ هـ

١٣١ هـ

١٣٢ هـ

١٣٣ هـ : سنة الفيل

١٣٤ هـ

١٣٥ هـ : سنة الفيل

١٣٦ هـ

١٣٧ هـ

١٣٨ هـ

١٣٩ هـ

١٤٠ هـ

١٤١ هـ

١٤٢ هـ

١٤٣ هـ

(١) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ١٩٢ ، ١٩٣ .

الفصل الثالث

المريه في ظل بني صمادح حتى استيلاء المرابطين عليها

أولا : قيام دولة بني صمادح في المريه

أولوية بني صمادح :

ينحدر بنو صمادح من اصل عربي ، فهم من ولد عبد الرحمن بن عبد الله ابن المهاجر بن عميره ، وتعد قبيلة عميره من تيجيب من اشهر واعرق قبائل العرب التي نزحت الى بلاد الاندلس ، وفي عهد عبد الرحمن بن عبد الله يجتمعون مع بني هاشم التيجيبين اصحاب سرقسطه ، فهذان الفرعان ينتميان الى تيجيب^(١).

وقد كان ابو يحيى محمد بن صمادح جـد المعتصم بن صمادح مؤسس الدولة من قواد محمد بن ابي عامر ، ولاء الولايات

(١) ابن بسام : الذخيرة ، في ١ ، م ٢ ، ص ٢٣٦ ، ابن الأبار : الحلة السيرة : ص ٢٢ ، وما بعدها ،

Dozy (R) : Essai sur L'histoire des Toudjibides, les Banu Hachim de Saragosa et les Banu q madih d'Almería, Recherches, I, pp. 211 — 291;

وقد ذكر ابن الخطيب : نقلا عن ابن الصيرفي ، ان صمادح هو اسم امرأة هي صمادح بنت عبد الرحمن بن عبد الله بن المهاجر بن عميره ، وان هذا الفرع هرف باسم أمهم ، « أعمال الاعلام : ص ١٨٩ » ، غير أن هذا الرأي يعارضه ما جاء في قول ابن حزم ان صمادح هو جدهم « جهرة أنساب العرب : تحقيق ليفي بروفنسال ، ص ٤٠٠ » ، وما أورده ابن الأبار « الحلة السيرة : ص ٢٢ ، ص ٧٨ » وكذا ما ثبت في البيان المغرب لابن عذاري ، ص ١٧٣ ،

وقاد له الجيوش (١) ، ثم تولى مدينة وشقه واعمالها ، ولما تولى سليمان المستعين الخلافة سنة ٤٠٣ هـ (١٠١٢ م) نال ابو يحيى ثقته وتقديره واقره على ولايته وثنى له الوزارة ، إذ كان سياسياً بارعاً ، ومجرباً قديراً ، ومحدثاً لبقاً ، ولم يكن في اصحاب السيوف من يعدله في خلاله هذه (٢) وكان يرتبط مع ابن عمه منذر بن يحيى التجيبي ، صاحب سرقسطه بصلات ودية وثيقة إلا ان هذه الصلات لم تلبث ان ساءت بينهما بمجرد انتهاء دولة سليمان الظافر وقيام بنى حمود باغتصاب الخلافة في سنة ٤٠٧ هـ (١٠١٦ م) ، فاضطربت العلاقات بين ابى يحيى ومنذر ، فسار الأخير في قوات كبيرة الى وشقة ، وحارب ابا يحيى وانتصر عليه وتمكن من الاستيلاء على وشقه اما ابو يحيى فقد نجا بنفسه واهله وولده وفي ذلك يقول ابن حيان : « فلم يلبث ان تفرجت الحال بينهما بعد مضي سليمان ، وتحارب ابا على ملك وشقه ، فعمجز ابن صاذح عن منذر لكثرة جمعه ، واسلم له البلد وفر بنفسه ، فلم يبق بالشعر متعلق ، وكان اول ساقط من الثوار ، لم يتمل سلطانه ولا أورثه من بعده (٣) .

ووجد أبو يحيى في كنف المنصور عبد العزيز بن عبد الرحمن بن ابي عامر صاحب بلنسية مجالا طيبا للمقام ، فقد رحب بمقدمه وأكرم وفادته وتعهد به بالرعاية والحماية وتوثقت العلاقات الطيبة بينهما بالمصاهرة ، فقد قبل المنصور ان

(١) ابن عذارى : المصدر السابق ج ٣ ص ١٦٧ .

(٢) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ٢ ، ص ٢٣٦ ، ابن عذارى : البيان المغرب : ج ٣ ص ١٧٣ ، ابن الخطيب : أعمال الاقدام « القسم الخاص بالاندلس » ص ١٨٩ .

(٣) ابن بسام : المصدر السابق ، ق ١ ، م ٢ ، ص ٢٣٦ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ١٧٣ ، ابن الخطيب : المصدر السابق ، ص ١٨٩ .

بزوج أخته إلى ولدي أبي يحيى : معن بن صباح وأبي عتبة صباح ، ثم عزم أبو يحيى على المضي إلى المشرق والظاهر أنه كان يستهدف الرحلة إلى بغداد سعياً إلى الظفر بتأييد الخليفة العباسي ليعود بعد ذلك وقد حل محل منعه الشرعي في الحكم ما يتيح له أن يؤسس ملكاً ، ولكن لم يقدر له أن يحقق أميته إذ مات غريقاً في البحر ، وبقي ابنه معن في كنف صهره المنصور عبد العزيز (١) .

وكان المنصور عبد العزيز قد استخلف ابنه عبد الله الناصر على الرية (٢) ، بعد أن بلغه خروج مجاهد الية طامعاً ، ولكن عبد الله لم يلبث أن توفي كما قدمنا (٣) . فاضطر المنصور إلى تقديم صهره معن بن صباح على الرية كاملاً عليها من قبله سنة ٤٣٢ هـ فتلقب هذا بذى الوزارتين ، وانتهر اشتغال المنصور بمجارية مجاهد صاحبه دانيه فخطب في الرية للمؤيد هشام المنصور بالنيل منذ سنة ٤٣٠ هـ (١٠٣٨ م) (٤) تمهيداً للخروج علي المنصور والأتقاراد بحكم الرية .

ولم يمض على ذلك عهد قصير حتى ثار على صهره سنة ٤٣٣ هـ (١٠٤١ م) فقدر به وانتزى عليه ، وخلع طاعته ودعا لنفسه (٥) ، واستبد بضبطها ، ويعبر ابن حيان عن هذا الحدث بنوله : « فكان شر خليفة استخلف ، فلم يكن »

(١) ابن الأبار : الحلة السراء : ج ٢ ، ص ٨١ .

(٢) ابن هداري : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ١٩٢ .

(٣) راجع ما فات هنا : ص ١١٨ .

(٤) ابن هداري : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٩٢ .

(٥) ابن سفيان : المغرب ، ج ٢ ، ص ١٩٥ ، ابن هداري : ج ٣ ، ص ١٩٧ .

يواري وجهه عبد العزيز عنه حتى خان الأمانة ، وطرده من الإمارة ، ونصب
له الحرب ، فغرب في اللؤم ما شاء ، وتنكب ابن أبي عامر التوفيق لاسترعائه
للذئب الأول على ثلته ، ومسترعى الذئب أظلم ، وكان من العجب أن تملأها
ابن صمادج وخلفها ميراثا في عقبه » (١) ، وحاول المنصور أن يسترد ساطعانه على
المريه ، فحارب أبا الاحوص معن بن محمد بن صمادج واسكنه لم يظفر منه
بطائل (٢) .

ويورد العذري رواية أخرى ، يفهم منها أن المنصور ولي على المريه
أبا الاحوص معن بن صمادج ، فوليا هذا هو وأخوه أبو عتبة ، إلى أن
أرسل المنصور إلى أهل المريه بطلب تعيين خواص منهم ، فاجتمع أهلها ورغبوا في
تنصيب أبي الاحوص معن عليهم واستشاروا في ذلك باديس بن حبوس صاحب
البرقة وغرناطة وأعمالها ، الذي ساعد معن في القيام على المنصور والاستقلال
بلمريه سنة ٥٤٣٣ هـ (١٠٤١ م) (٣) . ونعتقد أن هذه الرواية مبالغ فيها ونرجح
أن أبا الاحوص معن عمه بعد أن خرج على طاعة المنصور إلى كسب وتأيد
جيرانه من ملوك الطوائف فصالح صنهاجه غرناطة ، فاستقامت له الأمور (٤)
إلى أن توفي في سنة ٥٤٤٣ هـ (١٠٥١ م) .

١) في ابن بسام : الذخيرة : ١ ، م ٢ ، ص ٢٣٧ : ابن عذاري : البيان
المغرب ، ٣ ، ص ١٧٤ .

٢) ابن عذاري : المصدر السابق ، ٣ ، ص ٢٩٣ .
٣) ترصيع الاخبار ، ص ٨٤ ، ويؤيد هذا ما ذكره الأمير عبد الله بن باقر
الزيري بقوله : « وعضد جدنا (أي باديس) رحمه الله — لرياسة (أي لمعن
ابن صمادج) ، وإثباته له في ملكه عند قيام ابن أبي عامر هليم » (مذكرات
الأمير عبد الله ص ٤٤) .

٤) ابن عذاري : المصدر السابق ، ٣ ، ص ٢٩٤ .

وتمتثل علاقات الصداقة والمودة التي جمعت بين معن وباديس استقرت دعائم دولته وودانت له لورقة وياسه وجيان وغيرها (١). وكان معن بن صادح من اهل الدهاء والفضل والعلم والاداب، فنعمت المرية في عهده باستقرار لم تشهده من قبل، كما نعم اهلها بحياة هادئة يسودها السلام والامن والرخاء وتبوءت مكانا فريدا بين دولات الطوائف الاخرى لاجل اعمال معن الجليلة اثرها في ان « انتهى بالمرية في دولته الربيع منتهاه، وأثره بلده على بلد سواه، للسيرة الجميلة والخصال المحمودة، وحمل الناس على العدل والانصاف، وكان قد سد باب البغى » (٢). ويتبين لنا مما سبق ان معن بن صادح صاحب الفضل الاعظم في قيام دولة بني صادح بالمرية وانه المؤسس الحقيقي لهذه الدولة، وظل معن يتولاها زهاء عشر سنوات الى ان توفي بقصبة المرية سنة ٤٤٣ هـ (١٠٥١ م) (٣). احداث المرية في عهد المعتصم : وبعد وفاة معن بن محمد بن صادح خلفه ولده ابو يحيى، قبائعه بنو عميه ورجاله وهو لم يستكمل ثمان عشرة سنة (٤)، ويذكر الحجارى انه ملك المرية وهو ابن اربع عشرة سنة (٥)، ويؤيده في ذلك ابن الاثير ويضيف عليه بان

(١) ابن الاثير : الكامل ، ٧ ، ص ٢١٣ ، راجع ايضا : Dozy (R) : Op. cit., I, p. 242.

(٢) العذري : ترصيع الاخبار ، ص ٨٤ .
(٣) ابن عذارى : البيان المغرب ، ٣ ، ص ١٦٧ ، ص ٢٤٠ ، ابن الاثير : الكامل ، ٧ ، ص ٢١٣ .
Dozy (R) : Op. cit., I, p. 241.

(٤) ابن الابار : الحلة السبراء ، ٢ ، ص ٨١ .
(٥) ابن خلدون : المغرب ، ٢ ، ص ١٩٦ .

أبا يحيى كلفه عمه أبو عتبة بن محمد واستمرث وصايته عليه مدة ثلاث سنوات، آنوفى بعدها أبو عتبة وبقي أبو يحيى مستضعفا لعففر سنة (١) ، ولم يبلغ الرشد بعد .

وكان معن قد اخذ البيعة له فى حياته ، بعد أن عرضها على أخيه أبى عتبة صهادح الذى رفضها واعتذر عنها (٢) . فتمت البيعة لأبى يحيى محمد بن معن ابن صهادح وارتقى ذروة الامارة ، ولقب نفسه بـ « معز الدولة » (٣) . ولم يلبث أن تلقب بـ « المعتصم بالله » ، و « بالواثق بفضل الله » ، عندما أقدم ملوك الطوائف على التلقب بهذه الالقاب الخلافة التى أصبحت محمة من سنات هذا العصر (٤) ، ويقال أنه تلقب أيضا بالرشيد (٥) .

ولقد كان لعففر سن المعتصم بن صهادح - الذى لم يبلغ الرشد - اثره فى تطلع ذوى المطامع فى دولته ، فضعف شأنه فى الحكم ، وتمزقت مملكته حتى سرت (٦) . فلم يسكد يظفر بالامارة حتى تار عليه ابن شبيب فاهل ايه ، لورقه مو كانت من اعمال المرية ، وحدها الشمالى الشرقى المجاور لبانسيه -

(١) ابن الاثير : الكامل ، ٢٧ ، ص ٢٩٣ .

(٢) ابن الابار : المصدر السابق ، ٢٣ ، ص ٨١ .

(٣) نفس المصدر والصفحة .

(٤) ابن الابار : المصدر السابق ، ٢٣ ، ص ٨١ ، ابن عذارى : البيان المغرب ،

٢٣ ، ص ١٦٨ .

(٥) ابن بسام : الذخيرة ، ١ ، ص ٢٢٨ .

(٦) Priets y Vives : Los Reyes de Taifas; p. 61 ;

وأنظر أيضا ، كليبيا مارنلى : مجاهد المامرى ، ص ٧٤ .

وانتزعها من دولته (١) . ولما ادرك عزم المعتصم على محاربه التمس مساندة المنصور عبد العزيز بن ابي عامر صاحب بنسبه ، ولم يتردد المنصور في المبادرة بتقديم كل عون عسكري له مدفوعا في ذلك بحقه على معن بن صبادح وانه لا تنزاعها بالمريه واعمالها واتترادها بحكمها ، اما المعتصم فلما بلغه خروج ابن شبيب عليه واستقلاله بلورقه ومساندة المنصور له ، رأى ان يحدد الحلف القوائم في ايام ابيه بين المريه وغرناطه فتحالف مع باديس السني زوده بكل ما يحتاج اليه من عدة وعتاد ، واعد المعتصم جيشا قويا بقيادة عمه ابي عتب بن محمد ، اشتبك مع عامل لورقه في معركة ضارية لم تؤدي الى استرجاع هذه المدينة ولكن ابا عتب تمكن من الاستيلاء على بعض حصونها يؤكده ذلك ما ذكره ابن خلدون بقوله : « فقاتلوا حصونا من حصون لورقه واستولوا عليها ورجعوا » (٢) .

ولكننا نستدل من رواية ابن الاثير على ان المعتصم فقد لورقه نهائيا ، وان ملكه اقتصر على المريه وما جاورها فقد ذكر ابن الاثير ان « اخذت بلاد البعيدة عنه ولم يبق له غير المريه وما يجاورها » (٣) والمقصود بالبلاد الواردة في هذا النص لورقه التي تشكل الحد الشمالي الشرقي للمريه - كما سبق القول - وأخذت هنا بمعنى أغتصبت ، وهذا يدل دلاله قاطعة على فقدانها نهائيا وخروجها من اعمال المريه .

وهكذا استقل ابن شبيب بحكم لورقه ، وخلفه على حكمها اخوته الثلاثة

(١) ابن خلدون : المعبر : ج ٤ ، ص ١٦٢ .

(٢) كتاب المعبر : ج ٤ ، ص ١٦٢ ، وأنظر أيضاً ،

Dozy (R) : Op. cit ; I, p. 242.

(٣) الكامل في التاريخ : ج ٧ ، ص ٢٩٢ .

بالتعاقب ، وقد اعترف أخيراً الاخوة الثلاثة بطاعة ابن عباد صاحب اشبيلية .
ومن ثم دخلت لورقة في اعمال اشبيلية منذ ذلك الخين حتى سقوط اشبيلية في
ايدى المرابطين في سنة ٤٨٤ هـ (١٠٩١) (١) . ومع ذلك فقد حاول المعتصم
ابن صمادح مناوأة خصومه واسترجاع بعض املاكه فقد انتهز فرصة وفاة
المنصور عبد العزيز بن ابي عامر في سنة ٤٥٢ هـ (١٠٩٠ م) ، واستخلاف
ابنه عبد الملك الملقب بالمظفر ، وسير قوة من جيشه للاغارة على حصن من عمل
تدمير مستعينا في ذلك بحليفه باديس بن حبوس صاحب غرناطة ، الذي لم
يتردد في تقديم العون له « لما كان يعتقد من العصبية البربرية ويذهب إليه
من ازدراء فرقة الاندلسيين » (٢) . إلا ان عامل هذا الحصن ابدى من الشجاعة
والاستبسال والضمود ما احبط هذا الهجوم ، فلم يظفر المعتصم بطائل وانتهت
الحملة بالفشل (٣) .

وعلى الرغم من الحلف القائم بين المرية وغرناطة وارتباط المعتصم وباديس
بصلات وثيقة من الصداقة والود اثبتت وجودها عدة مرات فان المعتصم كان
في اعماقه اندلسياً يكره الطائفة البربرية . يتعصب للطائفة الاندلسية ، واديس
ادل على ذلك من تلك المناظرة التي وقعت بين المعتصم وبين الشاعر خاف بن

(١) مئات : دول الطوائف ، ص ١٦٤ .

(٢) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ٢ ، ص ٢٢٨ .

(٣) يذكر ابن بسام : « وفاته (أي المعتصم) ابن خاله عبد الملك بن عبد العزيز

المنصور ولم يرع فيه حق صهره يحيى بن ذي النون كبير أمراء الأندلس ، فعمد

له على حصن من عمل تدمير وثب عليه عامل عبد الملك ، وجرت بينهما خطوب ،

فتمنع من واجبات بحايفه باديس واستمده على ما ذهب اليه من الفتنة » (الذخيرة ، ق ١

م ٢ ، ص ٢٢٨) .

فرج السميسر والتي انتهت بقول المعتصم للشاعر « لقد احسنت في الاساءة »
إليه (أى إلى ابن بلقين صاحب غرناطة) (١) . والظاهر ان المعتصم

(٤) القرى : تفتح الطيب ، ح ٤ ، ص ٣٨١ ، وكلت المعتصم صاحب المرية
قد بلغه هجاء الشاعر السميسر له والمريه في قوله :

بش دار المرية اليوم دارا ليس فيها لساكن ما يحب
بلدة لا تمار الا بريـح ربما قد تهب أر لا تهب

(في ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ٢ ، ص ٢٧١ ، القرى المصدر
السابق ، ح ١ ، ص ٣٦٠) ، وفي قوله :

قالوا البرية فيها نظافة قلت اية
كأنها طمئت تهب وبيض قى الدم فيه

(ابن بسام : المصدر السابق ، ق ١ ، م ٢ ، ص ٢٧٤) .

فأمر المعتصم بانتظار هذا الشاعر واحتمل في ذلك حتى مثل بين يديه ثم فقال له
أتشدني ما قلت ، فقال له : وحق من جملاني في يدك ما قلت شراً فيك ،
وانما قلت :

رأيت آدم في زومي فقلت له أبا البرية ان الناس قد حكموا

ان البرابر نسل منك ، قال اذن حواء طالقة ان كان ما زعموا

فأباح ابن بلقين صاحب غرناطة دمه ، فخرجت الي بلادك هارباً ، فوضع على من
أشاع ما بلغك عنى لتقناني أنت ، فيدرك تأره بك ، ويكون الاثم عليك ، فقال :
وما قلت فيه خاصه مضاف الى ما قلته في عامة قومه ؟ فقل : لما رأيته مشغولاً
بتشديد ذمته التي يتحصن فيها بغرناطه ، فقلت :

يبنى على نفسه سفاهاً كأنه دودة الحيرى

(راجع القرى : المصدر السابق ، ح ٤ ، ص ٣٨١ ، ٣٨٢ ، راجع =

يلجأ إلى محالفة باديس إلا بدافع من حرصه على استرجاع أملاكه
فتجب (١).

ولم تلبث العلاقات الودية بين المعتصم وباديس أن فسدت عندما اكتشف
باديس اطماع المعتصم في ضم أملاكه إليه ، وربما يرجع سبب ذلك إلى مكائد
يوسف بن نقراله اليهودي وزير باديس ، الذي كان يسعى إلى الاطاحه
بباديس وتمكين المعتصم من الاستيلاء على غرناطة ذاتها ، او على حد قول
عبد الله بن بلسكين كان متهيئاً « لفتح ابوابها (اي ابواب غرناطة) متى
جسر وطرقها » (٢).

فدس إلى المعتصم بن صمادح صاحب المريه في السر يستحثه على المجيء
ويطهه بأن يدخله غرناطة (٣) ، ولم يتردد المعتصم لحظة واحدة في اغتنام
الفرصة وخرج بقواته متجها نحو غرناطة وتمكن من الاستيلاء على بعض
اعمال غرناطة الشرقية وعلى حصن وادي آش (٤) ، واغارت بهـ وئـ على
غرناطة (٥) . وقد ترتب على هذه الاغارات ان فقدت غرناطة معظم اراضيها
الشرقية ، فلم يتبق في حيازتها بهذه المنطقة إلا حصن قبربره الواقع على مقربة

— أيضا : السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المـرية الاسلامية ، ص ٧٦ ، ٧٧ ،
وقرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس ، ج ١ ص ١٢ .

(١) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المـرية الاسلامية ، ص ٧٩ .

(٢) الامير عبد الله : مذكرات الامير عبد الله ، ص ٥٣ .

(٣) البياض المغرب ، ج ٢ ص ٢٦٦ .

(٤) الامير عبد الله : المصدر السابق ، ص ٥٣ ، ٥٤ .

(٥) ابن الخطيب : الاطاحة ، ج ٢ ص ٤٤٨ .

من غرناطة في طريق وادي آش^(١) ، اما غرناطة نفسها فلم يجسر المعتصم على غزوها^(٢) .

ولكن باديس لم يقف مكتوف اليدين ، فقد دفعته أطماع المعتصم بن صامح في مملكة غرناطة إلى التحرك لاسترداد ما انتزعه منها ونجح بمعاونة ابن ذي النون صاحب طليطلة في استرداد وادي آش ، وكان باديس قد بعث إليه « يعلمه بمادهمه من الأمر ، ويسأله صلة يده به ، وانه لما انصرف إليه من البلاد اعطاه منها ما أحب واختار »^(٣) . فسارع ابن ذي النون إلى إجابته مدفوعاً هو الآخر باطماعه ، فقد كان « من الطمع في غاية لم ينته إليها ملك »^(٤) ، ولحق بباديس وهو يحاصر وادي آش ، وتمكنا من انتزاعها من المعتصم ، وبر باديس بوعده فتنازل لابن ذي النون عن بسطه كما طلب^(٥) .

واستشعر المعتصم بمشاعر الندم لما اجترمه في حق باديس حليفه وحليف ابيه ، فأرسل إلى باديس يسأله العفو والاعضاء على ما بدر منه ملقياً اللوم على اليهودي ابن نقراله - وزير باديس - الذي استجبه على فعلته ، فقبل باديس اعتذاره^(٦) .

واستمرت العلاقات الطيبة قائمة بين المعتصم وباديس ولكنها تغيرت عقب وفاة الأخير وتوليه حفيده عبد الله بن بلقين اميراً على غرناطة ، وفي عهد

(١) الامير عبد الله : مذكرات الامير عبد الله ، ص ٥٢ ، ٥٤ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٥٤ .

(٣) مذكرات الامير عبد الله ، ص ٥٦ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٥٧ .

(٥) نفس المصدر والصفحة .

(٦) الامير عبد الله : مذكرات الامير عبد الله ، ص ٥٧ .

الامير عبد الله وقعت منازعات كثيرة بين المعتصم وبينه ، بدأت عندما لجأ ابن ملحان قائد مدينة بسطة إلى المعتصم وذلك له مهمة الاستيلاء عليها وعلى حصن شيلس^(١) ، منتهزاً فرصة الشغال عبد الله بن بلقين بمواجهة ابن عباد ويرجع سبب تصرف هذا القائد إلى مضايقات وزراء الامير عبد الله له بطالب المال ، « فلم يجد سبيلاً إلى الدفاع عن نفسه ، ولا شكوى لمن يذب عنه ويحميه فترامى على ابن صمدح وقبله »^(٢) . وبذلك تم للمعتصم ضم حصني بسطه وشيلشن إلى اعمال المريه .

ولكن المعتصم اغضب بهذا المسلك الشائن الامير عبد الله صاحب غرناطة الذي عمد إلى الانتقام فهاجم اجزاء من مملكته المريه ونجح في انتزاع حصن شنت افليج - من معاقل المعتصم - عوضاً عن حصن شيلشن ، ثم صالحه مهادنة حتى ينتهي خلافه من ابن عباد^(٣) .

ولكن السلام لم يعد بين غرناطة والمريه ولم تكن الهدنة المعقودة سوى قناعاً زائفاً يخفي حقيقة الاوضاع السيئة بين الدولتين ، فقد حدث ان نفى عبد الله بن بلقين امير غرناطة وزيره سماجه ، فاجباً هذا الاخير إلى المريه فلقى ترحيباً من المعتصم الذي قر به إليه واكرم وفادته ، فأخذ سماجه يحقر المعتصم دولة عبد الله بن بلقين ويسر له ويشجعه على مهاجمة غرناطة أملاً في ان « ينال

(١) حصن شيلشن : كذا بالأصل وقد اختلف القدماء في رسم الكلمة فهي عند العنري ترصيع الاخبار ص ١٠ « شيلش » من أقاليم البيرة وأجزائها أما ابن الخطيب فقد رسمها « شيلش » راجع حسين مؤنس تاريخ المغرب والمغاربة في الاندلس ص ٨٤ .

(٢) الامير عبد الله : المصدر السابق ص ٧١ .

(٣) مذكرات الامير عبد الله ص ٧١ .

على يديه فرصة بمداخله او ادلال على موضع قائده «^(١) ولما علم الامير عبد الله بما دبره سماجة مع المعتصم امر بنيان حصن المنتورى الواقع بالقرب من مدينة فنيانه «^(٢) ، مجاوراً لحدود المريه ، وشحنه بالجند وزوده بالعدة والعتاد انتظاراً لما قد يحدث من جانب صاحب المريه ، وقد سبب شحن هذا الحصن بالعدد والآلات مضايقات للمعتصم ، ولكن عبد الله بن بلقين لم يكتف بإقامة هذا الحصن بل شرع فى بنيان سبعة حصون اخرى لتمكين الدفاع عن حدود بلاده مع المريه وغلق المناطق المتاخمة لها فكان من اثر بناء تلك الحصون ، فشل بعوث ابن صمادح ورجوعها على اعقابها «^(٣) .

وهكذا نجحت سياسة الامير عبد الله الدفاعية فى الاطاحة بتدبير سماجة والمعتصم وعلى الرغم من العداء القائم بين المعتصم وعبد الله إلا ان هذا الاخير كان يبدى كثيراً من النوايا الطيبة للتصالح والمهادنة مع المعتصم جاره وحليفه القديم وبفضل هذه المشاعر الطيبة من جانب عبد الله الزيرى ساد الصلح بينهما وانتهى الامر بأن اصدر عبد الله بن بلقين امره بهدم تلك الحصون - التى كان قد بناها فى منطقة حدوده الشرقية مع المريه - كما سبق القول - توكيداً لنواياه

(١) مذكرات الامير عبد الله ، ص ٨٨

(٢) فنيانه Firana ، وتعرف بالحصن « الادريسي : صفة المغرب ، ص ٢٠١ »
من أعمال المريه وتقع على مسافة ٣٠ كيلومترا جنوب شرق وادى آش « الخيري :
الروض المعطار ، ص ١٤٣ والترجمة الفرنسية ص ١٧٢ هـ ٢ » ، وصفها ابن
الخطيب بأنها غزيرة المقيما والتمسار « مشاهدات لسان الدين بن الخطيب ،
ص ٨٩ ، حسين مؤنس : تاريخ الجغرافية والجغرافيون فى الاندلس ، معهد
الدراسات الاسلامية مدريد سنة ٦٧ ، ص ٥٦٨ » .

(٣) مذكرات الامير عبد الله ، ص ٨٩ .

الطيبه وحفاظا على المهادنة بينه وبين المعتصم ، ويعبر الامير عبد الله عن ذلك بقوله « فصاحت الرجل ، وامرت بهدم تلك الحصون ونشرت المريه من كفن (١) ».

ثانياً : ازدهار المريه في عهد المعتصم

ازدهرت المريه في عصر المعتصم في مختلف مناحى الحياة اديبة ومادية ، وكان من ابرز مظاهرها ذلك الازدهار تلك النهضة العمرانية التي شملت المدينة وتمثلت في اتساع المرافق المختلفة ونمو العمران وزيادة البنيان ، ويسجل العذري شواهد ناطقة عن هذه النهضة العمرانية والمعمارية ، فيشير إلى الزيادة التي اجراها المعتصم في قصبة المريه عندما شرع في إعادة بنائها والزيادة في رفع سورها مبالغة منه في تحصينها ومنعتها ، هذا بالإضافة إلى اهتمامه بتشييد القصور النخمة واهمها ذلك القصر الكبير الذي كان يشرف من الجهة الشمالية على جبل ليهم ويعرف بالصباحية ، ومن المعروف ان المعتصم اقام في الجهة القبليّة من القصر الكبير بستاناً عظيماً الاتساع ، غرسه بمختلف النوى والفواكه المعروفة في الاندلس والغريه عنها ، وقد ذاعت شهرة هذا البستان وعظمته إلى حد عجز معه المؤرخون عن وصفه (٢) ، واتخذ المعتصم قبلى القصر مجلساً رائعاً فتحت ابوبه وجعل له دفقا (٣) على نسق دقف المشرق بل تفوقها في غرابة النقش والاتقان وفرش هذا المجلس بالرخام الابيض سطوحه وازره ، ثم شيد في الجهة القبليّة منه

(١) مذكرات الامير عبد الله ، ص ٩٠

(٢) ترصيع الاخبار ، ص ٨٤ ، ٨٥

(٣) دقه « بفتح الدال المهملة » أو دقه « بضم المهملة » كما تنطق في أسبانيا ، الجمع دقف و دفاف ، ضرابه أى مطرقة معدنية تعلق بالباب ، راجع :

Dozy, Supplement I, p. 447 b.

داراً كبيرة اتقنت بكل انواع التذهيب وغريبه مما يحار فيه النظر ، كما أقام فيما يلي تلك الدار جنوباً مجلساً مقرباً^(١) « بالرفوف المزوقة المنقوشة المنزول^(٢) فيها الذهب الطيب مفروش بالرخام الابيض وقد ازر بالرخام المنقوش . . . وفي ذلك النقش تاريخ بناءه والذي امر به »^(٣) ، ويلي صحنه من الجهة القبليّة ابواب نصبت عليها شراجب^(٤) تطل على جميع مدينة المرية كما تطل ايضاً على بحرها ومرساها ، وإلى شرق هذا القصر اقام المعتصم داراً للحكم^(٥) .

ومن اعظم مناقب المعتصم وما آثره التي ذاع أمرها اهتمامه بالمنشآت الدينية وحرصه على استكمال المرافق العامة المتعلقة بهذه المنشآت فمن ذلك على سبيل المثال انه زود جامع المرية (في أول رمضان سنة ٤٥٨ هـ (١٠٦٥ م) بسقاية للمياه تصب في حوض اقيم لهذا الغرض يقع غربى الجامع ، ومن هذه السقاية أجرى قناة كانت تصل إلى ما وراء القصبّة تسرى مياهها في سرب جوفى إلى البئر الذى اقيم فى جوفى القصبّة ، وعلى هذا البئر اقام المعتصم سواقي يسنى

(١) مقرصات وتقابل بالاسبانية Almocarabes زخرفه تشبه عش النحل بين حوافها الصغيرة دلايات منشورية الشكل (راجع جوميت مورينو ، المرجع السابق ص ٤٨٨ .

(٢) المنزل فيها الذهب بمعنى المرصعة بالذهب هي تقابل بالفرنسية Enchâsser كما جاء في : Dozy : Op. cit. . II. p. 660 a

(٣) العنري : المصدر السابق ، ص ٨٥ .

(٤) شراجب ، بمعنى صف براق « قوائم أو أعواد » مثل السياج الخشبي الذي تتقاطع فيه الأعواد على شكل رنة الشطرنج .

(٥) العنري : المصدر السابق ، ص ٨٥ .

ففيها ، ويصل مأوها إلى الرياض التي تحف داره المعروفة بالصهادحية (١) .

ولم تقتصر أعمال المعتصم على المربة نفسها بل تجاوزت نطاقها إلى ما حواليتها ، فقد أقام بستانا ، وشيد قصوراً محكمة البناء غربية الزخرفة والتنميقات ، وغرس في البستان انواعاً مختلفة من الاشجار المعروفة والغريبة كالوز وقصب السكر كما أقام في وسط هذا البستان بحيرة عظيمة حاطها بمجالس منمتحة مطلة على البحيرة كسيت ارضها بالرخام الابيض ، وعرف هذا البستان بالصهادحية ، اسهب الشعراء والادباء في وصفه (٢) وكان يقع على مقربة من مدينة المربة ، وكان يتصل بالصهادحية روضات اخرى مماثلة (٣) .

ولعل الغريب في كل هذا ، ان هذا الغلو في التألق المعمارى والاسراف في الالبهة والترف لا يتناسب مع صغر ملك المعتصم (٤) .

وإلى جانب هذه النهضة المعمارية العمرانية الكبرى التي اتسم بها عصر المعتصم كانت هناك نهضة اخرى ادبية ساعد المعتصم نفسه على دفعها ، فلقد كان المعتصم عندما تولى أمانة المربة غلاماً لم يبلغ الرشد بعد ، فلما كبر أخذ

(١) العذرى : ترصيع الاخبار ، ص ٨٥ ، وانظر ايضاً : السيد عبد العزيز سالم

تاريخ مدينة المربة الاسلامية ، ص ٧٧ — ٧٨ .

(٢) المقرئ : نفع الطيب ، ٢٠٠ ، ص ١٨٦ ، ١٨٧ .

(٣) العذرى : المصدر السابق ، ص ٨٥ .

(٤) ابن خاقان : تلأيد المعيان ، ص ٥٣ ، وانظر أيضاً :

Pérès (Henri) : La poésie andalouse en arabe classique
au XIe siècle, p. 143, paris, 1937,

نفسه بالعلوم ومكارم الاخلاق ، فذاع صيته واشتهر ذكره ، وعظم ساطعانه (١)
فكان المقتصم صاحب ذوق ادبي رفيع ينظم الشعر (٢) ، ويرتاح اسماعه كثيرا (٣) ،
فاجتذب الشعراء بنعمه وجزيل عطاياه ، فانتجعوه من كل قطر وقصدوه من
كل أوب وكان يعقد لهم مجالس يتبارون فيها النظم ، ولهذا لزمه جملة من
فيحول شعراء العصر (٤) . امثال ابى عبد الله بن الحداد (٥) ، وابن
عبادة (٦) .

(١) ابن الاثير : الكامل ، ج ٧ ، ص ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، وأنظر أيضا :

Dozy (R) : Op. cit. I. pp. 245 , 247.

(٢) ابن خاقان : القلائد ، ص ٥٣ ، ٥٥ ، وأنظر أيضا :

Pérès : Op. cit. . p. 143.

(٣) ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ ، ص ١٦٦ .

(٤) ابن بسام : الذخيرة ، م ٢ ق ١ ، ص ٢٢٩ ، وأنظر أيضا ، ابن هدارى :

البيان المغرب ج ٣ ، ص ١٧٥ ، ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ١٩٠ ،

١٩١ .

Dozy (R) : Op. cit , I. pp 248 — 259.

(٥) أبو عبد الله محمد بن الحداد الوادى آش ، وبسميه البعض مازن ، من شعراء القرن

الخامس الهجرى ، اختص بمدح معن بن صمادح ونظم فيه أمداها كثيرة ، توفي

سنة ٤٨٠ هـ (١٠٨٧ م) ، راجع ابن بسام : الذخيرة ، م ٢ ق ١ ، ص

٣٠١ وما بعدها ، ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ ص ١٤٣ ، ابن الأبار : الحلة

السراء ، ج ٢ ، ص ٨٢ ، ٨١ .

Dozy : Op. cit.; I; p. 253.

(٦) أبو عبد الله محمد بن عبادة المعروف بالقزاز ، كان شاعرا من بن صمادح : أنظر =

وإلى جانب ولعه بالشعر ومجالسه كان المعتصم يتصف برجاحة العقل والطهر والاشتغال بالدين وإقامة الشرع ، ولذلك لم تقتصر مجالسه كما بينا على الشعر فحسب بل كان يعقد بقصره مجالس للمذاكرة في العلوم الدينية ومما يروى في ذلك أنه كان يخصص يوم الجمعة لمجالسة الفقهاء والخواص ، يتناظرون في حضرة في كتب التفسير والحديث (١) ، ومن بين من كان يتردد على مجالسه أبو بكر محمد بن مالك القرطبي (٢) ، والاسعد بن إبراهيم بن بليطة القرطبي (٣) .

== عنه ، ابن بسام الذخيرة : م ٢ ، ق ١ ، ص ١٩٦ ، ابن سعيد : المصدر السابق ص ٢ ، ص ١٣٤ ، وما بعدها ، المقرئ : أزهار الرياض ، ص ٢ ، ص ٢٥٢ .

(١) ابن الأبار : الحلة السيرة ، ص ٢ ، ص ٨٢ ، ص ٨٣ ، وراجع أيضا :

Dozy : Op. cit., I, p. 245.

(٢) كاتب بارعا في الشعر والنثر ، أنظر عنه ، ابن بسام : الذخيرة ، م ٢ ق ١ ، ص ٢٤٥ وما بعدها .

(٣) الاسعد بن إبراهيم بن بليطة ، توفي في حدود ٤٤٠ هـ (الجمري «ابو عبد الله محمد بن أبي نصر فرج بن عبد الله الأزدي» جريدة المقتبس في ذكر ولاية الاندلس ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦ ، ص ١٧٦ ، ترجمة (٣٣٠) قال عنه ابن بسام « فارس جليل ، وشاعر محفل ، فجري في الميدانين ، وارتقى في الديوانين (الذخيرة ق ١ ، م ٢ ، ص ٢٩٠ وما بعدها ، ذكره ابن الأبار : الحلة السيرة ، ص ٢ ، ص ٨٣ ، ابن سعيد : المغرب ، ص ٢ ، ١٧ ، المقرئ : نفيع الطيب ، ص ٥٠ ص ١٩٣) .

ولعل شهرة بني صمادح الادبية ترجع إلى المعتصم نفسه (١) إذ كان شاعراً مجيداً وناقداً لاذعاً ، وكان بلاطه ملتقى الادباء والعلماء في عصره ، وكان وزيره ابو الاصبغ عبد العزيز بن ارقم شاعراً قديراً يحسن الوصف والمديح كما اتصف هذا الوزير بالوفاء (٢) كذلك كان بلاط المعتصم ينافس في مجالسة الادبية ، وفي رعايته للشعراء والادباء بلاط اشبيلية (٣) ، ويعلق الاستاذ هنري بيريس على تألق الحياة الادبية في عصر الطوائف بقوله : « لم يكن ملوك الطوائف يتنافسون في المجال السياسي فحسب ، بل تجاوزوا ذلك إلى مجال آخر ذلك هو انهم كانوا يحوِّطون أنفسهم بكتاب عرفوا بفصاحتهم وبراعتهم التي مكنتهم من التبريز في مجالس الادب (٤) . وحافظت المريه على هذا التألق الأدبي والازدهار العمراني الى ان انقرض ملوك الطوائف ودانت الاندلس للمرابطين .

ثالثاً : الاوضاع السياسية في الاندلس قبل دخول المرابطين

أخذت الاحوال السياسية في الاندلس تتطور تطوراً سريعاً قبيل ظهور المرابطين (٥) على المسرح السياسي في الاندلس ، فقد أدى انقسام الاندلس في أعقاب انهيار الخلافة الاموية بقرطبة الى ظهور العنصرية بين مختلف

(١) ابن هنادى : البيان المغرب ، ٢ ، ص ١٧٥ ، ابن بسام : المصدر السابق م ٢ ، ق ١ ص ٢٢٩ .

(٢) المقرئ : المصدر السابق ، ٢ ، ص ٤٥ .

(٣) عثمان : دول الطوائف ، ص ١٦٥ .

(٤) Pèrès (Henri) Op. cit. , p. 23 .

(٥) المرابطون او المثلثون ، قوم صحراويون من قبائل صنهاجه النمام ، خرجوا من الصحراء برسالة دينية تقوم على جهاد الخارجين عن الدين من قبائل =

أجناس المسلمين في الاندلس من عرب وبربر وصقالبة ، وتصدت كل طائفة من هذه الطوائف أمام الأخرى إلى أن استقر الأمر على طائفتين أحدهما اندلسية والأخرى بربرية ، استعانت كل منهما بعناصر إسبانية من نصارى الشمال الذين وجدوا في ذلك فرصة مواتية للقضاء على دولة الاسلام في الاندلس^(١) ، والقيام بدور جديد يمكننا أن نطلق عليه بحق حركة الاسترداد Reconquista ولم تلبث قوى الاسلام أن تفككت وتمزقت أشلاء

= براشوطه وغمارة في بلاد المغرب شمالا واسوا دولة نورية نهضت الاسلام وادت الرسالة على احسن وجه (راجع في تفاصيل قيام هذه الدولة ، ابن ابي زرع (ابي الحسن على بن عبد الله الفاسي) الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وقاريخ مدينة فاس ، المطبعة الفاسية ١٣٠٥ هـ ، ابن عذاري البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، ٤ ، ٤ (قطعه من تاريخ المرابطين) تعاليق احسان عباس ، دار الشروق بيروت ١٩٦٧ ، مؤلف مجهول : الحلال الموشيه في ذكر الاخبار المراكشية ، الطبعة الاولى ، تونس ١٣٢٩ هـ ، حسن احمد محمود : قيام دولة المرابطين صفحه مشرقه في تاريخ المغرب في العصور الوسطى مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٥٧ ، احمد مختار العبادي : الصفحات الاولى من تاريخ المرابطين ، (مجله كلية الاداب ، جامعه الاسكندرية العدد الحادي والعشرون ١٩٦٧ مطبعة جامعة الاسكندرية ١٩٦٨ ، السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ٢ ، ٢ ، الدار القويه للطباعة والنشر الاسكندرية ١٩٦٦ وانظر ايضا :

Huici Miranda (Ambrosio) ; La invasion de los Almoravides y la batalla de zallaca . (Hespérís ; 1933) .

(١) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ٧١٨ .

بسبب هذا الصراع بين الطائفتين واستنفذت المعارك والاستبكات المتواصلة هذه القوى الاسلامية فوهنت وناذلت في الوقت الذي بدأت قوى المسيحية تتحد وتتضامن فيما بينها بفضل مبادرة الملك شانجه العظيم Sancho el mayor الذي استطاع في سنة (٢٩١ هـ / ١٠٠٠ م) ان يحقق تحت تاجه اتحاداً يضم قشتاله وليون وجليقية^(١) ، وأن يربط بين باقى الممالك المسيحية عن طريق المصاهرات^(٢) . وعلى هذا النحو أمكنه ان يسطر سلطانه على اسبانيا النصرانية من جبال البرتات إلى ما وراء شنت ياقب وحقى نهر دويره فيما يلي هضبة الجزيرة الوسطى عند وادى الرمله الوعر^(٣) . ولاحت للقوى النصرانية بوادر امل اسحق القوة الواهية للاسلام في الاندلس والمتمثلة في تلك الدويلات الاسلامية التى قامت على اشلاء الدولة الامويه ، ولكن الظروف شاءت ألا تتحقق أمل النصرانية ، إذ هلك سانشو الكبير تاركاً وراءه اربعة ابناء اقتسموا مملكته فيما بينهم فتصدع بذلك الاطار العام لوحدة اسبانيا المسيحية ، وأدى هذا التمزق السياسى إلى انصراف هذه الدويلات المسيحية بمشاكلها الخاصة عن مواجهة الاسلام فى الاندلس وتوقف حركة الاسترداد إلى حين^(٤) .

(١) حسين مؤنس ، السيد القمبيطور وعلاقاته بالمسلمين (المجلة التاريخية المصرية)

المجلد الثالث العدد الاول ، مايو ١٩٥٠ ، ص ٤١ .

(٢) حسن احمد محمود : قيام دولة المرابطين ، ص ٢٤٨ .

(٣) اشباح (يوسف) : تاريخ الاندلس فى عهد المرابطين والموحدين ، ص ٢٠٢ .

٩ ترجمة ووضع - واشية محمد عبد الله عنان ، الطبعة الثانية ، مطبعة لجنة التأليف

والترجمة والنشر ، مؤسسة الخانجي ، القاهرة ، ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٨ م .

(٤) اشباح : المرجع السابق ، ص ٩ .

إلا أن حركة الاسترداد لم تلبث أن نشطت في عهد فرناندو الاول الابن الأكبر لشانجه وتسميه المصادر العربية فرذاند ٤٢٧/هـ ١٠٥٨ م (١٠٣٥ م) فمنذ ان تولى الملك وهو يسعى سعياً حثيثاً إلى توحيد الممالك المسيحية تحت رايته ونجح في توجيه جموع النصرانية وجهه واحدة تستهدف مدافعة المسلمين ، واستطاع ان يتزع منهم عدداً من مدن الاندلس الكبار مثل سموره « Zamora » وقلمريه « Coimbra » وبازو « Viseu » ، كما هدد بقواته دويلات الطوائف الاربع الكبرى سرقسطه وطليطله وبطايوس واشبيلية واجتاحت عساكره المناطق التابعة لها وارغم ملكي طليطلة وبطايوس على شراء سلمه بجزء سنوية يؤديانها إليه (١).

وفي عهد ابنه وخلفه الفونسو السادس تبدأ مرحلة جديدة في تاريخ الاندلس كادت تتعرض فيها الاندلس لخطر الاسترداد القشتالي ، فقد كان الفونسو أشد اصراراً على مواجهة المسلمين من اييه فاتبع سياسة تقوم على الارهاب والتسلط وبث الغارات ترمى إلى استنزاف القوى الاسلامية ودفع ملوك الغاوائف إلى الدخول في طاعته والخضوع لمشيئته واللوز إليه بالجزيات الفادحة حتى إذا ما أبدوا عجزهم عن ادائها تعرضوا لتنكيله وتعرضت بلادهم لعبث عساكره فيضطروا إلى قبول شروطه (٢).

ولم يكتف الفونسو بتطبيق هذه السياسة الخبيثة التي كانت تستهدف في نهاية الامر إلى إزالة سلطان الاسلام من الاندلس بل قرن ذلك بخطة تستهدف تقليص الرقعة الاسلامية وذلك بأن يحكم الحصار حول حصون الاسلام ،

(١) حسين مؤنس : السيد الغمبيطور وعلاقاته بالمسلمين ، ص ٤١ .

(٢) مذكرات الامير عبد الله ، ص ١٠١ ، وانظر ايضاً ابن الخطيب : اعمال

الأعلام (القسم الثاني) ، ص ٢٤٣ .

وتنتسف قواته ما حولها من غروس ومزروعات وترغم حامياتها على التسليم بدون قيد ولا شرط ، أو كان يعتمد على سياسة الوقيعه والدس بين ملوك الطوائف فينتصر لفريق على فريق ويحقق بذلك سياسته الرامية إلى استنزاف موارد المسلمين المالية عن طريق الاتاوات واستنزاف قواهم ومقوماتهم الذاتية عن طريق الحروب الاهليه بين طوائف المسلمين وبفضل ذاك يتمكن هو في النهاية من الظفر بملك الجزيرة كلها (١) .

ولقيت سياسته تلك قدراً كبيراً من النجاح بسبب مشاعر الطمع والجشع والتحاسد (٢) التي ملأت نفوس ملوك الاسلام وتفرق أهوائهم على الرغم من وضوح نوايا الفونسو التوسعية لديهم كل الوضوح (٣) .

وكان من اثر هذه السياسة إستيلاء القشتاليين على مدينة طليطله في ٢٧ المحرم ٤٧٨ هـ (٢٥ مايو ١٠٨٥ م) (٤) ، فقد أثقل على صاحبها بالجزية وانتزاع من مملكته ما كان يجمعها من حرمون أماميه حتى إذا مات له ذاك حاصر المدينة سبع سنين وانتزعها من صاحبها القادر بالله بن ذى النون فازداد بامتلاكها قوة إلى قوته (٥) ، « وأخذ يحوس خلال الديار ، ويستفتح المعقل والحصون » (٦) .

١/ ابن الكردبوسى : كتاب الاكفاء فى اخبار الخلفاء ، ص ٨٢

٢/ ابن الخطيب : اعمال الانلام (القسم الثانى) ص ٢٤٤ .

٣/ حسن احمد محمود : قيام دولة المرابطين ، ص ٢٥٤ .

٤/ المقرئ : نفح الطيب ، ص ٦٦ ، السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير

ص ٧١٨ .

٥/ ابن بسام : الذخيرة ، ص ١٢٧ ، وانظر ايضا ابن الاثير :

الكامل : ص ١٣٨ .

٦/ المقرئ : نفح الطيب ، ص ٦٦ ، ص ٨٨ .

وأحدث سقوط طليطله في يد الفونسو دويلا هائلا إذ كانت تمثل وسط
الاندلس وقلبه ، وكان نذيراً لقوى المسلمين فبدأوا يستشعرون حقيقة
الأوضاع بعد أن المهتمهم أطاعهم ونزواتهم عن مواجهة خطر الاسترداد وفي
نفس الوقت سجل سقوط طليطله ارتفاعاً واضحاً لحركة الاسترداد إذ ألهم
مشاعر النصرانية وزاد من دفع هذه الحركة وتشيطها ، إذ كان سقوطها
يجسم فكرة العصبية الدينية باعتبارها كانت عاصمة إسبانيا قبل الفتح الإسلامي
للاندلس كما أن استيلاء القشتاليين عليها يمهّد الطريق أمامهم لمزيد من الفتوحات
توطئة لسيطرتهم الشاملة للاندلس وارتفع بذلك شأن الفونسو السادس في
نظر معاصريه ، وتسمى بالأنبراطور^(١) ، واتخذ لقب « ذي الملتين »
وأخذ يكتب أمراء المسلمين قائلاً : « من الانبيطور ذي الملتين الملك المفضل
الاذفنش بن شانجة »^(٢) وبدأت الآمال تترادف في طرد المسلمين نهائياً من
الاندلس ، تلك الآمال التي سبق أن راودت أباه وقال في ذلك « إنما كانت
الاندلس للروم في أول الأمر حتى غلبهم العرب وألحقوهم بأبخس البقاع
جليقية ، فهم الآن عند التمكن طامعين بأخذ ظلماتهم »^(٣) .

وإذا كانت آمال النصرانية قد تضاعفت بعد سقوط طليطله في أيدي
القشتاليين فإن آمال المسلمين في الحفاظ على دولة الإسلام في الاندلس بدأت
تتلاشى وبدأ يلزمهم الإحساس بالنهاية المحتومة ، ويتمثل ذلك في بضعة آيات

(١) ابن الكردبوس : كتاب الأكتفاء ، ص ٨٨ ، راجع معومات عن لقب

انبراطور بنفس المصدر والصفحة هامش رقم ٣ .

(٢) مؤلف مجهول : الحال الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، الطبعة الأولى

مطبعة التقدم الإسلامية ، تونس ، ١٣٢٩ هـ ، ص ٢٢ .

(٣) مذكرات الإمبر عبد الله ، ص ٧٣

نظمها شاعر من شعراء الطوائف^(١) وعلى هذا النحو تحقق لالفونسو ما كان يهدف إليه من اضعاف ملوك الطوائف بالجزيات تمهيداً لادخالهم تحت لوائه ، واخذ خطره يستنحل على دويلات الطوائف عندما بادر ملوكها يخطبون وده ويسترضونه بمضاعفة الجزية ، خاصة بعد ان استولى على طليطالة نقطة دائرة الاندلس^(٢) أو قلبها النابض ، ولكنه لم يقنع بذلك بعد ان انتزع اعظم مدن الاندلس ودفعه غروره إلى التصريح بعزمه على فتح مدن الاندلس كلها وعلى الاخص قرطبة حاضرة الخلافة ، فلما أشار عليه رجال دولته بوضع التاج على رأسه اعترض على ذلك حتى يطمأ ذروة السالك ويتنزع قرطبه « واسطة السلك »^(٣) .

ولم يكن ملوك الطوائف في نظره إلا شردمة من الجبناء والطامعين ، فلم يكن يكثر لهم أو يحتل بقوتهم . ولم يكن أحد من هؤلاء الملوك لا يؤدي إلى الفونسو الجزية وكانوا « احقر في عينه واقل من ان يحتل لهم »^(٤) .

(١) ومن شعر عبدالله بن فرج اليحصبي المشهور بابن الغسال :

يا اهل اندلس حثوا مطيعكم فما لقم بها الا من الغلظ
الثوب ينسل من اطرافه وارى ثوب الجزيرة مندولا من الوسط
ونحن بن عدو لا يفارقنا كيف الحيام مع الحيات في سبط
(راجع المقرئ : نفح الطيب ٤٦٦ ص ٨٤) .

(٢) مؤلف مجهول : الحلال الموشية ٤ ص ١٢ .

(٣) ابن بدم : الذخيرة ٤ ف ٤ م ١ ص ١٣١ وانظر ايضا : اعمال الاعلام (القسم الثاني) ص ٢٤٤ .

(٤) المراكشي (محي الدين ابى محمد عبد الواحد بن على التميمي) : تاريخ الاندلس المسمى بالمعجب في تلخيص اخبار المغرب تحقيق محمد سعيد المريني

القاهرة ٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م ص ١٩٣ .

وعمد الفونسو في المدن الاسلامية التي استولى عليها إلى تطبيق سياسة
ماكرة خبيثة تهدف إلى اضعاف روح المقاومة في نفوس المسلمين ، فجعل لكل
من دان له من الاسلام « البر والرعاية » ، واخذ نفسه بالعدل فيهم والامان ،
والرفق في السر والاعلان ووعدهم الا يلزمهم غير ما توجبه السنة الاسلامية
وان يحملهم في سائر ذل على الحرية وقد كان تحقق انه فرق على ضعفاء
أهل طليطلة مائة ألف دينار ليستعينوا بها على الزراعة والاعتماد (٢) .

وفي تلك الاثناء كانت قواته تنتشر في جميع قواعد الاندلس وتعيث
فساداً في جميع امصارها (٣) . واصبحت اكثر بلاد المسلمين مرتعاً لهم ، ولم
تسلم المريه من عدوانهم فقد اغاروا عليها في ثمانين نارساً ، فاضطر ابن صمادح
إلى مواجهتهم بقوة من اربعمائة من خيار الجند ، لم تلبث ان ولت الادبار عند
أول اشتباك لها مع العدو (٤) .

وعلى هذا النحو بلغ استخفاف الفونسو بالمسلمين مداه (٥) وفي نفس

(١) ابن الكردبوس : كتاب الاكتفاء ، ص ٩١ ، وانظر ايضاً هامش نفس
المصدر رقم ١

(٢) ابن ابي زرع : روض القرطاس ، ص ٩٩ .

(٣) ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ص ٨٩

(٤) من امثلة المبالغ في الاستخفاف بملوك الطوائف امة كتب الى المعتمد بن عباد
كبيرهؤلاء الملوك بطاب منة تسليم بعض حصونه واعماله الى رسله وعماله ، فكتب اليه
بين ما كتبه « من الانبطور ذي الملتين ، المالك المفضل الافش من شانجة الى
المعتمد بالله سدد الله رأيه وبصره مقاصد الرشاد ، سلام عليك من مشيد
شرفة العنا وثبت في المنن فاهتز اهتزاز الرمح بعامله والسيف بساعد حاملة وقد
ابهرتم منازل بطليطلة واقطارها وما صار باهاها حين حاصرها بما صار في هذه »

الوقت امكنه بفضل غاراته المتواصلة وعبث قواته في اراضي الاسلام أن يثير الخوف في نفوس المسلمين وأن يستذل ملوك الطوائف بما فرضه عليهم من الاتاوات ، فأصبح الناس يؤمنون بتفوق قوى المسيحية وأيقنوا بالنهاية المحتومة ، ولهذا ساءت أحوالهم وأصبحوا وقد غلبت عليهم الانانية واللامبالاة يعيشون لساعتهم ولا يحسبون حساباً للغد وأقبلوا على الترف وملذات النفس (١) ، وانقلبت المعايير الاخلاقية فغلب النفاق واخذ الحكم يستعينون بعضهم على بعض بمرتزقة النصارى (٢) ، وتبالغ بعض الروايات العربية في تصوير الغرور الذي ركب الفونسو ، فتشير إلى أنه سار حتى وصل إلى جزيرة طريف في أقصى الجنوب ، فأدخل قوائم فرسه في البحر وقال « هذا آخر بلاد الاندلس قد وطئته (٣) » ، ويعتقد الدكتور حسن محمود انه « سواء أصبح ذلك أم لم يصبح فانه يصور لنا كيف ان آمال ملك قشتالة قد تجاوزت كل غاية ، وأعتقد عن يقين انه محيى ملك اندريق ، وانه لا معصم للمسلمين من بطشه إلا التسليم ، أو الفرار بدينهم إلى بر العدو (٤) » .

وأيا كان الأمر ، فان الفونسو لم يلبث ان قتل عائداً إلى الشمال فنزل على

== السنين « رابع (مؤلف مجهول الحال العوشية ، ص ٢٢ ٢٣٦ ، ابن خلكان) ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر (وفيات الاديان وانباء ابناء الزمان : حقة احسان عباس ، م ٦٧ دار النفوس ، بيروت ، لبنان ص ١١٥ ، السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ص ٢١٩ ، ٧٢٠ .

(١) حسن احمد محمود : قيام دولة المرابطين ، ص ٢٥٩ .

(٢) ابن اوردوبوس : كتاب الاكتفاء ، ص ٧٧ .

(٣) ابن أبي زرع : الاتيس المطرب بروض القرطاس ، ص ٩٩ .

(٤) قيام دولة المرابطين : ص ٢٥٥ .

سرقسط وضرب عليها الحصار واقسم ان لا يرتحل عنها حتى يدخاها او يحول الموت بينه وبين ما يريد ورفض الأموال الكثيرة التي عرضها عليه المستمين ابن هر صاحبها اعتقاداً منه بأنه سيظفر بالمال والبلاد في آن واحد (١) .
وكيفما كان الأمر ، فقد وصلت الاوضاع في الاندلس في هذه الفترة إلى غاية السوء .

استدعاء المرابطين للجهاد في الاندلس :

تختلف الروايات في تعامل دخول المرابطين الاندلس ، فالأمير عبد الله الزيري يبرر دخولهم بالمنازعات التي نشبت بين المعتمد بن عباد والفونسو السادس ومبالغة الاخير في مطالبة ابن عباد بالتخلي عن معاقل هامه من اعماله « كان الموت عنده أولى من اعطائها ، فوجست نفسه منه بالجملة ورام كسره بطوائف المرابطين (٢) » . ثم ان ملوك الطوائف لاسيما في غرب الاندلس كما بن عباد وابن الافطس تنبهوا إلى مرامي الفونسو البعيدة وانه لا يقنع بهم بالهدايا أو الجزية ، فأستقر رأيهم على مكاتبة يوسف بن تاشفين امير المسلمين (٣) ، يعلمونه بحال الاندلس وما آل إليه امرها من تغلب العدو وعلى أكثر ثغورها وبلادها (٤) .

(١) ابن أبي زرع : الانيس المطرب بروش القرطاس : ص ٩٩ .

(٢) مذكرات الامير عبد الله : ١٠١ ، ١٠٣ ، ١٠٤ .

(٣) ابن الكردوس : كتاب الاكتفاء ص ٨٩ ، ص ٩٠ .

(٤) ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ٩٩ ، وأنظر أيضا ابن الخطيب « لسان

الدين » أعمال الاعلام : القسم الخاص بالمغرب ، ص ٣ ، تحقيق وتعليق أحمد

مختار العبادي ومحمد ابراهيم السكفاني ، دار الكتاب بالدار البيضاء ، المغرب ،

١٩٦٤ ، ص ٢٢٧ .

وتذهب روايه المراكشي إلى أبعد من الكتابة لأمر المسلمين يوسف بن تاشفين ، إذ تشير إلى ان المعتمد بن عباد جاز البحر في سنة ٤٧١ هـ (١٠٨٦ م) قاصداً مدينة مراكش بهدف مقابلة يوسف بن تاشفين والاستنصار به على القشتاليين ، فاستقبله يوسف واکرمه ، وسأله ابن عباد عن حاجته في إمداده إياه بالعدد والعدة ، فأسرع يوسف في إجابته إلى طلبه ، وقال له : « انا اول منتدب لنصرة هذا الدين ، ولا يتولى هذا الأمر احد إلا انا بنفسى (١) » ، فعاد ابن عباد إلى الاندلس سعيداً باجابة امير المسلمين لطلبه

وهناك فريق آخر من المؤرخين يعلل سبب جواز يوسف بن تاشفين إلى لا ندلس بوفود جماعة من الاندلس عليه وشكواهم إليه بما حل بهم من عدوهم الفونسو السادس (٢) ، فلقد لمس فقهاء قرطبة من قوة النصارى وضعف المسلمين واستعانة بعض ملوكهم بالفرننج على بعض ، فتشاوروا في الامر واجتمعوا بالقاضى عبد الله بن محمد بن ادهم واستعرضوا الحالة التى آلت إليها البلاد ، وما وصل إليه المسلمون من الصغار والمذلة وتقديمهم الجزية للعدو النصرانى ، فتشاوروا في الامر وقلبوا الآراء المختلفة ، فاقترح بعضهم الاستعانة ببنى هلال عرب افريقية ولكنهم خافوا ان ينقلبوا عليهم فيخربوا بلادهم كما خربوا بلاد افريقية (٣) . وهكذا عدل الفقهاء عن رأيتهم واجمعوا على مسكينة يوسف بن تاشفين لترغيبه فى الجواز بقواته الى الاندلس لجهاد العدو . (٤)

(١) المراكشى : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب : ص ١٩١ ، وفى رواية أخرى

تتول بان الاجتماع كان فى الشمال بموضع يسمى بليط بالقرب من سبتة .

(٢) مؤلف مجهول : الحلال الموشيه ، ص ٢٠ .

(٣) ابن اثير : الكامل ، ٨ - ٢٨ ، ص ١٤١ .

(٤) ابن الاثير : الكامل ، ٨ - ١٤١ ، ابن الابار : ٢ - ٢ ، ص ٩١ .

ويورد ابن خلكان رواية تختلف تماماً عما سبق اذ تفيد بانها لما تمهدت ليوسف بن تاشفين البلاد ، تاق للعبور الى جزيره الاندلس ، فانشأ لذلك المراكب والشواني ، فلما نال الي ملوك الاندلس عزم يوسف هذا ، كرهوا عبور المرابطين الى الاندلس فاستعدوا لذلك بالعدد والعدة الا انهم عدلوا عن مواجهته بعد ان ايقنوا بهجزهم عن مقاتلة حشوده ، ثم انهم كانوا يدركون في نفس الوقت عظم الخطر الذي تمثله قـوى النصرانية عليهم من الشمال وما يترتب على غاراتهم المتواصلة على بلادهم من نتائج خطيرة ، فاستقروا رأيهم في اجتماع عقدوه مع المعتمد بن عباد كبيرهم على اظهر موارم والاتهم للمرابطين امام قـوى النصرانية في اسبانيا مستهدفين من ذلك بث الذعر والهلع في نفوس القشتاليين ومن حالفهم من ممالك اسبانيا المسيحية ، واجمعوا في نفس الوقت على الاتصاف ليوسف بن تاشفين امير دولة المرابطين ومكاتبته (١) .

والواقع ان الحالة السيئة التي تردت اليها دويلات الطوائف بالاندلس من فرقه وتنازع وخلاف فيما بينهم واستنصار بعضهم بقوى الفونسو السادس على بعضهم الاخر والتزامهم بتأديته اتاوات سنوية له ، والمطامع بعيدة المدى التي طغت على ملك قشتالة بعد ما عاينة من سوء احوال المسلمين وانقسامهم وتطلعاته الى السيطرة على المعازل والحصون في الاندلس وتحرير الجزيره نهائيا من ايدي المسلمين ، هذا الوضع لم يكن خافيا ناي حال من الاحوال على يوسف بن تاشفين الذي كان الجهاد في سبيل الله غاية امله ومنتهاى رجائه

(١) ابن خلكان : وفيات الاميان ، م ٧ ، ص ١١٣ ، ١١٤ ،

والأساس الذي قامت عليه دولة المرابطين ، وفي نفس الوقت الذي كان يجتمع فيه ملوك الطوائف المشاركة وحكم الاوضاع كان نقباء الأندلس من جانبهم يعقدون اجتماعا لبحث الموقف وأصدروا قرارهم الذي سجلوا فيه خطورة الموقف وما يتطلبه من جمع الصفوف والتماسك والتلاحم بين مسلمي الأندلس والمغرب وأكدوا ضرورة الاستنصار بقوى المرابطين ، فاتصلوا بهم يستحثونهم ويرغبونهم في الجواز إلى الأندلس ، وجاء قرارهم متفقاً مع قرار ملوكهم استدعاء المرابطين للجهاد بالأندلس من أجل نصرته الاسلام والذب عنه امام الخطر الأسباني .

ويبالغون في تصوير الحماس الذي أبداه المعتمد بن عباد للاستنصار بالمرابطين فيذكرون ان الرشيد بن المعتمد اعترض على استدعائهم فرد عليه المعتمد قائلاً « والله لا يسمع عني ابداً اني اعدت الأندلس دار كفر ولا تركتها للنصارى ، فتقوم على اللغة على منابر الاسلام مثلي ما قامت على غيري ، وحرز الجمال ، والله عندي خير من حرز الخنازير ^(١) .

وأيا ما كانت الأمر فقد اثبتت الأحداث المقبلة صدق مشاعر الأندلسيين في استدعاء المرابطين إلى الأندلس ، فأهون الشرين ان تظل الأندلس بلداً اسلامياً سواء حكمه ملوك الطوائف او حكمه أمراء المرابطين . ونستدل على ذلك من الرواية القائلة بأن المعتمد تأخر في سنة ٤٧٩ هـ (١٠٨٦ م) عن سداد الاتاة التي اعتاد تقديمها لـ « لفونسو » في الموعد المحدد ، ثم ارسالها له مما أدى إلى غضب الفونسو واشتط في طلب بعض الحصون ، وأمعن في التجنى وكان قد بعث رسوله اليهودي لابن عباد

(١) مؤلف مجهول : الحلال الموشيه ، ص ٢٨ ، وانظر أيضاً ابن الخطيب : أعمال

برسالة تحمل هذا المعنى ، والظاهر ان وصول رسول ملك قشتاله إلى اشبيلية اتفق مع قرار المعتمد بن عباد الاتصال بيوسف بن تاشفين الامر الذى دعاه إلى التجروء على القشتالى والامتناع عن تنفيذ مطالبه اعتماداً على نصرة المرابطين له إلى حد انه لم يتردد فى قتل رسول الفونسو اليه عندما احتد عليه واغلظ له القول ، فلما بلغ الاذفنش ما صنعه برسوله وجنده اقسم ليغزونه باشبيلية (١) .

وتذكر المصادر العربية ان المعتمد كتب على الفور إلى امير المسلمين يوسف بن تاشفين فى غرة جمادى الاول ٤٧٨ هـ (١٠٨٥ م) (٢) يستصرخه على الفونسو ويدعوه إلى الجواز للاندلس للجهاد و احياء شريعة الدين ، فلما وفدت سفارة المعتمد بن عباد إلى يوسف بن تاشفين بمراكش حاضرة ملكه ، وتليت عليه الرسالة ، شاور اخوته وبنى عمه ، وأستقر الرأى على تلبية دعوة ابن عباد للجهاد ، كما استشار يوسف بن تاشفين كتابه عبد الرحمن بن أسبط فى هذا الشأن ، وكان اندلسيا من اهل المرية ، فأشار عليه بقوله : « لا يمكنك الجواز إلا ان يعطيك (أى ابن عباد) الجزيرة الخضراء فتحمل فيها اثقالك واجنادك ويكون الجواز بيدك متى شئت (٣) » فبعث برسالة لابن عباد تحمل هذا المعنى ، ووافق ابن عباد على طلبه .

والرواية المذكورة تتضمن بعض المبالغة فى تصوير الموقف ، فلو ان المعتمد لم يكن قد اتصل مسبقا بيوسف بن تاشفين وحصل منه على وعد

(١) الحميرى : الروى المطار : ص ٨٤ ٨٥ ٨٦ .

(٢) يذكر صاحب الحلال ان مكاتبة ابن عباد ليوسف بن تاشفين حدثت فى سنة ٤٧٩ هـ

« راجع : الحلال الموشيه ، ص ٢٩ » .

(٣) ابن الخطيب : أعمال الاعلام : القسم الثانى ، ص ٢٤٥ .

قاطع يبذل العون لما اقدم على اهانة رسول الفؤادسو إليه ولما تجرأ على قتله ،
وليس من المعقول ان يكون ذلك قد حدث دون ان يكون موقفه مدعماً
لا بمجرد وعد من ابن تاشفين فحسب بل بقرب وصول الامدادات المراتبية
او وصولها بالفعل إلى ساحل الجزيرة ، اما القول بأن ابن أسبط هو الذي
أشار إلى يوسف بالمطالبة بشغل الجزيرة لنزول قوات المراتبين فاعتقد انه
بعيد عن الصحة والارجح ان المعتمد خصصه لهذا الغرض بإدارة منه عندما
فوجيء بنزول قوات المراتبين بالجزيرة ولم يكن الامر يطالب مكاتبات مسبقه
من جانب المراتبين للحصول عليها ، وانما الظروف وحدها هي التي املت على
بنى عباد التصرف في هذا الشغل وتقديمه إلى المراتبين تسهيلاً لهمتهم ، يؤكد
ذلك ما رواه الامير عبد الله الزيرى في مذكراته : « فالتفت القوم إلى خيل
قد ضربت محلتها ، لم يدركت اقبلت ، ولم يصحبهم إلا وطائفة اخرى
بعدها ، يزيدون ويترادفون ، حتى انكامل العسكر كله على الجزيرة مع
داود بن عائشة ، واحدقوا حواليلها يحرسونها (١) » ، ولما اعترض الراضى بن
المعتمد بن عباد على هذا التصرف رد عليه داود بن عائشة ، وهو من ابرز
قواد المراتبين بقوله : « وعدتمونا بالجزيرة ونحن لم نأت لأخذ بلده ولا
ضرر بسلطان وانما أتينا للجهاد فاما ان تخايها من هنا إلى وقت الظهر من يومنا
هذا ، وإلا فالذى تقدر عليه ، فاصنع (٢) » .

وبمجرد احتلال يوسف بن تاشفين الجزيرة الخضراء شرع فى بناء
أسوارها وترميم أبراجها وشحنها بالمؤن والأسلحة وحشورها بالجنود (٣) ،

(١) مذكرات الامير عبد الله : ص ١٠٣ .

(٢) نفس المصدر : ص ١٠٣ .

(٣) مؤلف مجهول : الحلال الموشيه ، ص ٢٤ .

ثم رحل عن الجزيرة وكتب إلى رؤساء الأندلس يستنفرهم للجهد^(١) ، ويحضهم على اللحاق به^(٢) ، فوافاه المعتمد بن عباد بجملة من لديه من الأجناد ، والمتوكل بن الألفطس صاحب بطليوس في قـواته^(٣) كما لحق به عبد الله ابن بلكين صاحب غرناطة وأخوه تميم صاحب مالقة^(٤) ، كما لحق به أيضا أكثر رؤساء الأندلس الراغبين في الجهاد بقواتهم^(٥) ، أما المعتصم بن صمادح صاحب المريه « فأبى عليه وبقي متربصا ليرى كيفية الأمر ومخرجه مع الروم ، واعتذر بكبر السن مع الضعف ، وأرسل ابنه معتذراً^(٦) » ، واكتفى بإرسال بعض قوات رمزيه بعثها للمشاركة في الجهاد .

وسار أمير المسلمين نحو بطليوس وعسكر علي مقربة منها بموضع

(١) الأمير عبد الله ، المصدر السابق ، ص ١٠٤ .

(٢) الحلال الموشيه ، ص ٣٤٢ ، ٣٥٠ .

(٣) نفس المصدر : ص ٣٤٢ ابن الخطيب : أعمال الاعلام « القسم الخامس بالغرب » ص ٢٤٠ وما بعدها .

(٤) الحلال الموشيه ، ص ٣٥٠ .

(٥) مذكرات الأمير عبد الله ، ص ١٠٤ ، بينما يقول صاحب الحلال الموشيه ان المعتصم اعتذر بسبب العدو الملاصق له بحصن لييط من عمل لورنة (الحلال الموشيه لمؤلف مجهول ص ٣٤) ويرى الأستاذ امبروسيو اويشي ميراندا انه اثر البقاء انتظارا لنتيجة المعركة المقبلة ، انظر :

Ambrosio Huici Miranda ' La invasion de los Almoravides y la batalla de Zalaca ; Hesperis , t. XI, 1953 , p. 40 .

السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٧٢٣ و ٣٥٣ ، المرية الإسلامية ص ٨١ .

يسمى الزلافة^(١) وارسل من هناك إلى الفونسو كتابا يعرض عليه فيه ان يختار بين الدخول في الاسلام أو أداء الجزية أو القتال كما تقضى السنة^(٢) ، وقد اثار ذلك غضبه واقسم الا يرح من مكانه الذى حل به ، وهكذا دارت المعركة الثانية عشر من رجب ٤٧٩ هـ (١٠٨٦ م)^(٣) بين قوى الاسلام والنصرانية ، وانتهت بانتصار حاسم احرزته المسلمون .

(١) فحص الزلافة من اقليم بطاليوس من غرب الأندلس ، (الحميرى : الروض الماطر ، ص ٨٣ ، ابن الكردبوس : الاكتفاء ، ص ٩٣) .

(٢) مؤلف مجهول : الحال الموشية ص ٣٥ ، وراجع ايضا بعض فصول الخطاب بنفس المصدر والصفحة ، وانظر ايضا ابن ابي زرع : الانيس المطرب ص ١٠١ .

(٣) مؤلف مجهول : الحال الموشية ، ص ٢٤٠ ، ٢٤١ ، اختلفت الروايات الاسلامية في تحديد تاريخ موقعة الزلافة ، فذكر ابن خلكان انها وقعت يوم الجمعة ١٥ رجب ٤٧٩ هـ (ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ص ٧٠ ، ١١٧) ، في حين اورد المراكشى انها وقعت يوم الجمعة ١٣ رمضان ٤٨٠ هـ (المعجب في تلخيص اخبار الغرب ص ١٩٥ ، اما الحميرى فيذكر انها حدثت يوم الجمعة ٢٠ رجب ٤٧٩ هـ (الروض الماطر ، ص ٩٤) ، وابن ابي زرع يوم الجمعة ١١ رجب ٤٧٩ هـ (الانيس المطرب ، ص ١٠١) ، وابن الاثير في "عشر الاول من شهر رمضان ٤٨٦ هـ ، (الكامل في التاريخ : الجزء الثامن ص ١٤٢) راجع تفصيلات هذه المعركة في :

A. Huici Miranda, Op, cit

الحميرى : الروض الماطر ، ص ٨٣ وما بعدها ، حسن احمد محمود : قيام دولة المرابطين ص ٢٧٣ ، الى ٢٨٨ ، السيد عبد العزيز سالم الغرب الكبير

فلما انتهت المعركة بهذا الانتصار ، جمع أمير المسلمين يوسف بن تاشفين رؤساء الأندلس في مجلسه ، وأمرهم بالتضامن والاتفاق ، وإن تكون كلمتهم واحدة ، وأبلغهم أن النصارى لم تقترسهم إلا بسبب ما بينهم من تباين وتنابد ، فوافقهم المجتمعون وأظهروا طاعته ووعدوا بتحقيق ما أمر به (١) ، سيما بعد الانتقادات اللاذعة التي وجهها يوسف بن تاشفين لملوك الطوائف قبل وقوع المعركة والتي عبر عنها في قوله « كان غرضنا في ملك هذه الجزيرة أن نستنقذها من أيدي الروم ، لما رأينا استيلاءهم على أكثرها وغفلة ملوكهم وإهمالهم للغزو وتواكلهم وتخاذلهم وإيثارهم الراحة ، وإنما همة أحدهم كأس يشربها وقينة تسمعه وهو يقطع به أيامه (٢) » .

ثم قتل أمير المسلمين يوسف بن تاشفين راجعاً إلى العدو المغربي في بداية عام ٤٨٠ هـ (١٠٨٢ م) ، إذ وافته أنباء مزعجه بوفاة ابنه أبى بكر لم يجد معها بداً من سرعة الكرة (٣) ، والودة إلى العدو المغربية (٤) ، وشيعة ابن عبداد إلى الجزيرة الخضراء (٥) ، ويرجع الدكتور حسن أحمد محمود سبب عودة يوسف بن تاشفين السريعة إلى المغرب إلى أنباء وصلته عن وفاة عمه أبى بكر

(١) مذكرات الأمير عبد الله ، ص ١٠٦ .

(٢) الرامكشى : المعجب في تلخيص أخبار الغرب ، ص ٢٢٦ .

(٣) الحميرى : الروض المطار ، ص ٩٤ ، مؤلف مجهول : الحلال الموشية ، ص ٤٧ .

ابن أبى زرع : الأنيب المطرب ، ص ١٠٥ .

(٤) مؤلف مجهول : الحلال الموشية ، ص ٤٧ ، ابن الكردبوس : الأكتفاء ، ص ٩٥ .

ابن أبى زرع : الضد السابق ، ص ١٠٥ .

(٥) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، القسم الخاص بالمغرب ، ص ٣٨ ، ص ٣١٩ .

أبن عمر زعيم المرابطين واميرهم ٤٨٠ هـ (١٠٨٧ م) ، فأحب ان يعجل بالعودة إلى المغرب ليرث ملك عمه ، ويبادر بأخذ البيعة لنفسه ، قبل ان يغتصبها منه بعض الامراء الآخرين منتهزين فرصة وجوده بالانداس مشغلا بمعركة الجهاد (١) .

وكيفما كان الامر ، فقد عجل امير المسلمين يوسف بن تاشفين بالعودة إلى المغرب بعد ان اسند قيادة الجيش المرابطى فى الانداس إلى قائده سير بن ابى بكر توطئة لعودته إلى الاندلس بعد تدبير شئون مراکش ليتابع فيها الحرب بنفسه (٢) .

والواقع ان اضطراب الاحوال السياسية بالانداس كان له اعظم الاثر فى تضيق هوة الخلاف بين ملوك الطوائف فتناسوا بعض الوقت احقادهم ومطامعهم وسعوا إلى توحيد الصف امام اعدائهم الذين بدأت تحركهم دوافع الطمع فى استرجاع اسبانيا وانتزاعها من ايدي المسلمين واعادتها إلى ما كانت عليه ايام القوط .

فبالرغم من العداء السافر الذى كان قائماً بين المعتمد بن عباد صاحب اشبيلية والمعتصم بن صمادح صاحب المريه ، وهو عداء كان يذكيه المعتصم (٣) وينفخ فى رماده إلى درجة تبادل المراسلات القبيحة بينهما ، وإلى تعريض المعتصم بالمعتمد فى مجالسه ، وانتهى الامر بصدام مسلح بين الطرفين وذلك عندما اقدم

(١) قيام دولة المرابطين ، ص ٢٨٧ ، وانظر ايضا التعليق بهامش رقم ٨ ، ص ٩٥ ، ٩٦ من كتاب الأكتفاء لابن الكردبوس .

(٢) اشباح : تاريخ الاندلس فى عهد المرابطين والموحدين ، ص ٨٩ .

(٣) يقول المراكشى فى ذلك : « كان (المعتصم) قديماً الحسد للمعتمد ككثير النفاسة عليه رد (المراكشى : المعجب ، ص ١٩٦) . »

المعتمد بن عباد على غزو المرية ^(١) ، وعلى الرغم من ذلك كله فقد اتفق الخاضعون على تصفية خلافاتها ، وتم الاجتماع بينهما في موضع قريب من حدود مملكتي اشبيلية والمرية ، انعقد فيه مجلس الصلح بينهما وقد احتفل المعتصم بهذه المناسبة بضيافته المعتمد غاية الاحتفال وبالغ في إكرامه ، بأعداد مجالس الانس ، وآلات الطرب ، واستمرت ضيافة المعتمد في كنف المعتصم ثلاثة اسابيع عاد بعدها إلى بلاده ^(٢) .

والظاهر ان هذا الاجتماع ، بالإضافة إلى انه أدى إلى تصفية الخلافات وانعقاد الصلح ولو بشكل ظاهري ، كانت له نتائج طيبة ، إذ ساعد على تقبل يوسف بن تاشفين للمعتصم بن صامح ورضائه عليه بفضل امتداح المعتمد له عنده ونعته إياه بكل فضل ، استغل المعتصم - وهو مشهود له بالذكاء - بحسن العلاقات بينه وبين أمير المسلمين وغمره بالهدايا الفاخرة ، والتحف النفيسة « وتلطف في خدمته حتى قرب به أمير المسلمين أشد تقرب ، وكان يقول (أي يوسف ابن تاشفين) لأصحابه : هذان رجلا هذه الجزيرة يعني المعتصم والمعتمد » ^(٣) .

وعندما عبر المعتمد بن عباد بحر الزقاق إلى العدو والتقى بأمر المسلمين يوسف بن تاشفين وشكا إليه ما يعانيه المسلمون بسبب حصن لييط وضرره على المسلمين ^(٤) وصور له أهمية هذا الحصن ، « وانه في قلب البلد وان

(١) الحميري : الروض المطار ، ص ٨٤ .

(٢) المراكشي : المعجب ، ص ١٩٧ ، وانظر أيضا :

Dozy (R) , OP . cit. , 1 ; p , 266 ,

(٣) المراكشي : المصدر السابق ، ص ١٩٧ .

(٤) ابن أبي زرع : الانيس الطرب ، ص ١٠٦ ، وانظر أيضا الحل الموشية =

لأراحة للمسلمين إلا بمنقده » ، استجاب امير المسلمين لرغبته ، فجاز إلى الجزيرة الخضراء وما كاد يستقر بها حتى كتب لملوك الطوائف يستنفرهم للجهاد معه (١) . فوافته هناك جيوش الاندلس ، وساهم المعتصم بن صمادح بجيشه مع بقية ملوك الطوائف في حصار لييط ، ويضيف ابن بسام بأن المعتصم « خرج عن المرية إلى لييط يجر جيشا ، لا تأتي الطير غدوته ولا يتوقع العدو وطأته » (٢) ، وظهر المعتصم بين فرسانه الببض في ثوب مرابطي اسود فكان كما وصفه بعض الرواة العرب كالغراب الاسود بين الحمام الابيض (٣) . ويروي الامير عبد الله ان المعتصم بن صمادح « أتى بنمير اقامه وخرق به العادة ، اصابه من الحصن قوس من نار وأحرقه » (٤) . واستمر حصار المسلمين لحصن لييط اربعة اشهر ولكنه انتهى بالنشل ، وربما يرجع ذلك إلى صمود الحامية القشتالية ، وقوة تحصنها لهذا الحصار ، بالإضافة إلى عامل آخر أكثر من الأول أهمية هو اختلاف كلمة المسلمين (٥) ، فقد شكك المعتصم بن عباد لأمير

== أواف مجهول ٤ ص ٤٨ ، ابن الخطيب : اعمال الأعلام ٤ ص ٣٢٩ .

(١) مذكرات الامير عبد الله ، ص ١٠٨ ، الحلل الموشية أواف مجهول ٤ ص ٤٩ وابن ابي زرع : الانيس المطرب ٤ ص ١٠٦ .

(٢) الذخيرة ٤ ق ١ ص ٢٢٠ .

(٣) اشباخ : تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين ٤ ص ٩١ .

(٤) مذكرات الامير عبد الله ٤ ص ١٠٩ ، فيل : آله من آلات الحصار وهي أشبه بالسكش الذي كان يستخدمه المحاربون في حصار الدق الملاحية بالشام ابان الحركة الصليبية .

(٥) مذكرات الامير عبد الله ٤ ص ١١١ وما بعدها ، الحلل الموشية أواف مجهول ٤ ص ٤٨ ،

ابن ابي زرع : الانيس المطرب ٤ ص ١٠٦ .

المسلمين ابن رشيق الثائر عليه بمصرية ، كما اختلف ابن صمادح مع ابن عباد بشأن بعض الحصون وانصرفا دون اتفاق بينهما (١) . ذلك ان المعتصم لما استوثق من علاقته بأمير المسلمين وتمكن منه ، سعى في تغييره على المعتمد بافساد العلاقات الطيبة بينهما ، فكان من جملة ما اسر به لأمير المسلمين الغرور الذي ركب المعتمد وتجاوز الحدود في استعلائه وتكبره (٢) .

والظاهر ان يوسف بن تاشفين استبشع ما رآه بين ملوك الطوائف من خلافت واستاء من الوضع الداخلي في الاندلس وأبدى استيائه برفع الحصار عن حصن لبيط والانصراف إلى ناحية نورة ، ثم مغادرة الاندلس إلى العدو المغربية عن طريق المرية (٣) .

وازداد غضبه وهو بالعدو المغربية علي ملوك الطوائف عندما بلغه ان الأمير عبد الله بن بلكين تعاقد مع البرهانس وكيلى الفوانيس السادس في جهات غرناطة والمريه ، وان الأمير عبد الله التزم بدفع جزية سن ثلاث سنوات ماضية قدرها ثلاثين ألف دينار مقابل مسالمته (٤) . وكذا ان قد ثبت

(١) مذكرات الأمير عبد الله ، ص ١١٣ .

(٢) كما وشابه عند يوسف بن تاشفين فاباغة انه قال عنه : « طالت اقامة هذا الرجل بالجزيرة يعنى أمير المسلمين : لو عوجت له اصبعى ما اقام بها ليلة واحدة هو ولا اصحابه : وكالك تخاف غائلة واى شىء هذا المسكين واصحابه ؟ انما هم قوم كانوا فى بلادهم فى جهد من العيش وغلاء من السعر ، جئنا بهم الى هذه البلاد نطعمهم حسبة واثجارا فاذا شبعوا اخرجناهم منها الى بلادهم » . (راجع المراكشى : المعجب ، ص ١٣٨) .

(٣) ابن ابي زرع : الانيس المطرب ، ص ١٠٦ .

(٤) مذكرات الأمير عبد الله ، ص ١٢٣ وما بعدها ، وانظر ايضا ، ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص ١٠٧ .

لامير المسلمين من قبل تعاون ابن رشيق مع النصارى اثناء حصار لييط (١) . لكل هذه الاسباب ، عزم امير المسلمين هلى استئصال دويلات الطوائف والاطاحة بعروشها حتى يتهبأ له توحيد الجبهة الاندلسية المغربية لمواجهة خطر النصارى ، فجاز للمرة الثالثة إلى الاندلس في سنة ٤٨٣ هـ (١٠٩٠ م) ، متظاهراً بعزمه على محاربة النصارى ، وسير قوات مخدومة عبرت من سبته إلى الجزيرة الخضراء إلى مختلف نواحي الاندلس ، وفي هذه المرة لم يطلب من ملوك الطوائف جنداً لمعارنته ، كما انهم لم يعرضوا عليه العون بل اخذوا يترقبون حركات المرابطين في حذر وتشكك ، وعرج يوسف على رأس جيشه إلى طليطة فحاصرها ، ولكنه ما كاد يشرع في العيث بأراضيها ويتوغل حتى ظاهر عاصمة قشتاله (٢) ، حتى رجع فجأة نحو الاندلس وقد عزم على استئصال شأفة ملوك الطوائف فبدأ بنكبه الامير عبد الله الزيري صاحب غرناطة ، وكان شديد الغضب عليه ، فعزله عن ملكه ونفاه إلى اغمت (٣) ، واردفه بأخيه تميم صاحب مالقه (٤) .

وفي سنة ٤٨٤ هـ (١٠٩١ م) ، سير جيوشاً اربعة عبرت من سبته إلى الجزيرة الخضراء وجهها إلى مختلف بلاد الاندلس ، فقدم علي الجيش الاول ابن عمه الامير سير بن ابى بكر وامره بمحاصرة ابن عباد باشبيلية واحتلالها ثم التوجه إلى بطليموس والاستيلاء عليها واسقاط صاحبها المتوكل على الله عمر بن المظفر بن الافطاس ، كما قدم على الجيش ابا عبد الله بن الحاج وعهد

(١) مذكرات الامير عبد الله ، ص ١١٢ .

(٢) ابن ابي زع : الانيس المطرب ، ص ١٥٧ ، وانظر ايضا ، اشباح : تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والوحدين ، ص ٩٣ .

(٣) مذكرات الامير عبد الله ، ص ١٦٠ ، الحال الموشية لهؤاف مجهول ، ص ٥١ .

(٤) مذكرات الامير عبد الله ، ص ١٦٢ ، ١٦٣ .

اليه بمنازلة الفتح الملقب بالأمون بن المعتمد بن عباد بقرطبه والاستيلاء عليها ، كما عهد إلى الأمير يحيى بن واسنو بقيادة جيش ثالث لفتح المريه وقدم على الجيش قائده جرور الحبشى وعهد اليه بفتح رنده واسقاط واليهما الراضى بن المعتمد بن عباد (١) .

وقد نجحت هذه الجيوش جميعا في تنفيذ مهماتها واسقاط ملوك الطوائف في اشبيلية وبطليوس ورنده .

اما المريه ، فقد لاقت هى الاخرى نفس مصير هذه الدويلات ذلك ان المعتصم بن صمادح عندما شعر بنية المرابطين فى الاستيلاء على بلاده وعجزه عن تفادى المصير المحتوم الذى قضى به ابن تاشفين على جميع ملوك الاندلس (٢) ، وحوصرت المريه من البر والبحر حصاراً محكماً ، سعى المعتصم إلى النجاة بنفسه ودولته من هذه النهاية المنجعة ورأى ان يجرب آخر سهم فى جعبته ، فبادر بارسال ابنه عميد الله عز الدولة - وكان متنفذاً فى الدين - إلى الأمير يحيى بن واسنو عليه يستطيع ان يثنيه عن عزمه وذلك عن طريق بيان وجه الحق له ، إلا ان عز الدولة لم يكد يصل إلى الأمير حتى امر هذا بثقافه على المقام فى الحديد ، وعندما علم المعتصم بأمر ولده تحيل فى اطلاق سراحه (٣) . وفى هذه الاثناء طرقت جيش المرابطين أبواب المريه ، وكان قد استولى على جميع اعمصارها ولم يبق فى حوزة المعتصم ابن صمادح سوى المريه ذاتها فاعتصم بقصبتها ، غير انه لم يلبث ان داهمه

(١) مؤلف مجهول : الحال الموثقه ، ص ٥٢ .

(٢) أشباح : تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين ، ص ٩٩ .

(٣) مذكرات الأمير عبد الله ، ص ١٦٧ ، وأنظر أيضا : ابن الأبار : الحلة

البيراء ، ج ٢ ص ٨٨ ، ٨٩ .

المرض في الوقت الذي كان المরা بطون يحكمون فيه الحصار حولها ، وينسبون إليه عبارة جرت مجرى الأمثال، نصها: «نقص علينا كل شيء حتى الموت»^(١) ويروون أنه عندما لاحظ جاريته تبكي عند رأسه اشفق عليها ودعاها إلى ادخار هذه الدموع لوفاته الوشيكة ، فعبر عن ذلك ببیت من الشعر ضمنه الاحساس بالمرارة والقنوط^(٢) . ولما أيقن بقرب نهايته مع تفاذ قدرة عسكره على المقاومة والصمود دعا ولده وولي عهده معز الدولة للمثول بين يديه ونصحه بضرورة المطاوعة والتشبث بقصبة المرية ما استطاع إلى ذلك سبيلا وقال له : (امتسك هذه القصبة طول مقام ابن عباد في ملكه باشيلية ما استطعت ، فان رأيت ابن عباد قد خرج ، فلا تتربص ساعة واحدة ، وانج بنفسك إلى القلعة وادخل البحر بها قدرته عليه من زخائرك إذ لا مطمع لك في البقاء بعده »^(٣) .

ولم يطل الأمر بالمعتصم إذ لم يلبث أن توفي في ربيع الآخر سنة ٤٨٤ هـ

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ م ٢ ، ص ٢٤٠ ، ٢٤١ ، وأنظر أيضا : ابن

خلكان : وفيات الأعيان ، م ٥ ، ص ٤٤ .

Dozy (R) : Op. cit., I, 272.

(٢) ترفق بدمعك لا تفننه فبين يديك بكاه طويل

(ابن بسام : نفس المصدر ، ق ١ م ٢ ، ص ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ابن الخطيب :

أعمال الأعلام » القسم الخاص بالاندلس » ص ١٠١ .

(٣) مذكرات الامير عبد الله ، ص ١٦٧ ، ١٦٨ ، ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ م

٢ ، ص ١٤١ ، ابن البار : الرحلة السرياء ، ج ٢ ، ص ٨٥ ، ابن الخطيب

أعمال الأعلام » القسم الخاص بالاندلس » ص ١٩١ .

(١٠٩١ م) (١)، بعد ما يقرب من إحدى وأربعين عاماً تولى خلالها شؤون المملكة، وخلفه ابنه معز الدولة في ولايتها وتحمل تبعه هذه التركة المثقلة بالمشاكل، والظاهر أن المرابطين قد فتر حماسهم بعض الوقت عن فتح المريه لانشغالهم باحكام الحصار حول اشبيلية، والتمهيد للسيطرة عليها ومع ذلك فلم يصرفهم ذلك عن متابعة محاصرة المريه برا وبحرا، فمكث معز الدولة يترقب الاحداث إلى أن تأكد لديه سقوط اشبيلية، ووقوع ملكها المعتمد ابن عباد اسير في قبضة ابن أبي بكر سنة ١٨٤ هـ (١٠٩١ م)، وعندئذ عمد إلى الاخذ بوصية ابيه والبحث عن مخرج له من المصير المحتوم. فتظاهر برغبته في مناوره المرابطين، ونجح في حمل عسكرهم على تخفيف الخناق عنه ناحيه البحر (٢). ثم انه انتهز هذه الفرصة لينجو بنفسه، فامر رجاله بنقب السور الممتد خارج باب موسى إلى دار الصناعة (٣). وركب مع خواصه في قطعة بحرية وشحن ما قدر عليه من الاموال والمتاع والذخائر في قطعتين أخريين (٤)، ثم تظاهر أمام رعيته بالخروج لمهادنة يوسف بن تاشفين، فسر اهل المريه لذلك (٥) اعتقاداً منهم بأنه سيمهد بذلك طريق المصالحة مع المرابطين وتجنبتهم

(١) ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، « القسم الخاص بالاندلس » ، ص ١٩١ .

(٢) اشباح : تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ص ٩٩ .

(٣) ابن الخطيب : المصدر السابق ص ١٩٢ ، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المريه الاسلاميه ص ٤٩ .

(٤) ابن الخطيب : نفس المصدر والصفحة ، السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ٨٢ .

(٥) مذكرات الامير عبد الله ، ص ١٦٨ ، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المريه الاسلاميه ص ٨٢ .

الأخطار المترتبة على احتلالهم للمدينة ، ولكنه ما كاد ركب مع آله وخواصه حتى أمر بإحراق باقي الأجنان خشية المطاردة ^(١) . ولما توسطت مراكبه البحر أغدق على البحريين أموالا جمه وأعلنهم بوجهته ، فلاذ إلى ثغر الجزائر ونزل في كنف بني حماد أصحاب البلاد ^(٢) ، فأسكنوه مدينة تدلس ^(٣) ، وكان في شهر رمضان سنة ٤٨٤ هـ (١٠٩١ م) ^(٤) .

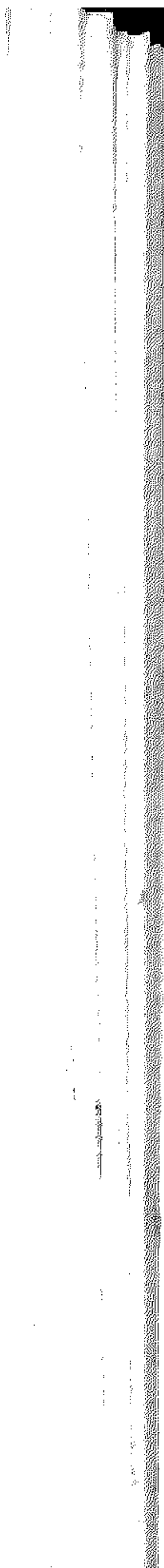
ولم تمض بضعة أيام حتى كان المرابطون قد استولوا على المريه دون مقاومة ، وبسقوط المريه في أيدي المرابطين تبدأ مرحلة جديدة في تاريخ المريه الإسلامية .

(١) ابن الخطيب : أعمال الأعلام « القسم الثاني » ، ص ١٩ ، السيد عبد العزيز : المرجع السابق ص ٤٩ ، أحمد مختار المبادي : دراسات ، ص ٣٠٩ .

(٢) ابن الخطيب : نفس المصدر والصفحة .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، ص ٨٠ ، ص ١٥٦ ، ابن الكردوبوس : الاحتفاء ، ص ١٠٥ .

(٤) ابن الأبار : الحلة السبابة ، ص ٢٢ ، ص ٩ .



البَابُ الثَّانِي

أهم المظاهر الحضارية

1

2
3
4
5
6
7
8
9
10
11
12
13
14
15
16
17
18
19
20
21
22
23
24
25
26
27
28
29
30
31
32
33
34
35
36
37
38
39
40
41
42
43
44
45
46
47
48
49
50
51
52
53
54
55
56
57
58
59
60
61
62
63
64
65
66
67
68
69
70
71
72
73
74
75
76
77
78
79
80
81
82
83
84
85
86
87
88
89
90
91
92
93
94
95
96
97
98
99
100
101
102
103
104
105
106
107
108
109
110
111
112
113
114
115
116
117
118
119
120
121
122
123
124
125
126
127
128
129
130
131
132
133
134
135
136
137
138
139
140
141
142
143
144
145
146
147
148
149
150
151
152
153
154
155
156
157
158
159
160
161
162
163
164
165
166
167
168
169
170
171
172
173
174
175
176
177
178
179
180
181
182
183
184
185
186
187
188
189
190
191
192
193
194
195
196
197
198
199
200
201
202
203
204
205
206
207
208
209
210
211
212
213
214
215
216
217
218
219
220
221
222
223
224
225
226
227
228
229
230
231
232
233
234
235
236
237
238
239
240
241
242
243
244
245
246
247
248
249
250
251
252
253
254
255
256
257
258
259
260
261
262
263
264
265
266
267
268
269
270
271
272
273
274
275
276
277
278
279
280
281
282
283
284
285
286
287
288
289
290
291
292
293
294
295
296
297
298
299
300
301
302
303
304
305
306
307
308
309
310
311
312
313
314
315
316
317
318
319
320
321
322
323
324
325
326
327
328
329
330
331
332
333
334
335
336
337
338
339
340
341
342
343
344
345
346
347
348
349
350
351
352
353
354
355
356
357
358
359
360
361
362
363
364
365
366
367
368
369
370
371
372
373
374
375
376
377
378
379
380
381
382
383
384
385
386
387
388
389
390
391
392
393
394
395
396
397
398
399
400
401
402
403
404
405
406
407
408
409
410
411
412
413
414
415
416
417
418
419
420
421
422
423
424
425
426
427
428
429
430
431
432
433
434
435
436
437
438
439
440
441
442
443
444
445
446
447
448
449
450
451
452
453
454
455
456
457
458
459
460
461
462
463
464
465
466
467
468
469
470
471
472
473
474
475
476
477
478
479
480
481
482
483
484
485
486
487
488
489
490
491
492
493
494
495
496
497
498
499
500
501
502
503
504
505
506
507
508
509
510
511
512
513
514
515
516
517
518
519
520
521
522
523
524
525
526
527
528
529
530
531
532
533
534
535
536
537
538
539
540
541
542
543
544
545
546
547
548
549
550
551
552
553
554
555
556
557
558
559
560
561
562
563
564
565
566
567
568
569
570
571
572
573
574
575
576
577
578
579
580
581
582
583
584
585
586
587
588
589
590
591
592
593
594
595
596
597
598
599
600
601
602
603
604
605
606
607
608
609
610
611
612
613
614
615
616
617
618
619
620
621
622
623
624
625
626
627
628
629
630
631
632
633
634
635
636
637
638
639
640
641
642
643
644
645
646
647
648
649
650
651
652
653
654
655
656
657
658
659
660
661
662
663
664
665
666
667
668
669
670
671
672
673
674
675
676
677
678
679
680
681
682
683
684
685
686
687
688
689
690
691
692
693
694
695
696
697
698
699
700
701
702
703
704
705
706
707
708
709
710
711
712
713
714
715
716
717
718
719
720
721
722
723
724
725
726
727
728
729
730
731
732
733
734
735
736
737
738
739
740
741
742
743
744
745
746
747
748
749
750
751
752
753
754
755
756
757
758
759
760
761
762
763
764
765
766
767
768
769
770
771
772
773
774
775
776
777
778
779
780
781
782
783
784
785
786
787
788
789
790
791
792
793
794
795
796
797
798
799
800
801
802
803
804
805
806
807
808
809
810
811
812
813
814
815
816
817
818
819
820
821
822
823
824
825
826
827
828
829
830
831
832
833
834
835
836
837
838
839
840
841
842
843
844
845
846
847
848
849
850
851
852
853
854
855
856
857
858
859
860
861
862
863
864
865
866
867
868
869
870
871
872
873
874
875
876
877
878
879
880
881
882
883
884
885
886
887
888
889
890
891
892
893
894
895
896
897
898
899
900
901
902
903
904
905
906
907
908
909
910
911
912
913
914
915
916
917
918
919
920
921
922
923
924
925
926
927
928
929
930
931
932
933
934
935
936
937
938
939
940
941
942
943
944
945
946
947
948
949
950
951
952
953
954
955
956
957
958
959
960
961
962
963
964
965
966
967
968
969
970
971
972
973
974
975
976
977
978
979
980
981
982
983
984
985
986
987
988
989
990
991
992
993
994
995
996
997
998
999
1000

الفصل الأول

تطور عمران مدينته المريه

أولاً : تخطيط المريه وتطور عمرانها منذ تأسيسها
حتى سقوطها في أيدي المرابطين

حظيت المريه منذ ان امر عبد الرحمن الناصر بتأسيسها واحكام تسويرها في سنة ٣٤٤ هـ (٩٥٥ م) باهتمامه الخاص لما كان ينفرد به موقعها من حصانه طبيعية جعلها تبرز في المقام الأول بين ثغور الأندلس المنيعه ، ولم تلبث ان اصبحت بفضل جونها العميق وروعة موقعها من اشهر مراسى الأندلس واكثرها عمراناً ، فالتسعت رقعتها وامتد عمرانها وازدادت حركة مرفأها ، وانتجعها التجار من المشرق والمغرب على السواء وأضحت هي وبجانه على حد قول ياقوت الحموي : « بابي الشرق منها يركب التجار وفيها تحمل مراكب التجار ، وهي مرفأ ومرسى للسفن والمراكب » (١) .

ومما يجدر ذكره ، ان المصادر العربية لم تزودنا بأي اخبار تصرر لنا ما كان عليه عمران المريه عند تأسيسها ، كما لم تزودنا بعد ذلك بروايات توضح تطور عمرانها وامتداده في عصر الطوائف بعد ان اكتملت هذه المدينه بربضيتها الشرقي والغربي ، والرواية الوحيدة التي يقول عليها الباحثون عند تصويرهم للنطاق العمراني للمريه بعد اتساعه هي رواية الادريسي التي يقول فيها : « والمريه في ذاتها جبلان وبينهما خندق معمور ، وعلى الجبل الواحد قصبتها المشهورة بالحصانة ، والجبل الثاني منها فيه ربضها ويسمى جبل لاهم ، والسور يحيط بالمدينه والربض ، ولها ابواب عدة ولها من الجانب الغربي ربض

(١) معجم البلدان ، المجلد الخامس ، ص ١١٩ .

كبير عامر يسمى ربض الحوض » (١) ،

ويرجع الفضل الاعظم في دراسة عمران المريه في العصر الاسلامي وتتبع تطوره إلى باحثين جليلين أولهما المشتشرق الاسباني المهندس وعالم الآثار الاستاذ ليوبولدو توريس بلباس أول من تنبه إلى اهمية دراسة تاريخ هذه المدينة اعتمادا على ما تبقى فيها من آثار وتوصله إلى تسجيل صورة واضحة المعالم لعمرانها (٢) ، والثاني استاذى الدكتور السيد عبد العزيز سالم الذى افرد باللغة العربية بحثا قويا عن المدينة موضوع الدراسة ضمنه عرضا قويا لتاريخها وتخطيطها ودراسة اصيلة لعمرانها (٣) ، وبفضل الحقائق التى توصل إليها وبفضل ما امدنى به من توجيهات امكننى أن اتوصل إلى تحديد البؤرة العمرانية الأولى وموقعها من القصبه ، كما امكننى ان اتبع ما فاض حوالها من فيض عمرانى في عصر الطوائف وذلك بعد ان اتاحت له الفرصة لدراسة عمران المدينه القديم على الطبيعة وتتبع نموها العمرانى ابتداء من بؤرتها الأولى واتساعها شرقا وغربا ، وتبين لى خلال دراستى للآثار الباقية فى المدينة وعلى الاخص قصبه المريه والابرار المتبقية من اسوارها القديمة ، انه كان لعامل التضاريس وطبيعته السطح اثره العميق فى التحكم فى توجيه عمران المدينة الفاض شرقا وغربا

(١) الادريس : صفة المغرب وارض السودان ومصر والاندلس ، ص ١٩٧ ، وانظر ايضا : الحميرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٨٤ .

(٢) Torres Ba'bas (Léopoldo) : Almeria Islamica, al-Andalus, Vol. XXII, Madrid, 1957, pp. 411 — 453

(٣) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المريه الاسلامية ، وبحثه عن « المريه قاعدة الاسطول الاندلس » ، مجلة الرابطة « القاهرة » ، مايو — يونيو ١٩٥٩ ، ص

بامتداد السهل الساحلى وفى امتداد اسوارها ، فكانت المدينة القديمة تتخذ شكل مستطيل يبلغ طوله على وجه التقريب ٥٦٠ مترا وعرضه ٣٥٠ مترا بحيث يغطى رقعة من الارض مساحتها تصل إلى نحو ١٩ ١/٢ هكتار دون احتساب المساحة التى تشغلها القصبة^(١) ، ويمتد هذا السطح ما بين القاعة المنسوبة إلى خيران ، الواقعة بأعلى جبل القصبة شمالا وبين الساحل جنوبا . وكان يحد هذا المسطح العمرانى الذى تشغله المدينة من الشرق والغرب واديان ضحلان .

وكانت المدينة القديمة تشتمل على عدد من المرافق أهمها المسجد الجامع القائم فى وسطها ثم الفنادق والحمامات والاسواق التى كانت تتوزع حول مساحتها ، أما القيسارية فكانت تقع إلى جنوبية ودار الصناعة تحتل الركن الجنوبى الشرقى من المدينة^(٢) .

ومنذ بداية القرن الخامس الهجرى ، طرأ على عمران المدينة تغير واضح المعالم فقد نأ هذا العمران فجأة واتسعت المدينة دفعة واحدة ، وتحولت المدينة الهادئة إلى مركز رئيسى للهجرات وذلك إبان الاضطرابات التى اعقبت سقوط الخلافة واشتعال نار الفتنة البربرية ، ومنذ ذلك الحين ازداد عدد سكانها بمن وفد عليها من قرطبة ومن غيرها من مدن الاندلس التى طحنتها الفتنة ومن أنسوا الأمان بين اسوارها وتحت قصبتها الشاخو- وفى ظلال ما كان يسودها من هدوء وسلام بحكم بعدها عن مناطق الصراع الرهيب القائم بين الطائفتين البربرية والاندلسية ، وكان من الطبيعى بسبب تزايد وفود القادمين إليها ان

(١) Torres Balbas (L) : Almeria Islamica, pp. 430 — 436.

السيد محمد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الاسلامية ، ١١٦ .

(٢) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الاسلامية ، ص ١١٦ ، ص ١١٧ .

تضييق المدينة عن الاتساع لجموعهم وان تتكون بؤرات عمرانية خارج نطاق المدينة القديم ، ولما كان من المستحيل أن يمتد العمران شمالا بسبب اعتراض جبل القصبه وجنوبا لوجود البحر ، أصبح من المحتم أن يمتد العمران شرقا بامتداد فحوص المربه القسيح ، وغربا في المنطقة المحصورة بين رادى الرمله الذى يعرف اليوم باسم « رمله لاشانكا » وبين جبل الكنيسه (١) .

وفي هذين الاتجاهين تكون ربضا المدينة الشرقى والغربى ، الاول ، فقد اطلق عليه اسم ربض المصلى ، نسبة إلى المصلى أو ربض الشريعة القديمه التى كانت تقع خارج الباب الشرقى من الرية الاولى (٢) ، وموقعه شرقى المدينة القديمه ، ويشرف على هذا الربض من الشمال الطرف الجنوبى من جبل ليهم ، ويفصل هذا الجبل عن جبل القصبه خندق عميق يعرف اليه وم باسم الاخدود La Hoya (٣) .

واما الربض الثانى ، فهو ربض الحوض ، يحتمل انه سمي كذلك نسبة

(١) السيد عبد العزيز سالم : المصدر السابق ، ص ١١٦ ، ١١٧ .

(٢) Torres Baibas (L) : Musalla y Saria, al-Andalus, Vol. XIII, p. 175, 1948.

عن السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ١١١ ، المصلى فى المدن الاسلاميه قضاء فسيح خارج اسوار المدينة ، كانت تقام فيه شعار صلاة العيدين وصلا الاستسقاء ايام الجفاف ، والشريعة القديمة لان امتداد العمران خارج نطاق أسوار المدينة الاول استلزم انشاء شريعة جديدة فى نفس الاتجاه خارج ابواب الربض الجديد (أنظر ، سالم : المرجع السابق ، ص ١١٧ .

(٣) Torres Baabas (L) . Almeria Islamica, p. 433.

السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ١١٧ .

إلى جب كبير كان موجودا في هذه الناحية ، وللأسف لم يبق من اثار شوارع هذا الربض شيء يدل على ما كانت عليه هذه الشوارع في العصر الاسلامي ، وذلك لتخرب عمارة منذ ان استولى القشتاليون على المدينة عام ٥٤٢ هـ (١١٤٧ م) (١) .

وبامتداد العمران إلى هذين الربضين بلغت مساحة مدينة المارية علاوة على قصبتها نحو ٧٩ هكتارا (٢) .

ثانيا : الاثار الباقية في مدينة المارية

الآثار الحربية :

القصبة : هي القصبة التي اسسها خيران العامري ونسبت إليه ، فابن سعيد يشير اليها عند تعرضه لذكر مدينة المارية بقوله : « وبنى فيها خيران العامري قلعة العظيمة المنسوبة إليه » (٣) ، ويؤكد المقرئ ذلك بقوله : ولها (أى المارية) القلعة المنيعة المعروفة بقلعة خيران (٤) . ونستدل من رواية العذري التي يشير فيها إلى قيام خيران باقتحام المارية والاستيلاء على القصبة (٥) ان القصبة كانت قائمة بالفعل قبل استيلاء خيران العامري على المارية ، وعلى هذا

(١) Torres Balbas (L) : La Medina, los Arrabales y los Barrios, al-Andalus, Vol. XVIII, p. 167.

عن السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المارية الاسلامية ، ص ١٢١ .

(٢) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ١١٦ .

(٣) المغرب في حل المغرب ، ص ٢٠ ، ص ١٩٣ ، وانظر ايضا ، جوميت مودينو ، الفن الاسلامي ص ٣١٧ .

(٤) نفح الطيب ، ص ١٠ ، ص ١٥٣ .

(٥) نرصيح الاخبار ، ص ٨٣ .

نستنتج ان خير ان اسس قلعة به بعد ان استولى على القصبه على اساس ان القصبه اشمل وأعم من القلعة . وقد يكون المقصود من نص العذرى ان خير ان اهتم بتحسين القصبه بالاسوار المنيعه التى مازالت قائمة حتى اليوم ^(١) ، وشدة عنايته بهذا العمل الضخم هو الذى دعا المؤرخين العرب إلى نسبتها إليه .

وكيفما كان الامر ، فإن القصبه تنتصب شامخة باعلى جبل صخرى ارتفاع نحو ٦٥ مترا فوق سطح البحر ، صعب الارتقاء لوعـورته ، والجبل المذكور هو آخر حلقة من سلسلة جبال جادور Gador القريبة من نهر اندرش الذى كانت مياهه بادية ذى بدء تصب فى البحر فى موضع أكثر ارتفاعا بالقرب من مدينة بجانه Pechina ^(٢) .

ويرى بعض الباحثين أن قصبه المريه أقيمت على اساس برج فينيقي قديم ^(٣) ، ولكننا نستبعد ذلك لان كل ما عثر عليه فى سلاح جبل القصبه لا يعدو قطعاً من الفخار من العصر التيوليتى تدل على ان هذا الموضع كان مأهولا فى

(١) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المريه الاسلاميه ، ص ١٢٢

(٢) جوميت مورينو : الفن الاسلامى فى اسبانيا ، ص ٣١٧ ، وبذكر العذرى : « وقد اشرفت على المدينة قصبته ، وهى فى جبل منفرد على سور متقن لا يصعد الى قصبته الا بكلفه ولا يرق اليها الا بمشقه ، محكمه فى رتبها غاية فى امتناها » (ترصيع الاخبار ص ٨٣)

(٣) Sainez de Robles : Castillos en Espana, Madrid, 1954, p. 295;

عن السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ١٢٧ .

عصور قديمة (١) .

هذا وتقع القصبة إلى شمال مدينة الماريه القديمة ، وتشرف من الجهة الشمالية والشمالية الشرقية على ربض المصلى وخندق باب موسى ، ومن الجهة الغربية على ربض الحوض ، وتمتد طولاً من الشرق إلى الغرب بمقدار ٥٣٠ متراً ، ويؤكد الحميري هذا الامتداد الشرقي — الغربي للقصبة في قوله : « وقصبتها بجوفها وهو حصن منيع لا يرام مديد من المشرق إلى المغرب »^(٢) . ويتخلل امتداد سطحها بروزات وأبراج كثيرة في غير نظام وينقسم هذا السطح إلى ثلاثة مرتفعات غير متساوية ، يفصل بين كل منها سور ، فالمرتفع الأول ، وهو المرتفع الغربي الذي يتخذ شكلاً أقرب ما يكون إلى شكل المثلث ، يتصل بسور المدينة في خط مواز لطريق لاشانكا La Chanca وتكتنف سور هذه القلعة المثلثة أبراج اسطوانية الشكل وأخرى مربعة الشكل ضخمه تضم غرفاً ، كما تشتمل على معقل أمامي به ثلاثة أبراج أخرى للمدفعيه يحيط بها خندق ، وكل هذه الأبراج اقيمت من كتل حجريه على النظام القوطي^(٣) . أما المرتفع الثاني أي الأوسط ، فيتخذ شكل مربع سطحه يكاد يكون منسطحاً ويمتد هذا المرتفع من أسوار القلعة الغربية حتى السور الناصب الذي يقسم القصبة إلى قسميهما الشرقي والغربي وكان هذا القطاع يضم كل بنيان القصر وماحقاقه ، وفي الناحية الشمالية من هذا القطاع يمكننا أن نتتبع القسم الأخير من الطرف المقابل لسياج المدينة ويمتد مخترقاً طريق لاهويا La Hoy ، وكان فيها

(١) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ١٣٧ ، ١٥٠ .

(٢) الرض المطار ، ص ١٨١ .

(٣) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ١٣٧ ، ١٣٨ وجو.بث مورينو :

الفن الاسلامي ، ص ٣١٧ .

مضى عامرا بالدور ليصعد بعدئذ إلى تل سان كريستوبال San Cristobal أو جبل ليهم، وقد زود سور هذا القطاع بأبراج مربعة الشكل تتجاوز في ارتفاعها السور، وتتميز الأجزاء العليا من هذه الأبراج بأنها مجوفة بدون اقبية وتنتهى بنيتها من أعلى بشرفات ذات رؤوس مدببة (١).

وأما المرتفع الثالث، وهو المرتفع الشرقى، فطويل للغاية وتعادل مساحته كل من مساحه المرتفعين الغربى والوسطى، وكانت تشغله فيها يبدو حدائق القصر ومن هذا المرتفع الأخير يسلك الجند والقائمون بحراسة القصبة إلى المدينة (٢)، ويتميز هذا القسم من القصبة بجبابه العميقة وناعورة يبلغ عمقها وفقا لما ذكره مادريت سبعون قامه (٣).

والباب الحالى للقصبة، لانشك فى أنه من العصر الاسلامى قد شيد على طريقة عهد الخلافة يعقوده المدينة المتجاوزة المنكسرة القامه من الآجر إذ تتداخل فيه الصفوف المزدوجه من لوحات الحجر الرمالى ممتده بين أخرى تتعاقب فيها الكتل القائمه طولا وعرضا (٤).

أسوار المدينة والربضين :

تتناول دراسه أسوار المدينة القديمه والقطاع الشرقى والغربى منها :

١ - أسوار المدينة القديمه : يذكر العذرى ان عبد الرحمن الناصر اقام

أسوار المريه فى سنه ٣٤٣ هـ (٩٥٤ م) من الحجر (الصخر) (°) ، ومن

(١) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ١٣٩ .

(٢) جوميت مورينو : الفن الاسلامى فى اسبانيا ، ص ٢١٧ .

(٣) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ١٣٨ .

(٤) جوميت مورينو : المرجع السابق ، ص ٣١٧ ، ٣١٨ .

(٥) ترصيع الاخبار ، ص ٨٦

المعروف ان هذه الاسوار تنفرع شمالا من طرفي القصبة الشرقي والغربي باتجاه
الواديين الجانبيين إلى ان تلتقيا جنوبا بالسور القبلي للمدينة القديمة الذي يمتد
بحذاء البحر ويضربة مأوه^(١) ، وإليه يشير ابن سعيد - نقلا عن الرازي -
في قوله : « سورها على ضفة البحر وبها دار الصناعة »^(٢) .

٢ - القطاع الشرقي : تحكمت طبيعة سطح الربض الشرقي في بنيان سور
وفرضت نفسها على تخطيط هذا السور ، إذ املت علي بناء هذا السور احتواء
مقدمة جبل لاهم التي يسميها ابن خاتمه بالعرقوب وتعرف اليوم بمرتفع سان
كريستوبال داخل نطاق الربض^(٣) . وتخطيط هذا السور حسب وصف
ابن خاتمه ، ووفقا لمخطط المدينة الذي نفذ في سنة ١٦٠٠ م يرجع إلى القرن
الخامس الهجري ، وينبثق هذا السور من منتصف السور الشمالي للقصبة ويمضي
في اتجاه الشمال الشرقي ثم يهبط إلى خندق باب موسى ليفلق هذا المدخل الخطير
المؤدي إلى الربض المحدث ، ثم يأخذ في الارتفاع في الشمال الشرقي إلى السطح
الجنوبي لجبل لاهم ثم ينحرف إلى الشرق ويتدرج في الهبوط نحو الجنوب
الشرقي إلى ان يصل إلى باب بجانه ، ثم يغير اتجاهه إلى الجنوب ويمضي في
وجهته حتى يقابل النارف الشرقي من السور القبلي للربض ، وتظهر في مخطط
١٦٠٣ م آثار جدار يتجاوز نقطة التقاء السور الشرقي للربض بالسور القبلي
ويصل إلى البحر^(٤) ويعتد الاستاذ توريس بلباس ان هذا الجدار لا يعدو

(١) معجم البلدان ، المجلد الخامس ، ص ١١٩

(٢) المغرب في حلي المغرب ، ٢٠ ، ١٩٣ .

(٣) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المربة ، ص ١١٧ .

(٤) Torres Balbas : Almeria Islámica, p 414.

السيد عبد العزيز سالم : نفس المرجع السابق ، ص ١١٨ .

ان يكون سورا « برانيا » يقطع الطريق الساحلي على من يهاجم المدينة^(١) .
واغلب الظن ان هذا السور بنى في عهد خيران العامري ، استنادا الى قول
العذري : « وبنى خيران القتي السور الهابط من جبل ليهم الى البحر وجعل له
اربعة ابواب^(٢) » ، وفي موضع آخر « سور ربضها الشرقي (ربض المصلى)
واتصل سور الربض بالمدينة وكان الذي سور الربض القتي خيران^(٣) .
ويذكر الحميري ذلك في قوله ان ربض المصلى بالمريه عليه « سور تراب بناه
خيران العامري »^(٤) .

ولم يتبق من هذه الاسوار جميعا سوى ستارتان يبلغ طولهما نحو ٤٠ مترا
بارتفاع يصل الى خمسة امتار^(٥) ، الأولى ، تمتد من السور الشمالى للقصبه
الى مرتفع العرقوب او جبل لاهم ، وتقتصر مهستها على غلق المدخل المؤدى
الى ربض المصلى عبر خندق باب موسى المسمى اليوم بالاخدود ، وهذا
السور اقيم بأكمله من الملاط المعروف فى الأندلس بالطايبه أو التراب^(٦) ،

Torres Balbàs : Ibid; p. 434,

(١)

السيد عبد العزيز سالم . المرجع السابق ، ص ١١٨ .

(٢) ترصيم الاخبار ، ص ٨٦ .

(٣) نفسه ، ص ٨٦ .

(٤) الروض المطار ، ص ١٨٤ .

Torres Balbas : Op. cit., p. 439;

(٥)

السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ١٤٣ .

(٦) الطايبه مزيج من الجير والرمل وقطع الحجارة الصغيرة (الديسه) ، وقد ذكر

الملاط فى كتاب ابن القوطيه تحت اسم آلاشه ماشه وهى تسميه لاتينيه ، ويعرف هذا

المزيج باسم الملاط ، (راجع ، جوميت مورينو : الفن الاسلامي ، ص ٤٩٠) .

كما اقيمت بهذه المادة الابراج المستطيلة التي تحميها ، وهي ابراج متقاربة قليلة البروز عن مستوى السور ، ولهذا السور ممشي علوى ليس على مستوى واحد وانما يتدرج في ارتفاعه حسب سطح الارض (١) . اما الستارة الاخرى الباقية فتشتمل على السور القائم على جبل لاهم كله ، وكان يواصل امتداده الى ان يصل قرب باب بجاناه ، وتبدأ ابراج هذا السور ببرج اسطوانى يليه برجان نصف دائريين مطولان ثم برج مستطيل اكثر بروزا ، مهمتها حماية البويب المجاور له وبلى هذا البويب برج نصف اسطوانى فاربعة ابراج مستطيلة الشكل تنتهى بها الستارة العليا ، هذا ويلاحظ أن الابراج الاسطوانية قد بنيت من قطع الحجارة ، وجميع هذه الابراج تحتوى على طوابق علوية ، اما الابراج المستطيلة فمبنية بالطايبه ، ويعتقد الاستاذ الدكتور السيد عبد العزيز سالم ان الابراج المستطيلة يرجع تاريخ بناؤها الى عصر خيران العامرى في حين يعتقد ان الابراج الاسطوانية بنيت فيها بين منتصف القرن الخامس الهجرى والرابع الاخير من القرن التاسع الهجرى ، وان كان سيادته يرجع انتهائها الى عصر المرابطين (٢) .

ويغلب على الظن ان السور الشمالى لربض المصلى ، القائم بأعلى جبل لاهم كان يتقدرة « حزام برانى » او سور أمامى تتجلى آثاره فى الخريطة المؤرخة سنة ١٨٥٧ ويؤكد ذلك ما ذكره الونسودى بلنسية من وجود اسوار اماميه بالمرية عندما استولى عليها الملكان الكاثوليكيان (٣) .

(١) Torres Balbas : Almeria Islamica, p 434;

السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الاسلامية ، ص ١٤٣ .

(٢) "سيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ١٤٣ .

(٣) Torres Balbas : Almeria Islamica, p 439;

السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الاسلامية ، ص ١٤٤ .

٣ - القطاع الغربي : اما السور الدائر برض الحوض فيغاب على الظن انه من بناء خيران العامري ، وذلك لاتساع مدينة المريه من الجهة الشرقية والغربية في آن واحد ، فلا بد ان يكون الرضبان قد احبطا بالاسوار في وقت واحد (١) ويؤكد ذلك ما ذكره العنبري « وكذلك الرض الغربي مسور ايضا قد اتصل سور به بالمدينة » (٢) . والملاحظ ان ررض الحوض كان اقل اتساعا من ررض المصلى ، وذلك يرجع إل ضيق المساحة الواقعة بين وادي الرماله الغربى والسفوح المنحدرة للجبل المعروف منذ القرن الثامن الهجرى باسم جبل الكنيسه ، ولقد اشار ابن فضل الله العمرى إلى التارق الكبير فى المساحة بين الرضين (٣) ، وحسب اشارة ابن خاتمه فان ررض المصلى يزيد فى اتساعه عن المدينة وررض الحوض معا (٤) .

وكان السور الغربى يمتد من الطرف الغربى لقلعة القصبة متجها نحو الجنوب متبعا خط سير وادى الرماله (لاشانكا) حتى التقائه بسور المدينة القبلى ، ولم يتبق من هذا السور سوى مطلعه الذى يبدأ من البرج الاسطوانى الكبير القائم فى طرف القصبة الغربى ، وينتهى ببرج مربع الشكل يحتوى على غرفة عليا ، كما تبقت كذلك آثار قليلة من سور لاشانكا وابراجيه وقد أقيمت جميعها من الطاييه ، ولا يختلف نظام البناء فيها بآية حال عن نظام البناء فى تحصينات القرن الخامس الهجرى (٥) .

(١) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ١٠٣ .

(٢) ترصيع الاخبار : ص ٨٦ .

(٣) وصف افريقية والمغرب والاندلس ، تحقيق حسن حسنى عبد الوهاب ، ص ٤٦ .

(٤) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ١١٣ .

(٥) نفس المرجع السابق ، ص ١٤٢ .

كذلك تبقى من السور الشمالى لربض الحوض برجان كبيران مربعا القاعدة لكنها مهشمان ، لكل منها غرفة عليا ، ويعود الواحد عن الآخر بمسافة عشرين متراً ، وتقتصر مهمتها على الدفاع عن المدخل الشمالى لربض الحوض عبر وادى الرمله ، كما تبقت ايضا من السور الغربى بعض أبراج مربعة الشكل اصغر حجماً ، ولكنها متباعدة ومنعزلة بسبب دثور الستائر التى كانت تربطها فيما بينها ، وبناء هذه الأبراج ايضا من الطاييه (١) .

ابواب المدينة : لم تقتصر تحصينات المريه على القصبة والاسوار كوسيلتين من وسائل الدفاع عنها ، وإنما تشمل هذه النحسينات ايضا ابواب المدينة التى تلعب دوراً فى احكام غلق حلقة الدفاع إذا ما حاول عدوما اقتحامها . ولذلك اهتم اهل الاندلس بنظام بناء ابواب المدن ، فبجانب دورها الدفاعى ، كانت ايضا منافذ للدخول إلى المدينة والخروج منها . وكانت الابواب غالباً ، تسمى باسماء المدن التى تتجه إليها لتفتح الطريق المباشر بين هذه المدينة والمدينة التى تقابها (٢) .

ولقد ترتب على ضياع معظم معالم اسوار المريه واختفاء آثارها بما فى ذلك الابواب التى كانت تنفتح فى ستائرha بالاضافة إلى طغيان العمران الحديث على مواضعها القديمة قيام مشكلة تحديد هذه المواضع ، إنه بمفضل اسهامات مؤرخى العرب القدامى والمحدثين وما أسفرت عنه اعمال التنقيب الاثرى على ايدى علماء الآثار الاسبان امكن التوصل إلى معرفة اسماء مواضع الأبواب التى كانت تنفتح فى اسوار المريه الاسلاميه .

Torres Balqas : Almeria Islamica, p. 430

(١)

(٢) ايفى بروفنسال : الالام فى المغرب والاندلس ، ترجمة الدكتور السيد عبد العزيز

صالم والاستاذ محمد صلاح الدين حلمي ، مكتبه نهضة مصر ومطبعها ، ص ٥٧ .

ويجدر بنا القول بهذه المناسبة انه لم يتبق اليوم من هذه الابواب سوى بويب او خوخه مفتوحة في جبل لاهم بقطاعه الشالى ، يعلو اسطوانه قبوه حجرية قليلة التكرور ويتوج الباب عتب يعلوه فراغ مستطيل الشكل يرجح انه كان مخصصا للوحتة الانشائية (١) .

وفىما بلى دراسة مقتضيه لهذه الابواب تبدأ فيها بأبواب الربض الشرقى ثم نتطرق إلى ابواب المدينة القديمة لنختتمها بابواب الربض الغربى .
ابواب الربض الشرقى او ربض المصلى :

١ - باب موسى : لان شك في ان تسمية هذا الباب باسمه المذكور نسبة لأحد اعلام المريه المشهورين ، وكان هذا الباب يفتح في سور الخندق الموصل بين جبل القصبة وجبل لاهم ، ويذكر ابن الخطيب أنه نفس الباب الذى مخرج منه معز الدولة بن صمادح إلى دار الصناعة حيث ابحر في جفن إلى ثغر الجزائر فراراً من جيش المرابطين المحاصرين لمدينة المرية فى ذلك الوقت (٢) .
وآثار هذا الباب لا تزال ماثلة فى يومنا هذا ، وان كان قد سد بالطايبه ويكتنفه برجان مربعاً الشكل (٣) .

٢ - باب ليهم : نسبة إلى جبل ليهم ، ويقع فى اول السور الهابط من هذا الجبل . وقد ذكره العذرى فى جملة ابواب السور الهابط من جبل ليهم إلى البحر وعدتها اربعة (٤) .

٣ - باب بجانه : وكان هذا الباب يعتبر من الابواب الرئيسية للمريه إذ

(١) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الإسلامية ، ص ١٢٢ .

(٢) اعمال الاعلام : (القسم الخاص بالاندلس) ، ص ١٩٢ .

(٣) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الإسلامية ، ص ١٢٦ .

(٤) ترصيع الاخبار ، ص ٨٣ .

كان ينفتح في اتجاه مدينة بجانه ولذلك سمي باسمها ، وقد سمي هذا الباب فيما بعد باسم برشانه ، فقد اختلط على القشتاليين الأمر عند دخولهم المريه في سنة ٨٩٥ هـ (١٤٨٩ م) فنسبوا هذا الباب إلى برشانه بدلا من بجانه (١) لتقارب الاسمين في اللفظ .

٤ - باب المربي : ذكره العذري (٢) ، ولعل تسميته باسمه ترجع إلى اشرافه على فحص المريه ، وربما كانت هذه المنطقة في ذلك الوقت تشتهر بتربية الاغنام والمواشى ومن ثم سمي بهذا الاسم .

٥ - باب السودان : يلى باب المربي (٣) جنوبا وقد اورد العذري في مؤلفه في جملة ابواب المريه الاربعة التى تنفتح في السور الشرقى الممتد من جبل لاهم إلى البحر ، وكان يعرف في أيامه بباب الاسد .

٦ - باب دار صناعة المريه (٤) : ويقع في الطرف الجنوبى الشرقى من السور المطل على البحر ، وهو آخر ابواب هذا السور وسمى كذلك نسبة إلى دار الصناعة ولعله كان ينفتح بالقرب منها .

٧ - باب العقاب : وقد ذكره المقرئ بقوله : « ومن ابوابها (اى المريه) باب العقاب ، عليه صورة عقاب من حجر قديم عجيب المظهر » (٥) .

(١) السيد عبد العزيز سالم : المرحع السابق ، ص ١٤٤ ، وبرشانه من امنع حصون المريه واثقها بنيرانا ، (الحميرى الروض ، ص ٤٢) ، وتقع دلى وادى يسمى بالنصورة (ابن الخطيب : مشاهدات ، ص ٣٦ ، ملحوظه ١ ، ص ٨١) .

(٢) ترصيع الاخبار ، ص ٨٣ .

(٣) نفس المصدر والصفحة .

(٤) نفس المصدر والصفحة .

(٥) فتح الطيب ، ص ١٠٢ .

ونستخلص من ذلك ان باب العقاب انما سمي كذلك بسبب تمثال كلاسيكي ضخم لعقاب كان يعلو الباب ، والعقاب يرمز إلى القوه والبأس ووجوده دليل على مناعة وحصانته ، وكان تزيين بوابات المدن الاندلسيه بالتماثيل القديمة امراً شائعاً في العصر الاسلامي كما هو الحال في مدينة الزهراء وقرطبة وبجائنه وبلنسية^(١) ، ويرجح الاستاذ الدكتور السيد عبد العزيز سالم ان هذا الباب كان يفتح في منتصف السور الشرقي لربض المصلى المؤدى الى فحوص المريه^(٢) واعتقد ان هذا الباب استحدث في القرن السادس الهجري بدليل ان العذري لم يشر اليه على الرغم من اهتمامه الخاص بذكر ابواب السور الشرقي لربض المصلى ، وقد يكون باباً ثانوياً ولهذا لم يرد في جملة الابواب التي ذكرها العذري .

ابواب المدينة القديمة :

٨ - باب البحر : يظهر هذا الباب في خريطة المريه المؤرخة في سنة ١٦٠٣ ، وقد سمي كذلك لانفتاحه على البحر^(٣) .

٩ - باب الزياتين : ينسب هذا الباب فيما يغاب على الظن الى حى الصناع المختصين بعصر الزيوت ، ولعل هذا الحى كان يشغل ركنا بعيداً عن قلب المدينة ، ولكنه قريب من البحر حتى يتيسر شحن الزيت على السفن التجاريه ، وقد ورد ذكر هذا الباب في ترجمة محمد بن خليلد بن محمد التميمي من اهل المريه^(٤) .

(١) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المريه الاسلاميه ، ص ١٢٥ ، قرطبة حاضرة

الخلافة في الاندلس ، ١٠ ، ص ٢٢٦ .

٢ تاريخ مدينة المريه الاسلاميه ، ص ١٢٥ .

(٣) نفس المرجع ، ١٢٧ .

(٤) ابن الابار : (ابن عبيد الله محمد بن عبد الله) : التكملة لكتاب الصلة ، ٢ ، مطبعة

الخانجي بمصر والمثني ببغداد ، ١٩٥٦ ، ص ٤٦٥ ، ترجمة (١٣٧٠) .

ويرجح الاستاذ الدكتور السيد عبد العزيز سالم ان هذا الباب كان يفتح في السور الجنوبي من اسوار المدينة ، او اعلاه يفتح بالذات في السور الجنوبي من المدينة الداخلية فالشأن دائماً في رايه ان تكون معاصر الزيت قرية من الميناء حتى يسهل نقل الزيت وتصديره (١) .

ابواب الربض الغربي او ربض الحوض :

باب مقبرة الحوض : لم تمدنا المصادر العربية بآية اشارة عن وجود هذا الباب ، كما ان اعمال التنقيب الاثرى لم تسفر حتى الان عن اثار تشير الى وجود ابواب في هذا الربض ، ولكن جرت العادة في مدن الاندلس او المدن الاسلامية بوجه عام انه اينما وجدت مقابر خارج السور تفتح بالضرورة ابواب تيسيرا لدفن الموتى ويعتقد الدكتور السيد عبد العزيز سالم أن السور القبلى لربض الحوض كان يفتح فيه باب قبلى يؤدى إلى مقبرة الحوض المعروفة بالرابطة (٢) .

الآثار المدنية :

القصر : كانت القصبه تشتمل بدون ادنى شك على مقر النقام بالدفاع عن المدينة ، فقد كان من الطبيعى ان يكون هذا القصر بداخل قصبتهما ، اما مقر الوالى او الحاكم فكان أغلب الاحين مجاورا للمسجد الجامع كالشأن فى عديد من قصور الاندلس حتى يسهل على الوالى الانتقال من القصر إلى الجامع ايام الجمع والأعياد او فى المناسبات الرسمية ، واما قصر القصبه فكانت له أهمية باعتباره المركز الرئيسى للدفاع عن المدينة و كان يتولاه قائد الحاميه أو صاحب المدينة ويرجع تاريخ انشاء هذا القصر إلى تاريخ انشاء القصبه ، وقد استمر

(١) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ١٢٦ .

(٢) السيد عبد العزيز سالم : نفس المرجع ، ص ١٢٨ .

ذلك في عهد الولاة التابعين للخلافة الايوبية ، ثم في عهد خير ان وزهير العامريين
اما في عهد بنى صمادح فقد اسس بالاضافة إلى القصر بن المذكورين قصر منيف
عرف بقصور الصمادحية .

واللاسف لم تمدنا المصادر العربية بقدر كاف من الاخبار التفصيلية عن
هذه القصور ، وكل ما وصل إلينا عنها لا يعدو اخبارا قليلة متناثرة هنا
وهناك في بطون المصادر التقطناها من خضم الأحداث السياسية ، وان
كانت اعمال التنقيب التي اجراها بعض المستشرقين الاسبان في منطقة القصبه
وغيرها قد امدتنا ببعض المعلومات التي امكننا بواسطتها تصور ما كانت عليه
هذه القصور .

ولقد حدد اعمال البحث والتنقيب الموضع الذي كانت تقوم عليه قصور
الصمادحية بالمرتفع الاوسط من القصبه ، ولكن الهزات الجيولوجية المتعاقبة
تسببت للاسف في تدمير ما اقيم في هذه المنطقة من منشآت مدنيه في العصر
الاسلامي نذكر منها ثلاث هزات ارضية خطيرة اولها الزلزال الكبير الذي
وقع في سنة ١٤٩٥ م ، وتسبب في هدم جزء من المدينه الوسطى ، وثانيها
زلزال سنة ١٥٢٢ م الذي الحق اضرارا فادحة بمنشآت القصبه ، اما الزلزال
اليسير من المباني التي قدر لها ان تبقى قائمه بعد هذا الزلزال الاخير فقد طواها
المرتفع المذكور في اعقاب الزلزال الذي حدث عام ١٥٥٠ م (١) . ولم يتبق من
اثار هذه المباني سوى آثار جدران وغرف وحمام وحوض جوفي (٢) .

(١) Luis Seco de Lucena : Los palacios del Taifa almeriense

Al-Mutasim en (Cuaderno de la Alhambra) ; III;

1967; p. 17.

(٢) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المريه الاسلاميه - ص ١٣٩

ويبدو قصر القصبة من خلال الآثار الباقية على شكل شبكة من جدران
سميكة مبنية من ملاط شديد الصلابة وغطيت بعض الاجزاء الدنيا من الجدران
بطلاء احمر اللون يميل إلى الصفرة ، كما عثر على جدار آخر تظهر فيه المداميك
(صفوف الكتل) الضخمة بخطوط محفورة في كسوته ، ومجموعه أخرى من
من الجدران مشيدة من الحجر تتوزع بينها ممرات تمتد بين غرف مربعة مع بقايا
درج ، وكان يقوم في نهاية الطرف الشمالى من هذا المرتفع الأوسط بناء اشبه
ما يكون بشرفه تطل على خندق باب موسى ، ويتألف هذا البناء من طابقين ،
ويحتوى على عقود ضخمة في الواجهة احدها على شكل حدوة الفرس ، وتعلق
هذه العقود بقاعات طولها ٩ر٦٥ م وعرضها ٢ر٣٢ م ، لعلاها كانت مسقوفة في
كل من الطابقين ، وقد بقيت في الجزء الامامى قاعة اخرى وصل طابقها الاسفل
سليما وهى اشبه ما تكون بسرداب يتقدمه ما يشبه الرواق ، وتظهر إلى يمين
القسم الادنى من البناء قاعدة باب مع عقدتين على شكل حدوة الفرس احدهما
وراء الآخر بتسنيج كامل وافريز ، نظام البناء فيهما يتنظم على اساس كتل
حجرية تتعاقب طولاً وعرضاً ، قائمة وممتدة يبلغ ارتفاعها ٥٠ سم ، ٢٠ سم
على التوالي (١) .

وقد كشف اليحث الاثرى في اطلال القصر عن حمام يتكون من خمس

(١) جوميت مورينو : الفن الاسلامى ، ص ٣١٨ ، بلاط صاب : مزيج من الجير والرمل
وتقطع الدبش ، والاصلاح بالفرنسية béton وبالسبانية hormigon (المرجع السابق
ص ٤٩٤) ، افريز : الحجارة أو الاجر على مسافات منتظمة داخل افريز
زخرقى (نفس المرجع السابق ، ص ٤٩٣) ، تسنيج : من السجج وجمعها سنججات ،
والسنيجات هى الكتل الحجرية التى يتألف منها العقد المقوس فى البناء ، (راجع السيد
محمد العزيز سالم : المساجد والقصور بالاندلس — دار المعارف ، مصر ١٩٥٨ ، ص
٣٠ ، ١٥) .

غرف تمتد طولا تلى صف واحد ، ويحتفظ هذا الحمام ببقايا قبوات اسطوانيه وعقود من الآجر (١) .

قصور الصمادحية :

يشير بعض مؤرخى العرب فى الاندلس إلى القصور الرائعة التى شيدها المعتصم بن صمادح فى المريه عاصمة ملكه يخصص بعض الشعراء قصائد فى مدح قصر الصمادحية ، إلا أن المصادر العربية واعمال التنقيب الأثريه لم تزودنا للأسف بالبيانات التفصيليه التى تعين على تحديد موضع هذه القصور او تتيح لنا معرفة مجالسها ونظام البناء فيها .

ولقد ورد اسم الصمادحية فى إحدى القصائد التى وصفت القصر ، كما زودنا العذرى بتفاصيل دقيقه عن هذا القصر ، ولانبايع فى القول إذا اعتبرنا العذرى الاخبارى الوحيد الذى زودنا بتفاصيل هامه عن هذا القصر ، ويضاعف من قيمة وصفه للصمادحية ان العذرى من أهل المريه وأنه كان معاصرا للمعتصم ابن صمادح ، وقد اتاح له وجوده فى المريه ان يتعرف شخصيا على العمل المعمارى المحقق فى ظل هذا الملك فوصفه يعتمد على المشاهده والمعاينه ، وهما مقومان اساسيان للتحقيق التاريخى والحضارى ، يقول العذرى فى وصف بساتين الصمادحية : « ففنها القصر الكبير المتطاع من جوفيه إلى جبل ليهم ، وفى قبله بستان عظيم جدا فيه جميع الثمار وغريها ما لا يقدر واصف على ان يصفه ، مع طول مساحته قرب عرض القصبة (٢) » . ثم يتطرق إلى وصف مجلسه العظيم ويليه فى قبلته مجلس عظيم مقرنس (٣) ، بالفوف المزوقه المنقوشة المنزول

(٢) جوميت مورينو : المرجع السابق ، ص ٣١٨ .

(١) ترصيع الاخبار ، ٨٥ .

(٢) راجع ماقاب هنا ص ١٢٣ ١٥ .

فيها الذهب ^(١) الطيب مفروش بالرخام الأبيض وقد أزر بالرخام المنقوش وفي ذلك النقش تاريخ بناءه والذي أمر به ، ويلييه صحن قبلية أبواب عليها شراجب ^(٢) يطلع منها أن أحب إلي جميع مدينة المريه وإلى بحرها وأقبال السفن إلى مرساها وخروجها منه إلى العدو وسائر البلاد ، وبني في شرقها دارا للحكم فيه ، متقن جدا ^(٣) .

ومنذ عهد قريب قام الأثرى الأسباني دون فرنسيسكو بريكو وهورينو بأعمال تنقيب هامة داخل أسوار قصبة المريه لاسيما في المرتفع الثاني الذي كان يشتمل على القصور ومقر القائد إذ عثر على أجزاء من الحوائط يمكن إرجاعها إلى عصر المعتصم ، وخرج بنتيجة مذهشة وهي أن الرخام المنقوش والمصنوع بالذهب اللذين زين الصالات الملكية ، والذي عثر عليه ، بالإضافة إلى رواية العذري ، تكفي لإثبات أن التقليد المعماري والزخرفة الخلافيه استمرت في بنين القصور التي شيدها المعتصم ^(٤) .

ويأتي المقرئ برواية تلقى بعض الضوء عن بناء الصناديق ما يخصها ، أن المعتصم عندما شرع في تشييد هذا القصر قام عماله بانتزاع ملكية بستان بعض الأيتام ، ولم يفلح احتجاج الوصي على الأيتام على هذا الإجراء ، فاضطر إلى الكتابه إلى المعتصم نفسه ليفصل بينه وبين هؤلاء العمال ، ولم يسع المعتصم إلا أن يأمرهم برد البستان إلى أصحابه اليتامى ، ولما حاول هؤلاء العمال اقتداءه بضرورة ادماج أرض هذا البستان إلى مسطح القصر لتوفير نوع من التناسق

(١) راجع مافات هناس ١٣٣ ، ٢٥٤

(٢) راجع مافات هناس ١٣٣ ، ٤٥

(٣) أنمذرى : المصدر السابق ، ص ٨٥ .

Luis seco de lucena : Op. cit., p. 18.

(٤)

على بيان القصر رد عليهم بقوله « والله ان عيبها في عين الخاق اقبح من عيبها في عين المخلوق » (١) ، وقد استطاع وزيره ابن أرقم بعد ذلك شراء هذا البستان بعد أن استلطف الوصي والایتام وكافأهم عليه بما اشتبهوا من الثمن ، وضمت الى قصر الصمادحية ، فاستقام بها بناءها (٢) .

ومما يجدر ذكره ان مؤرخى العرب لم يزودونا بتفاصيل عن مجالس الصمادحية ولا حتى عن اسمائها فاستثناء مجلسين كبيرين (٣) ، أحدهما مجلس البهو الذى ذكره كل من الفتح بن خاقان وابن الخطيب ونسباه الى خير ان العامرى (٤) ، والمجلس الثانى هو مجلس الحافة ذكره ابن خاقان وأشار الى أنه من بناء المعتصم مع اننا نعرف تماما بأن الصمادحية من بناء المعتصم ابن صمادح ، لم يوضح ما اذا كان من بين مجالس الصمادحية أو قصر آخر ، ويكتفى بأن يشير الى انه ذهب الى مجلس البهو ومجلس الحافة ، فيقول : « فكثيرا ما كان يعمر أندية اللهم-و ويداولها من مجلس الحافة الى البهو-و ، كلاهما سرى المنظر نجرى المرمز (٥) ، ونخلص من هذا النص بأن جدران

(١) المقرئ : تفتح الطيب : ج ٤ ، ص ٢٣٨ ، ٢٣٩ : راجع أيضا :

Dozy (R) : Recherches sur L'histoire et la littérature de L'Espagne pendant le moyen age, Vol I, Leyde, 1881; pp. 245 y 246.

(٢) المقرئ : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٣٩ .

(٣) السيد عبد العزيز هـ لم : تاريخ مدينة الربيع الإسلامية ، ص ١٣٩ ، ١٤٠ .

(٤) ابن خاقان : تلأئد العقيان ، ص ٤٨ ، ابن الخطيب : مشاهدات لسان الدين ، ص ٤٥ .

(٥) ابن خاقان : المصدر السابق ، ص ٤٨ .

هذين المجلسين كانت تكسوها لوحات من المرمر الخمرى اللون .
ويعتقد الاستاذ لويس سيكودى لوثينا ان هذين المجلسين هما نفس المجلسين
الذين ذكرهما العذرى باعتبارهما قسما متما للقصير الذى شيده المعتصم داخل
نطاق القصبة (١) .

وكانت تخرق حديقة القصر جداول وقنوات تنعطف وتخرج كالحية
الضئاض بين أفنية القصر وبساتينه فتزيدها سحرا وتكسبها جمالا ويعبر ابن
خاقان عن ذلك بقوله « حضر مجلسه بالصمادحيه فى يوم غيم ، وفيه اعيان
الوزراء ونهباء الشعراء ، فقعده على موضع يتداخل الماء فيه ، ويتلوى
من نواحيه (٢) .

وقد وصلنا وصف أدبى آخر لقصير الصمادحيه لابن الجداد الشاعر ،
والكن هذا الوصف لسوء الحظ لم يصف جميدا بحيث نستطيع ان نستكمل
صورته المتكاملة (٣) .

Luis seco de lucena, Op. cit., p. 19.

(١)

(٢) ابن خاقان : المصدر السابق ، ص ٥٠ ، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية

الاسلامية ، ص ١٤٠ .

(٣) يصف احدى مجالسه فيقول :

رأس بظاهر النون الا أنه	سسام ، فقبته بحيث النون
هو جنة الدنيا تبوأ نزلها	ماك تملكه النقى والروع
فكانها الرحمن عجبا له	ابرى بما قد كان ماسيكون
وكأن بانيه سنهار فـ	يعدوه تحسين ولا تحسين
وجزاؤه فيه نقيض جزائه	شقان ما الاحياء والتحيين

(راجع المقرئ : نفح الطيب ، ص ٥٠ ص ٢٤٠) .

فيرى الاستاذ لويس سيكودى لوئينا ان الصمادحيه لم تكن داخل سوو القصبة ولا داخل مدينة المرية ، ويعمل ذلك انها كانت حديقة كبيره احتلت ارض فسيحة تخرقها القنوات والجداول التى كان يتغنى بجانبها الشعراء والتى وصفها العذرى كشاهد عيان ، ويضيف بأن أعيان المريه كانوا يمتلكون الضياع الكبيرة والمزارع فى وادى بجانه ويستند فى ذلك الى نص العذرى : « وبنى المعتصم بخارج مدينة المرية بستانا وقصورا متقنه البنيان » (١)

وكيفما كان الامر ، فيمكننا ان نخرج من النصوص السابقة بحقيقة هامة هى ، ان قصر الصمادحيه كان يتضمن عددا من القصور او المجالس شأنه فى ذلك مثل قصر الامارة بقرطبه (٢) وقصر الزهراء (٣) وقصر المبارك باشبيلية (٤) ، ومن ابرز هذه المجالس المجلسان الكبيران البهر والحافة اللذان تردد ذكرهما فى الروايات العربية .

بقايا دار عربى بريض الحوض : عثر منذ ما يقرب من ثلاثين عاما على آثار

(١) Luis seco de lucen, (Op. cit p ٥٠;

وراحه العذرى : ترصيع الاخشاب ، ص ٨٥ .

(٢) السيد عبد العزيز حاتم : قرطبه حاضرة الخلافة ، ص ١٠٨ ، المساجد والقصور ، ص ٨١ .

(٣) نفس المرجع ، ص ١٨٩ ، المساجد والقصور ، ص ٨١ .

(٤) السيد عبد العزيز سالم : قصور بنى عباد بالريايه الوارد ذكرها فى شعر ابن زيدون بحث فى ألفية ابن زيدون (تحت الطبع) وله ايضا : العمارة الاسلامية فى الاندلس وتطورها ، (عالم الفكر) المجلد الثامن ، العدد الاول ، ابريل مايو / يونيو ١٩٧٧ ، الكويت ، ص ١٠١ .

لدار في الريض الغربي من المربه وهو ربض الحوض على مقربه من طريق لاشانكا، وقد ثبت من الاثار المكتشفه انهما لدار على جانب كبير من الثراء الزخرفي^(١)، يتوسطها صحن في جانبه الشمالي تفتح به ثلاث فتحات الوسطى تزيد في الاتساع عن الفتحيتين الاخرين، كانت عقوده المنحدره تقوم على اعمدة مربعة، ويتوسط الصحن بركة مربعة عمقها ٩٠ سم تتصل بجب عمقه ٣٣ م^(٢)، وتبرز في أرضية الصحن بقايا جدران مربعة الشكل محددة الهيئه كانت مخصصة لحوض أو فواره، وتدور بالصحن قاعات طويلة ضيقة، ويرز في أحد جوانب القاعة عدد من الاعمده المربعة، يعتقد الاستاذ توريس بالباس انها ربما اقيمت لتسند عقد وتحد قبه^(٣)، وارض القاعات بالدار مبنيه بملاط خلط بالزيت ليكتسب فيما يبدو لمعانا وقوه، وزادانت أزر الجدران بالقاعة بأشرطة هندسيه منقوشة دهنت باللونين الاسود والادكن فوق ارضية بيضاء ويزدان احد الازر بتوريقات قد دهنت باللون الاصفر^(٤)، وقد استخرجت من ارضيه هذه الدار قطع من الجص بهما توريق نموذجي^(٥)،

(١) Torres Balbas (Léopoldo) : Restos de una casa Árabe en (Almería, (Al - Andalus) , Vol. X, 1945, pp 170 - 172 .

(٢) جوميت مورينو : الفن الاسلامي ، ص ٣٢١ .

Torres Balbas : OP. cit. , pp. 172 - 174 ,

وله ايضا : الفن المرابطي والموحدي : ترجمة الدكتور سيد غازي ، دار

المعارف بمصر ١٩٧١ ، ص ٣١ .

(٣) الفن المرابطي والموحدي : ص ٢٢

(٤) توريس بالباس : الفن المرابطي والموحدي ، ص ٢٢

(٥) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المربه الاسلامية ، ص ١٥١ .

تشابه بقدر كبير مع توريقات قبه على بن يوسف بمراكش ، كما استخرج تاجان صغيران من النوع الكورنثي اوراقها ملساء من نفس طابع بعض تيجان المسجد الجامع بتلمسان (١).

هذا وقد ارجع الاستاذ توريس بالباس تاريخ بناء هذه الدار الى عصر الموحدين (٢) ، ولكن الاستاذ جوميث مورينو يرى انها ترجع الى عصر الطوائف (٣) ، واخيرا خرج الاستاذ توريس بالباس برأى جديد في تاريخ هذه الدار فأرجعه الى عصر المرابطين (٤) .

وكيفما كان الأمر ، فان تخطيط هذه الدار قد امدنا بصورة تكاد تكون متكاملة عن نماذج الدوز العربية في ذلك العصر الاسلامي .

الاثار الدينية :

المسجد الجامع بالمريه : يصف الرحالة الالماني منتزر المسجد الجامع بالمريه بعد سقوط المدينة في ايدي المالكين الكاثوليكين بخمس سنوات ، وكان قد تحول الى كنيسة ، انه من اجل مساجد مملكة غرناطة وأبدعها ، وكانت مئات الثريات تضيء في بيت صلاته ، وكان مفروشا بلوحات الرخام ويتوسطه حوض للوضوء ، كما يحدثنا أنه زار خزانة الجامع حيث كان يحفظ زيت الوقود للكؤوس والثريات (٥) ، كما يذكر منتزر ان جسامع المريه كان

(١) السيد عبد العزيز سالم . نفس المربع والصفحة ، وانظر له ايضا المغرب الكبير ، ص ٢٠٢ .

(٢) Torres Balbas : Res os de una casa Arabe p. 175.

(٣) جوميث مورينو : الفن الاسلامي ، ص ٢٠٠ .

(٤) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المريه الاسلامية : ص ١٥٠ .

(٥) Munzer : Viaje por Espana y Portugal, trad esp por Lopez Teco, Madrid, 1951, pp. 30-31.

عن السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المريه الاسلامية ، ص ١٥٠ .

مفروشا بأشجار الليمون والنارنج (١).

وفي الربع الاول من القرن السادس عشر تعرض بنيان الجامع للتدمير والتخريب، عقب زلزال وقع في ٢٢ سبتمبر سنة ١٥٢٢، وقدمهد ذلك لتحويل الجامع الى كنيسة، ففي سنة ١٥٦٠ م تقريباً انشأت الكنيسة الاولى المسماة دي سان خوان، ولم تلبث هي الاخرى ان اصبحت عمارتها باضرار فادحة في بداية القرن السابع عشر، وفي بدايه القرن التاسع عشر الميلادي تحول البناء على التوالي الى سجن ثم مستودع للمدفعيه، ثم حول الى كنيسة من جديد في سنة ١٨٧٨، بعد ان سلم نهائيا الى جماعه الالباء الفرنسيين سكان (٢)، فحفظوا بقايا الجامع والكنيسة حتى اليوم (٣).

وآثار هذا المسجد مازالت تحتفظ بهما اليوم كنيسة سان خوان الواقعة قريبا من دار الصناعة (٤)، فلقد اجرى الاستاد تورييس بلباس حفريات اثرية في هذه المنطقة خلال الاعوام ١٩٣٦/٣٤ كشف فيها عن جزء من جامع المرية ورسم المحراب، ولم يتمكن من اصدار نتائج هذه الاعمال حتى سنة ١٩٥٣، ولقد تعرضت اجزاء من كنيسة سان خوان عام ١٩٣٨ للغارات الجوية تسببت في سقوط بعض الزخارف الجصية، وقد اتاح ذلك الفرصة

(١) السيد عبد العزيز سالم، العمارة الاسلامية في الاندلس وتطورها، (عالم الفكر) المجلد الثامن، العدد الاول، ص ٩٣.

(٢) Ewert (Christian) : El mihrab de la mezquita mayor de Almeria, (Al-Andalus), XXXVI, 1971, pp. 401-102.

(٣) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الاسلامية، ص ١٠٠.

(٤) نفس المرجع السابق، ص ١٤٥.

للتفكير في ملاحظات جديدة (١) .

ويرجع الاستاذ توريس بالباس التاريخ التأسيسي لهذا الجامع الى اواخر القرن العاشر الميلادي ، اى ينسب بنيانة الى عهد الخليفة الحكم المستنصر (٢) ، بينما يعتقد الاستاذ الدكتور السيد عبد العزيز سالم أنه أقيم في عصر الخليفة عبد الرحمن الناصر إستنادا الى أنه لا يجوز أن تقام مدينة دون أن يؤسس بها مسجد جامع لفترة طويلة من الزمان (٣) .

وايأما كان تاريخ بنيان الجامع فقد زيد في بيت الصلاة اكثر من مرة خلال القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) ، ويحدثنا العذرى عن مرحلتين متتاليتين للبناء ، إحداهما فى سنة ٤١٠ هـ (١٠١٩ م) فى عهد خيران العامرى ، وذلك عندما امر بزيادة بيت الصلاة من جهة القبلة ، فيقول : « وزاد (اى خيران) فى قبلة جامع المريه سنه عشر وأربعائة زيادة جميلة اتسع بها جامع المريه » (٤) ، والمرحلة الثانية فى عهد زهير العاميرى الذى وسع الجامع من جهاته الشرقيه والغرييه والشاليه ، وفى ذلك يقول العذرى : « بنى وزاد فى جامع المريه من غرييه وشرقيه وجوفيه بلاطا من كل ناحيه ، وعظم المسجد » (٥) .

(١) Ewe t (Christian) : El mihrab de la mezquita mayor de Almeria, pp 392-293.

(٢) Torres Balbas (L) ; La mezquita mayor de Almeria, (Al- Andalus) , Vol. XVIII, 1953, p. 429.

(٣) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ١٢٦ .

(٤) توصيف الاخبار ، ص ٨٣ .

(٥) توصيف الاخبار ، ص ٨٣ .

وتتفق تفاصيل هذه الزيادة المنسوبة الى زهير في روايه العذري مع روايه
ابن الخطيب التي تشير الى ان الزيادة تمت من ثلاث جهات ، وتؤكد في نفس
الوقت على ان القبلة لم تتغير من مكانها (١) .
ولقد تمكن العالم الاثري الاستاذ توريس بلباس من التوصل الى تحديد
احدى الزيادتين وذلك خلال الابحاث الاثرية التي اجريت في المنطقة الجنوبية
من الجامع ، فقد لاحظ سيادته ان اسس الجدران الممتدة نحو جدار القبلة
بامتداد صفوف الاعمدة تميل بعض الشيء عن صفوف الاعمدة القائمة ، كما
لاحظ انها اقيمت من الطابية ، وتشير هذه الصفوف الى ان الامر يتعلق ببناء
يتكون من سبعة بلاطات ، كذلك تمكن توريس بلباس ان يميز بوضوح في
الجانب الغربي من جهة الاروقة الخمسة بلاطا جانبيا اكثر تطرفا من المعتقد انه
كان يقابله في الجانب الاخر بلاط مماثل يتجاور في اتساعه البلاط الاوسط
الذي كان اكثر بلاطات الجامع الاول اتساعا ، كما امكنه العثور في الزاوية
الجنوبية الغربية من جهة الاروقة الخمسة على اسس البلاط المتطرف الغربي
الذي ينتهي القطاع المدعم لزاوية القبلة ، وكانت الاسس الظاهرية للبلاط
المتطرف تدعم الجدران الخارجية وهناك ظهرت اثار مداخل جانبية للمسجد ،
وهكذا نستدل من روايه العذري ان اتساع بيت الصلاة تغير مرتين في مدة
اقل من عشرين سنة ، وليس ذلك بغريب على مدينة اتسم عمرها منذ
البدايه بالنمو السريع سيما في اعقاب انهيار الخلافة الاموية بقرطبة (٢) .
وبالاضافة الى كل ما سبق ان ذكرناه عثر الاستاذ توريس بلباس في

(١) يقول ابن الخطيب : « وزاد فيه الزيادات من جهاته الثلاث ما سوى القبلة » .

(٢) اعمال الاعلام ، القسم الخامس بالاندلس ، ص ١٠٠ ، ١٠١ .

حفريات على مجموعة من القطع الزخرفية المفرغة في الجص تبرز في تكويناتها الزخرفية الورقة المصبغة ، وهو أسلوب زخرفي من الأساليب الشائعة في القرن الخامس الهجري أو النصف الأول من القرن السادس الهجري^(١) ، في حين يرجع الاستاذ جوميت مورينو الى الفترة الزمنية التي سبقت الغزو المرابطي مباشرة^(٢) ويرى الاستاذ كريستال ايوارت ان هذه المرحلة الزخرفية التي تبدو لأول وهلة غير متفقه مع أى جزء من الاجزاء النباتية التي كشف عنها البحث الاثرى ترجع الى ايام المعتصم محمد بن صمادح آخر ملوك الطوائف في المرية من ٤٤٣ - ٤٨٤ هـ ، (١٠٥١ - ١٠٩١ م) ، وهو الذي شيد قصر اعظيما بالصمادحية وأجرى المياه الى المسجد الجامع^(٣)

الاجزاء الباقية من الجامع : يشغل اسطوان المحراب بالمسجد الجامع بالمرية وهو محراب يميل بزاوية قدرها ١٥ درجة نحو الشرق بمعنى ان محرابه مشرق شريفا خفيفا^(٤) اربع اساطين من خرائب الكنيسة التي تتكأ دعائمها الضخمة من القرن السابع عشر على البناء الاسلامي ، ويمكننا ان نشاهد اليوم بوضوح جزءا من الجدار الخارجى الشرقى لبيت الصلاة حتى ارتفاع ٤٠ ر ٥ سم فوق مستوى ارضية المبحر وبذلك داخل نطاق الاسطوان

(١) Terras Balbas : Op. cit., pp. 420-422.

(٢) جوميت مورينو ، الفن الاسلامي ، ص ٣١٩ .

(٣) Fwert (Christian) : Op. cit., p. 400.

(٤) كذلك كانت القبلة مشرقة في كل من جامعى القيو وات وقرطبة الاول ،

(راجع ، احمد فكري : المسجد الجامع بالقيو وات ، مطبعة المعارف ، مصر ،

١٩٣٦ ، ص ١٠٤ ، السيد هبذ العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة ، ص ١٠٠ ،

المتطرف من الكنيسة المذكورة (١).

وقد تمكن الاستاذ توريس بالباس من التعرف على فتحة باب على كل من جانبي المحراب في جدار القبلة الذي مازال يحتفظ بصورته اليوم (٢). كان يفتح على بعد ٩٠ ر ٢ سم من طرة المحراب الغربي باب سعة ١٠٥ ر ٢ سم ، لم يتبق منه اليوم سوى النطاق العلوى لفتحة القديمة ، اما الطرف الأدنى من عتب الباب الحشبي فيوجد على ارتفاع ٩١٥ ر ٣ سم فوق ارضية المحراب الحالية ، ولا نشك في أنه في العصر الذي كان يستخدم فيه البناء كاندراثيه كان الباب المذكور يفتح نحو الشرق ، ثم اقيم في فتحة عتب حجري قطاعه قوطي متأخر ، والفتحة العليا تشير إلى ان الفتحة الاصلية كانت تؤدي مهمتها كمخزن للمبهر المتحرك الذي كان طرازه يماثل الطراز المعماري الموجود في جامع قرطبة (٣). وإلى الجهة الشرقية من المحراب كان يفتح باب آخر اتساعه ١٣٤ مترا أغلق في القرن السابع عشر (٤).

أما عن مؤذنة الجامع فلم تكشف الابحاث الاثرية بعد عن أساسها ، ويعتقد الدكتور السيد عبد العزيز سالم أنها كانت تقوم في جوف الجامع في منتصف الجنبه الشمالية التي أقامها -ازهير العامري عند زيادته للجامع من جهاته الثلاث (٥).

Ewert, Op. cit., p. 403.

(١)

Torres Balbas, Op. cit., pp. 418-420.

(٢)

Ewert : Op. cit., p. 404.

(٣)

Ibid., p. 404;

(٤)

Torres Balbas ; Op. cit., p. 420,

وراجع ايضا :

(٥) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الاسلامية ص ١٤٩ .

المساجد الأخرى بالمريه : لم يصلنا من أسماء هذه المساجد غير ثلاث ذكرت في كتب التراجم هي : مسجد اليبليس ، وصاحبه عبد الرحمن بن أبي رجا البلوى ، ويقع في ربض الخوض (١) ، ومسجد حبونه (٢) ، ومسجد طرفه (٣) .

المقابر : تشير المصادر العربية إلى وجود مقبرتين كبيرتين خارج أسوار ربض المريه بالقرب من الطرق المؤدية إلى الابواب الرئيسية للمدينة، الأولى مقبرة باب بجانه من ظاهر المريه (٤) ، والثانية مقبرة الربض أو الخوض بالمريه (٥) .

فأما المقبرة الأولى ، وهي مقبرة باب بجانه ، فكانت تقع خارج باب بجانه أحد أبواب الربض الشرقي المعروف بالمصلى ، وقد أقيمت هذه المقبرة

-
- (١) ابن الأبار : التكملة ، ص ٦٣ ، سالم ، المرجع السابق ، ص ١٤٤ .
 - (٢) ابن الأبار : التكملة ، ص ١٠٧ ، سالم : المرجع السابق ، ص ١١٤ .
 - (٣) ابن بشكوال : الصلة ، ص ١٠٣ ، سالم : المرجع السابق ، ص ١٤٥ .
 - (٤) ابن بشكوال (ابن القاسم خلف بن عبد الملك) : كتاب الصلة ، ص ٢ ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦ ، ص ٤٢٧ ، راجع أيضا ، ابن الأبار : التكملة لكتاب الصلة ، ج ١ ، ص ٨٤ ، المعجم في أصحاب القاضي الامام ابن علي الصدقي ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص ١٤٢ ، ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ١ ، ص ٢٠٩ ، السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ١٢٩ .
 - (٥) ابن بشكوال : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٦٧ ، ص ٢ ، ص ٣٤٤ ، ابن الفرضي : تاريخ علماء الاندلس ، ص ١٩٢ ، ابن الأبار : التكملة ، ص ١٤١ ، السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ١٢٩ .

في عهد خيران العامري بعد قيام هذا الرض ، وتعتبر مقبرة باب بجانه
المقبرة الرئيسية بالمرية ، وفيها دفن عدد كبير من اعيان المدينة (١)
وأما المقبرة الثانية ، فهي مقبرة الرض أو الحوض وتقع في السهل
الممتد ما بين السور القبلي لرض الحوض والساحل ، وهذه المنطقة تعرف
اليوم باسم llano del cordonero (سهل الحبال) ، ولقد عثر فيها على
شواهد كثيرة تحمل كتابات عربية تتعاقب مسلمين دفنوا بها ، ويحتفظ
بالمتحف الاهلي للآثار بمديرية باحد هذه الشواهد ، نقشت عليه كتابة
بالخط الكوفي نصها :

« بسم الله .. تصلي عليه .. يأيتها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة
الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور هذا قبر اسماعيل ... » (٢) .
ومن كبار الشخصيات التي دفنت في هذه المقبرة الكاتب ابو العباس
أحمد بن عمر بن أنس العذري المعروف بابن الدلائلي (ت ٤٧٨ هـ /
١٠٨٥ م) (٣) .

(١) ابن بشكوال : المصدر السابق ٤ ٢٢٧ - ٤ ٢٢٨ ص ٥٥٨ ، ابن البار :

المعجم ص ١٤٢ ، السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ص ١٢٩ ، ١٣٠ .

(٢) Levi-provençal E : Inscription Arabes D'Espagne, f. I, (٢)
Leyde, paris - Mc MXXXI, 1931, p, 130,

(٣) ابن بشكوال : العلة ٤ ١ - ٤ ١ ص ٦٦ — ٦٧ (قرجه ١٤١) ، السيد عيسى

العزيز سالم : المرجع السابق ص ١٣١ .



الفصل الثاني

الحياة الاقتصادية

أولا : الزراعة والمحاصيل الزراعية للاقليم

كان لطبيعة سطح المرية الصخرى بجبلها (١) ، وطبيعة مناخها الذي يتميز بالجفاف وشدة الحرارة مع ندرة الامطار التي قلما تسقط عليها (٢) ، أثر كبير في قلة انتاجها الزراعى (٣) .

وعلى الرغم من جفاف المرية وقلة خيراتها ، فقد كان بظاھرھا مواضع كثيرة اختلفت بمميزات طبيعية ومناخية أتاحت لها امكانية الزراعة ، ومن ثم كانت بمثابة مزارع خاصة تميز منها المرية بما يلزمها من انتاج زراعى .

ومن بين هذه المواضع وادى المرية الغنى بغروسه ومزروعاته وفيه يقول الادريسي : « وكان بها (أى المرية) من فواكه واديها الشيء الكثير الرخيص ، وهذا الوادى المنسوب إلى بجانه بينه وبين المرية اربع اميال وحوله جنات وبساتين وارحاء وجميع نعمها وفواكهها تجلب إلى المرية » (٤) ،

(١) الحميرى : الروض المعطار ص ١٨٤ .

(٢) ابن الخطيب : مشاهدات لسان الدين ص ٨٣ .

(٣) ولعل ذلك كان سببا في ان بعض الشعراء كان يتندر بذلك في قوله :

قالوا المرية صفا
فقلت نط وشيح

وقيل فيها معاش
فقلت ان هبت ربيع

(الحميرى : الروض المعطار ص ١٨٣) .

(٤) الادريسي : صفة المغرب وارض السودان ومصر والاندلس ، ص ١٩٢ .

ويعصف الشقندي وادي المريه بقوله : « واديه المعروف بوادي بجانه من أفرج الاودية ، ضنتاه بالرياض كالغدارين حول الثغر » (١) . ووصف المقرئ هذا الوادي نقلا عن أبي جعفر بن خاتمه فيقول : « وادي المريه طوله أربعون ميلا في مثلها كلها بسايتين بهجه وجنات نصره وانهار مطرده ، وطيور مغرده » (٢) .

ويزودنا ابن الخطيب في القرن الثامن الهجري بوصف رائع لوادي المريه في إحدى مشاهداته فيقول : « واستقبلنا وادي بجانه وما ادراك ماهو ، النهر السيل والغرض المياد والافياء والظلال ، المسك مافت في جنباته ، والسندس ما حاكته يد جناته ، نعمه واسعه ومساجده جامع ، ازرت بالغوطين زياتينه واعنابه ، وسخرت بوان شعائبه ، بحيث لا تبدو للشمس آيات ، ولا تنأى للحرباء حيات ، والرياح تلوى اعطاف غصون البان ارداف الكشبان ، وتجاذب عرايس الخمائل » (٣) .

وإلى جانب حاصلات وادي المريه ، كانت برجه ودلايه (من أعمال المريه) ايضا تزودان المريه بمحاجتها الزراعية ، ويعصف المقرئ برجه بقوله : « ومدينة برجه وهي على واد مبهج يعرف بوادي عذراء ، وهو محقق بالازهار والاشجار ، وتسمى برجه بهجه لبهجه منظرها » (٤) . وكان من

(١) المقرئ : نفح الطيب ، ١ - ٤ ، ص ٢٠٦ .

(٢) نفح الطيب ، ١ - ٤ ، ص ١٥٤ ، انظر ايضا ، شبيب ارسلان : الحلل السندسية في الاخبار والاثار الاندلسية ، الطبعة الاولى ، مطبعة الرحمانيه ، ١٣٥٥ هـ ، ١٩٣٦ م ، ص ٢٠٣ .

(٣) ابن الخطيب : مشاهدات لسان الدين ، ص ٤٧ .

(٤) المقرئ : نفح الطيب ، ١ - ٤ ، ص ١٤٣ ، ١٤٤ ، وفي برجه يقول ابوالفضل —

انتاجها الزراعى الفواكة الكثيرة (١) .

أما دلالة ، فلقد اشتهرت بعود الالنجوج الذى «لا يفوقه الود الهندي ذكاء وعطر رائحه ، وقد سيق منه إلى خيران الصقلى صاحب المريه ، وان اصل منبته كان بين احجار هنالك » (٢) .

وبالاضافة إلى المواضع السابقه كان يكثر التوت (٣) بحصن شنش . على مرحلة من المريه ، ويعرف واديه بوادى طبرنش (٤) ، وكان هذا الوادى

= بن شرف القبروانى :

رباش تمشقها سندس	توشه معاطفها بالزهر
مدامها فوق خدى ربا	لها نظرة فتنت من نظر
وكل مكان بها جنه	وكل طريق اليها سقر

وفيه ايضا قوله :

ط الرحال برجه	وارند لنفسك بهجه
في قلعه كساح	ودوحه مثل الجه
فحصنها لك امن	وروضها لك فرجه
كل البلاد سواها	كمره وهى حجه

(المقرئ : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٤٢) .

(١) ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٢٨ .

(٢) المقرئ : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٣٧ ، وعود الالنجوج عود يتبخر به ، (نفس المصدر والجزء والصفحة ، هـ ٣) .

(٣) ابن سعيد : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٢٥ .

(٤) المقرئ : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٥٥ .

مشهورا بزيتونه ، وفيه كان يعصر ويستخرج الزيت (١) .
كما اشتهرت ايضا مدينة اندرش - من أعمال المريه - بزراعة الكتان (٢) ،
وكان يزرع في قرية شلويين - التي تلى المريه - من جهة المغرب - قصب السكر
والموز والقسطل (٣) ، وغيرها من المحاصيل .
ومن كل ما تقدم يتبين لنا ان مدينة المريه كانت تعيش على خيرات ماحواها
من مدن وقرى .

وإلى جانب ما كان يغله وادى المريه والقرى التابعة لها من المحاصيل
المختلفة ، كانت تضم منيات ومنتزهات وبساتين كثيرة يلوذ بها الناس في أوقات
القيظ حيث ينعمون بالهدوء والراحة بعيدا عن متاعب المدينة ، فلقد كان
للغرب سواء في الشرق أو في الغرب فلسفة خاصة في بساتينهم ، هي التي اعطت
لتلك البساتين طابعا مميزا (٤) .

(١) ابن الخطيب : مشاهدات لسان الدين ، ص ٨٤ .

(٢) وفيها يقول ابو الحجاج بن عتبة الاشبيلي الطبيب الاديب الشاعر :

لله اندرش ، لقد حازت على حسن تتيه به على البلدان
النهر منساب سرت خليجانه في الارض بين ازاهر الكتان
فكاننا انساب هناك اراقم قد عدل راجعة عن الشعبان

(راجع الحميري : الروض المعطار ، ص ٣١ ، ٣٢ ، وانظر ايضا ، المقرئ :

تفتح الطيب ، ج ١ ، ص ١٥٦) .

(٣) ابن فضل الله العمري : وصف افريقية ، ص ٤٦ ، وأيضا هـ ١ نفس المصدر ،

الحميري : المصدر السابق ، ص ١١١ .

(٤) جيمس ديكي : ملاحظات عن فلاحه البستان العربي في الاندلس « تقرير عن

نشاط معهد الدراسات الاسلامية في مدريد خلال شهر ديسمبر سنة ١٩٦٦ » ، ص ١٠٣ .

هذا ولقد كان البستان العربي يحاط بسور عال ، ويزرع خضرة تغطي جدرانها ويجعل في البستان اشباه الغرف والاسوار كلها من النبات الاخضر ، ذلك لكي لا يقع بصر الناس إلا على الخضرة والزهور فتأنس انفسهم ، بل لقد بلغ من ايمان العرب بهدوء البساتين وانعزالها عما حوالهم ، انهم كانوا يسمون القبر بالروضة لأنه يماثلها في الوحدة ، بل لقد ارتبط تخطيط البستان بفكرة دينية ، فالى جانب كونها مكانا للاعتزال والتأمل والاستمتاع بالحياة ، نظر اليها على انها قطعة من الاخرة أى الفردوس ، فقد أنشأوها على هيئة دائرة في وسطها بركة ، وترمز الدائرة إلى الارض وإلى قبة السماء ، كما ترمز البركة التي في وسطها بمائها إلى اللانهاية (١) .

وكان الطريق المؤدى إلى مدخل البستان يزرع باشجار السنديان العالية كما كان التخطيط الداخلى للبستان يشمل خمائل وأبواب وممرات اكتست جميعها بالخضرة ، ومن نبات الريحان ذى الرائحة العطرة القوية ، كما كانت تزرع احواض الزهر بين الخمائل في مساحات صغيرة ، وأن دل ذلك على شيء فأنما يدل على مدى علم الاندلسيين ومعرفتهم الدقيقة بأنواع مختلفة ومتعددة من الزهور ، فلقد اهتم مساهرو الاندلس بالزهور واحبوها لانيها الورد ، اما بقية الزهور التي كانت لديهم فكان منها الآس والافحوان والياسمين الابيض والترياق وهو الياسمين الاصفر والبنفسج والخيري او القمام وكذلك السوسن كما عرفوا زهور الاشجار مثل نور الكتاب ونور اللوز ونور الرمان وكلها زهور جميلة تتجلى فتتها على اشجارها (٢) .

ومن أمثلة هذه المنيات والمتنزهات والبساتين برجيه ودلايه التي كان

(١) حيمس ديكي: المرجع السابق ، ص ١٣ .

(٢) نفس المرجع ، ص ١٤ .

يقصدها المعتصم بن صمادح ويقوم فيها بعض الوقت ، يتمتع بمناظر الخضرنة الرائعة فيها وانسياب المياه خلالها ، وينعم بالهدوء السائد فيها ، ويعبر عن هذا ابن خافان قائلا : « وهما منظران لم يجلا في مثلها ناظر ، ولم تدع حسنهما الحدود النواضر ، غصونه تشنئها الرياح ومياه لها انسياح ، وحدائق تهدي الأرج والصرف ، ومنازل تبهج النفس ، وتمتع الطرف فأقام فيها أياما يتدرج في مسارحها ، ويتصرف في منازلها ومسايحها ، وكانت نزهة أربت على نزهة هشام بدير الرصافة ، وأنافت عليها أي أنافة (١) .

ويمدنا العنري بوصف رائع لبستان الصمادحية فيقول : « وبني (أي المعتصم) بخارج مدينة المريه بستانا وقصورا متقنة البنيان غريبة الصناعة وجلب إليها من جميع الثمار الغربية وغيرها ، ففيها من كل شيء غريب مثل الموز الكثير وقصب السكر وأنواع سائر الثمرات مما لا يقدر علي صنعته ، وفي وسطه بحيرة عظيمة عليها مجالس مفتحة مفروشة بالرخام الأبيض ، ويسمى ذلك البستان بالصمادحية وهو قريب من المدينة جدا وقد اتصل به بساتين كثيرة تقرب من صفتها ، فيها متنزهات لا يعلم مثلها في جميع المتنزهات (٢) » .

وإلى جانب هذه المنيات والمنتزهات ، كان هناك متنزهات أخرى حول المريه منها دوح البان ، وهو موضع به بانه غناء وروضه غناء (٣) ، ومنها

(١) الفتح بن خاقان : تلأئد العقيان ، ص ٢٠٣ ، القسري : بيت الطيب ، ص ٢٠٦ .

(٢) العنري : ترصيم الاخبار ، ص ٨٠ .

(٣) وفي هذه البقعة يقول ابن الحداد :

وان تسعدا من أسلم الصبر قلبه
بعرس بدوح البان من درساتها =

وادي لبيني^(١) ، ومنها موضعان يعرفان بالأريطي والدويحات^(٢) ،
ومن متفرجاتها منى عبدوس ومنى غسان والنجاد وبركة الصفر وعين
النطية^(٣) .

وكان يطيب للمعتصم أن يقضى بعض الوقت في هذه البساتين بين الخضرة
والماء في الأيام الشديدة الحرارة ، ذلك ليتلطف بنسيم هوائها ، ويذكر المقرئ
أن المعتصم خرج يوما إلى بعض متنزهاته ، « فحل بروضة قد سفرت عن
وجهها البهيج ، وتنفست عن مسكها الأريج ، وماست معاطف أغصانها ،
وتكلمات بلؤلؤة الطل أجياد قضبانها^(٤) » .

كذلك كان أعيان المريه يمتلكون البساتين والمتنزهات في وادي بجانه
وكانوا يقصدونها للنزهة ، وطلب الراحة والهدوء بعيدا عن ضوضاء المدينة^(٥) .

= فبناها الغيناء مآلف بانه جنيت الغرام البرح من ثمراتها
وروضتها الغناء مسرح روضة تتبختر في الموشى من حبراتها
(انظر ابن بسام : الذخيرة ٢ ق ١ م ٢٢ ص ٢٢١) .
(١) ابن بسام : الذخيرة ٢ ق ١ م ٢٢ ص ٢١٨ ، وفيه يقول ابن الحداد ايضا :
رويدا فلذا وادي لبيني وانه لورد لبناى وانى لظامى .
(فى ابن بسام : المصدر السابق والصفحة ٢) ويرى الاستاذ الدكتور السيد هبد
العزیز سالم ان لبيني اعلاه جدول متفرع من وادي بجانه ، (تاريخ مدينة المرية
الاسلامية ص ١٣٤) .

(٢) ابن بسام : المصدر السابق ٢ ص ٢١٣ .

(٣) ابن سعيد : الغرب في حلى المغرب ٢ ص ١٩٤ .

(٤) المقرئ : نفح الطيب ٢ ص ٣٠٤ .

من أزهى عصور الاندلس ، فقد كان كل ملك من ملوك الطوائف يذلل قصارى جهده لاحاطة نفسه بهالة من الأبهة والفخامة تشبها بما كان يفعله خلفاء قرطبه ، فتلفبوا باللقاب الخلافة ، واتخذوا الوزراء والكتاب ، واقتنوا المغنيين والمغنيات واجتذبوا الادباء والشعراء بالأموال والعطايا ، واتخذوا من قرطبه حاضرة الخلافة الاموية بالاندلس انموذجا يحتذوه في حواضرهم حتى لقد تعددت أشباه قرطبه في نواحي الاندلس .

ومن الجدير بالذكر أنه ترتب على ذلك ان تقدمت الفنون والصناعات تقدما ما لم تشهد به البلاد من قبل وأخذت كل حاضره تنافس غيرها في مضمار التقدم الفنى ، ودخل الملوك اطرافا في هذا التنافس بالاموال والهدايا ، وهكذا شمل التقدم كل مناحى الحياة أدبيه وماديه ، ونالت المريه زمن الطوائف نصيبا كبيرا من هذا التقدم الحضارى بفضل تشجيع ملوكها ، فتقدمت فيها الصناعات ، وحظيت بعض هذه الحرف قدرا كبيرا من الرقى كصناعة النسيج والرخام وغيرها تجاوزت شهرتها الآفاق في الشرق وفي الغرب .

صناعة النسيج :

تعتبر صناعة المنسوجات الحريرية في المريه اكثر منتجاتها الصناعيه شهرة في العالم الوسيط ، وقد انتقلت اليها هذه الصناعة من بجانه ، التى كانت أعظم مراكز هذه الصناعة في القرنين الثالث والرابع الهجرى ، اذ كان دور الطرز بها تضم عددا كبيرا من الأنوال المتخصصة فى نسيج الحرير (١) ، هذا الى كثير من الصناع المهرة ، لا أن تمصير المريه واتساع العمران بها جاء على حساب عمران بجانه ، والناس سراع الى الجديد ، فلم تلبث المريه أن اجتذبت معظم سكان بجانه وانتجوها من كل أوب وترتب على هذا ان انحصر

عمران بجانه وتأخرت صناعاتها بعد أن انتقل المدربون أهلها في هذه الفنون الى المريه فيما يقرب من سنة اثنين وأربعمئة (١) .

وبهذه المسببه يجد بنا أن نشير الى طريقة انتشار صناعة الحرير التي اختصت بها الصين منذ أقدم العصور أو - كما تقول الاسطورة الصينيه - منذ خمسة وعشرين قرنا قبل الميلاد ، وتسوق لنا هذه الاسطورة قصة مؤداها أن أميرة صينييه تدعى (سى لى تشى) استلقت نظرها ذات يوم ديدان صغيره كانت تعيش على أوراق شجرة التوت فراقبتها ولاحظت سلوكها ، وخرجت من هذه الملاحظه الى طريقة تربية هذه الديدان والى طريقة استخراج الخيوط من شرائقها ، وقد كوفئت هذه الأميرة بأن رفعوها الى مصاف الآلهة ، وكيفما كان الامر ، فقد حافظ الصينيون على سسر انتاج الحرير بعد أن اتقنوا طريقة استخراجها ، وكتبوا سر اكتشافه ، لكن تشاء الظروف أن تزوجت أميره صينييه من حاكم احدى المدن الايرانيه ، وعند انتقالها الى مقرزوجها خبأت في ثيابا شعرها بويضات دودة القز ، وفي ايران فقست هذه البويضات وتوالدت وانتشرت ، وهكذا انتشرت صناعة الحرير من الصين فى بلاد الفرس ومن فارس انتقلت سريعا إلى بيزنطه ، وبذلك لم يعد انتاج الحرير ونسجه سرا (٢) ، ثم انتقلت هذه الصناعة الى اسبانيا عن طريق جماعات من اللاجئين الاغريق ونمت وتقدمت تقدما كبيرا فى العصر

(١) العذرى : ترصيع الاخبار ، ص ٨٢ .

(٢) مرزوق : الفن الاسلامي ، ص ١٢٤ ، وهناك رواية أخرى تشير الى أن راهبين يونانيين تمسكنا من اخفاء بضع شرائق من دودة القز فى عكاذيرها عند خروجها من الصين وذلك فى عهد جستنيان ثم نشرها سر صناعة الحرير الصينى فى بيزنطة .

الاسلامى (١) ، واعتقد أن العلاقات الوثيقة بين بيزنطة وقرطبة كان لها أعظم الأثر في رواج هذه الصناعة وغيرها من الصناعات (٢) في الأندلس. هذا ولقد حظيت صناعة الحرير في الأندلس بمكانة كبيرة وخاصة في قرطبة ، التي شغلت المركز الأول في هذا المجال بالإضافة إلى صناعة الديباج والموشى ، وكانت تعتقد في صناعته على مدينة جيان التي توفرت في قراها كل مقومات هذه الصناعة استنادا إلى الإدريسي في قوله : « ولها (أي جيان) زائد على ثلاثة آلاف قرية كلها يربى بها دود الحرير (٣) » .

وفي أوائل القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) أخذت المرية تنبؤ شيئا فشيئا المركز الرئيسى لهذه الصناعة ، ولم تلبث أن حلت محل قرطبة ويشير ياقوت إلى ذلك بقوله : « يعمل بها الموشى والديباج فيجاد عمله ، وكانت أولا تعمل بقرطبة ثم غلبت عليها المرية ، فلم يشقف في الأندلس من يجيد عمل الديباج أجادة أهل المرية (٤) » .

نخلص مما تقدم بأن قرطبة كانت تحتل مركز الصدارة في صناعة الحرير والموشى في الأندلس ، وهى صناعة كانت تشتهر بها بجانه كذلك ، ولكن منذ أوائل القرن الخامس الهجري ، احتلت المرية مكانه في هذه الصناعة وورثت أيضا قرطبة في صناعة الموشى والديباج .

(١) Heyd (W) : Histoire du commerce du levant du Moyen -

Age, t. II, Leipzig, 1886, p. 694 .

(٢) صناعة الفصوص (الفسيفساء) وصناعة النسيج المعروف بالسقلاطون وصناعة

الاحواض الرخامية المنقوشة بالصور الحيوانية ، وصناعة علب العاج .

(٣) الإدريسي : صفة المغرب ، ص ٢٠١ .

(٤) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، المجلد الخامس ، ص ١١٩ .

وعن حذق وتفوق أهل المربه في هذه الصناعة يقول الرازي : « المربه مفتاح الرزق والكسب ، وموطن الحذاق من أصحاب الصناعات ، وفيها يصنع الحلل الموشيه النفيسه ^(١) » .

وأما عن طرز الحرير أو الأنوال وأنواع المنسوجات الحريرية بالمربه ، فيشير الادريسي الى أنها بلغت فيها خلال الربع الاخير من القرن الخامس الهجري ثمانمائة نول ، وشملت أنواع المنسوجات الحريرية ، الحلل والديباج ، والسقلاطون والاصبهاني والجرجاني ، والستور والمكمله ، والثياب المعينه والخمر والعقابي والمعاجر ^(٢) ، وبجانب هذه الانواع يضيف ابن غالب

(١) Levi-provençal (E : La description de L'Espagne d'Ahmed

al - Razi, (al - Andalus) , 1953, p. 67 ;

السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المربه الاسلاميه ، ص ١٥٦ ،

ABD Al - Karim (Gamal) : Referencias economicas de la España musulmana en la obra de Yaqut Al-Hamawi «Muyam Al - Buldam » (Homenaje al profesor Carriazo) , T . III. Sevilla . 1973 . p. 127.

(٢) الادريسي : صفة المغرب ، ص ١٩٧ ، راجع ايضا ، الحميري : الروض المطار ص ١٨٤ ، المقرئ ، نفع الطيب ص ١٥٤ ، ولا غطاء له ، اورد لنا اعدادا مختلفة مبالغ فيها من الأنوال لنسج كل صنف من اصناف الحرير ، وأنى كذا نرجس ما جاء في نص الادريسي ، فيقول المقرئ : « كان بالمربه لنسج الحرير ثمانمائة نول وللحلل النفيسه والديباج الفاخر ألف نول والسقلاطون كذلك ولثياب الجرجانية كذلك وللاصبهاني مثل ذلك وللعقابي والمعاجر المدهشة والستور المكمله » (نفع الطيب ص ١٥٤) ، ويرى الأستاذ الدكتور السيد عبد العزيز سالم أن في هذه =

الاندلسي بأنه « كان يعمل فيها من الوشى والسقلاطون والبغدادى وسائر
أجناس الديباج . . . وكان يعمل فيها الحل الرفيعة القدر
الكثيرة الاثنان (١) » .

وأما صناعة الديباج والحل الموشيه فقد بلغت مكانه رفيعة ، اذ قال ابن
سعيد نقلا عن ابن فرج « حدث فيها من صناعة الوشى والديباج على اختلاف
أنواعه ومن صناعة الخز وجميع ما يعمل من الحرير ، ما لم يبصر مثله في
المشرق ولا في بلاد النصارى (٢) » . وعن الحرير الموشى بالذهب قال :
« ويصنع فيها (اى المريه) ثياب الحرير الموشاه بالذهب ذات الصنائع
الغريبة (٣) » ، والى شهرتها في صناعة الديباج يقول المقرئ : « وبها من
صناعة الديباج ما تفوق به على سائر البلاد (٤) » .

= الاعداد مبالغة كبيرة وعلى هذا الاساس يعتقد أن المقرئ نقل هذا النص محرفا
عن أحد المؤرخين (تاريخ المريه الاسلاميه ، ص ١٥٧ ، ١٥٨) .

(١) قطعة من كتاب فرحة الانفس ، تحقيق لطفي عبد البديع ، ص ٢٨٦ ، ٢٨٤

(٢) ابن سعيد ، المغرب ، ص ٢٨٣

(٣) ابن سعيد « أبو الحسن علي بن موسى المغربي » كتاب الجغرافيسا ، الطبعة
الأولى ، تحقيق اسماعيل العربي ، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر
والتوزيع ، بيروت ، ١٩٧٠ ، ص ١٤٠ ، وأنظر أيضا المقرئ : تنقيح الطيب ،
ص ١٨٧ ، وقال نقلا عن ابن سعيد « والى مصنوعات الاندلس ينتهى
التفصيل . . . فقد اختلفت المريه بالموشى المذهب يتعجب من حسن صنعه أهل المشرق
اذا رأوا منه شيئا واهم انواع الوشى النوع الذى يقال له الوشى المشامى الذى
يغرب به المثل فى الرقة » .

(٤) المقرئ : المصدر السابق ، ص ١٥٣ .

أما السقلاطون^(١) أو الاسقلاطون^(٢) ، التي اشتهرت بصناعته المربية ، فهو نسيج رفيع الملمس سميك الصنعة () مملو بالذهب وكان معروفا في بلاد اليونان ثم انتقل فن نسجه الى بلاد المغرب ، وحققة صناعتهم ، وكان يطلق هذا الاسم في كل اوربا على نسيج من الحرير مطرز بالذهب ، تخصصت بغداد في صناعته^(٣) ، وكان يعوف في بغداد باسم السقلاطون البغدادي^(٤) . ويرجع الدكتور السيد عبد العزيز سالم ان هذا الاسم طبق على هذا النوع من النسيج بسبب رسماته الدوائر التي تحاكي المنسوجات البيزنطية والساسانية والعربية ، ولعلها نوع عرف ايضا باسم المختوم المرفوم بالذهب^(٥) .

(١) الادبى : صفة المغرب ، ص ١٩٧ . راجع أيضا الجوى ، الروس ، ص ١٨٤ ، وأصل الكلمة دون كسطة ط . وسقلاطون بلد من بلاد الروم تنسب اليها هذه الثياب ، الثعالي اطائف الاشارات ، ص ٢٠٥ . ص ٢٣٥) وقد عرفها دوزى بانها ضرب من نسيج الحرير مزكش بالذهب اشتهرت به بغداد بصناعته وعرفته أوربا في العصور الوسطى Ciclat بالأسبانية - Ciclaton وبالفرنسية والانجليزية

Siglaton وباللغة الفلمنكية Cinglaton راجع :

Cozy (R) : Supplement, t. I, p. 664 b.

(٢) المقرئ : فتح الطيب ، ص ١٠٤ .

(٣) الدردى : تاريخ العراق الانتهادى في القرن الرابع الهجرى ، طبعة بغداد ص ٨٩ .

(٤) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المربية الاسلامية ، ص ١٥٤ .

(٥) النويرى : نهاية الارب ، ص ٣٦٩ .

(٦) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ١٥٧ ، ١٥٨ ، وهناك من يزعم اللفظة الى أصل يونانى Ciclaton ويعنى النسيج المختم بالدوائر وهو نوع مره =

وفي نهاية القرون الوسطى كان هذا القماش مطرزا بالذهب، وكان الشرقيون يصبغونه باللون الأزرق الغامق ، أما الغربيون فكانوا يصبغونه باللون الأحمر الفاقع (١) .

وأما نسيج الاصبيهان والجرجاني فقد ذاعت شهرتهما في اصبهان وجرجان كما هو واضح من اطلاق اسميهما على هذين البلدين . والستور المكحلة من المنسوجات الحريرية ثياب خفيفة رقيقة تزدان بالزخارف النباتية والازهار التي تشبه الاكاليل (٢) . والثياب المعينة ، خاماتها من الكتان أو القطن يزدادان بمربعات صغيرة على شكل معينات وقيل أنها سميت معينه لانها تشبه العيون ، وان كان التفسير الاول هو الأرجح (٣) . وأما الخمر فأقمشة حريرية تستخدمها النساء في ستر رؤوسهن وتنسدل على الوجه لتغطية (٤) ، ويرجع انها كانت تتميز بالركة والشفافية .

= المسلمون عن طريق اتصالهم بالحضارة اليونانية ، راجع :

Marques de Izozoy, Historia del arte hispanico t. I, Barcelona, 1931, p. 268.

عبد العزيز سا : المرجع السابق ، ص ١٥٧ ، ١٥٨ .

Heyp : Op. cit., t. II, p 700. (١)

(٢) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المربة لاسلامية ، ص ١٥٨ .

(٣) نفس المرجع والصفحة .

(٤) الخمر : جمع خمار ، والخمار كل ما خمرت به المرأة رأسها من شتاق الحرير ، « راجع الفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي في لحن العمامة ، نشر عبد العزيز الاهواني (مجلة معهد المخطوطات العربية) المجلد الثالث ، ١٩٥٧ ، ص ٣٠ .

Dozy (R) : Supplemeut t. II, 93 a.

والعتابي نوع من النسيج ، ينسج من خيوط القطن والحريز ، وتكون رقيقة الملمس بديعة الصنعة وتصبغ بعد اتمام نسجها بلونين أو أكثر (١) ، كالأبيض والأسود أو الأحمر والأصفر بطريقة بديعة التنسيق فتكون النتيجة ان تظهر على شكل خطوط متوازية أو متعرجة وهي على هيئتها تشبه تقريبا شكل جلد الحمار الوحش المخطط (٢) . ويبدو ان نسيج العتابي الذي يسخل الحريز في نسجه لا يصمد كثيرا فهو سريع التلف ولهذا غالبا ما كانت الثياب العتابية الرقيقة تبطن ببطانة من نسيج آخر كالقطن تجنباً لهذا العيب (٣) . ولقد برع العراقيون عامه والبغداديون بصفه خاصة في نسج الثياب العتابية ، وعنهم انتشرت صناعة العتابي خارج البلاد شرقا وغربا وذلك اما عن طريق التجارة ، واما عن طريق التجارة ، واما عن طريق تبادل الصناع النساجين بين البلدين (٤) . وهكذا انتقلت المنسوجات العتابية

(١) ابن جبير (أبو الحسن محمد بن أحمد) : رحلة ابن جبير ، تحقيق وليم رايت ، ليدن ١٩٠٧ ، ص ٢٢٦ .

(٢) وقد أطلق العرب على الحمار الوحشي المخطط بالعتابي والحمار العتابية ، وقد عرفها القلقشندي بأنها حيوات في صورة البرذوث موشى الجسد بالبياض والسواد يروق النطر حسنها ، « راجع القلقشندي : صبيح الالهشى ، ص ٢ ، ص ٤٣ » .

(٣) ورد في أخبار الدول : « ... أن رجلا قال : صليت بجامع المنصوري في بغداد فاذا أنا بانسان أعمى وعليه جبه عتباويه قد ذهب وجهها وبقيت البطانة وبعض القطن ... فسألت عنه فقلت أنه الناصر بالله ٣٢٠ هـ ، « راجع القزويني : أخبار الدول وأثار الأول في التاريخ ، ص ١٢٨ » .

(٤) مرزوق : الزخرفة المنسوجة في الاقشيش الفاطمية ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة سنة ١٩٤٢ ، ص ٥٤ .

الى المغرب عن طريق التجارة ، ومنها الى الاندلس ومن ثم اشتهرت بالمرية .
هذا وقد عرف الايطاليون والفرنسيون صناعة المنسوجات العتاية في
العصور الوسطى عن طريق الاندلس ، وانتقل اليهم اسم هذا النوع محرفا
الى Tapis (١) .

واما المعاجز ، غنسيج من الحرير شفاف ، تتخذها النساء لتغطية
وجوههن أو لستر رؤوسهن (٢) ، وقد اشتهرت المرية بصناعة هذا الضرب
من الثياب (٣) .

ولقد كان من خصائص المنسوجات الحريرية المصنوعة في المرية أنها
كانت تزدهان بالزخارف الهندسية والنباتية القائمة على تشابكات ومربعات
وحواش مكتوبة بالخط النسخ (٤) .

صناعة السفن :

يرجع الفضل الاعظم في انشاء دار الصناعة بالمرية الى الخليفة عبد
الرحمن الناصر أقامها بها عند قيامه بتأسيس المدينة ، وقد أشار العذري انها

(١) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الاسلامية ، ص ١٥٨ .
(٢) نفس المرجع والصفحة ، جاء في المحيط « الامتجار : لف انعامه دون التلحي ولبسه
المرأه ، والمعجر - - كثير » والمعجر ثوب تعتجربة النساء . « المحيط ، مادة :
معجر » .

Dozy (R) : Supplement, II, p. 96 b .

(٣) المقرئ : نفح الطيب ، ص ١٠٤ .
(٤) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ١٥٨ ، وأنظر أيضا ، سكوتل
« أرونت » الفن الاسلامي ، ترجمة أحمد موسى ومراجعة محمد ابراهيم الدسوقي
مطبعة أطلس القاهرة ، ١٩٦١ ، ص ١٥١ .

كانت مقسمة الى قسمين القسم الاول فيه المراكب الحربية والآلة والعدة والقسم الثاني كانت توجد فيه القيسارية (١) وكانت دار الصناعة فيها تقوم بصناعة السفن والعدة والآلات اللازمة لها ولما يقوم به الاسطول (٢).

واما المواد الخام اللازمة لقيام هذه الصناعة فكانت متوفرة في ارض المريه وفي مناطق متعددة بالاندلس ، فأخشاب الصنوبر اللازمة لصناعة الصواري والقري ، المشهور بجودته وعدم تعرضه للتلف الناشء من التسوس ، وهو نوع من الاخشاب لا نظير له في الطول والغلظ ، كانت تستجلب من جبال طرطوشه (٣) ، أو من قصر أبي دانس (٤) ، أو من شلطيـش () ، وبعضها كان يتوفر في يابسة (٦) ، قادس (٧) ، شلب (٨) ، وفي الجزائر الواقعة بازاء شتتمرية (٩) .

ومعدني الحديد والنحاس كان يتوفران في كثير من مدن الاندلس

(١) العنري : ترصيع الاخبار ، ص ٨٦ .

(٢) ابن غالب الاندلس : قطعة من فرجة الانفس ، ص ٢٨٣ .

(٣) الحميري : الروض المطار ، ص ١٢٤ .

(٤) الادريسي : صفة المغرب ، ص ١٨١ ، الحميري : المصدر السابق ، ص ١٦١ .

(٥) الحميري : المصدر السابق ، ص ١١١ .

(٦) نفس المصدر ، ص ٩٨ ، المقرئ : نفع الطيب ، ص ٢١٢ .

(٧) الحميري : المصدر السابق ، ص ١٢٥ .

(٨) الادريسي : المصدر السابق ، ص ١٨٠ .

(٩) الحميري : الروض المطار ، ص ١١٥ .

لاسيا في المربه التي اشتهرت بها (١) ، وكان الحديد يكثر في طليطله (٢) ،
وغرناطة (٣) ، والظاهر ان دار صناعة المربه اعتمدت في مراسى السفن
على دار صناعة شلطيش التي تخصصت في هذه الصناعة (٤) .

ولاشك في قيام تكامل صناعى بين مختلف ثغور الانداس اسد حاجة
الصناعة بكل منها اذ انه من المستبعد ان تعتمد دار صناعة المربه فقط على
مواردها الذاتية من المواد الخام لاسيما في الفترة التي كانت تابعة فيها للإخلافة
الاموية والامثلة كثيرة على تبادل المواد الخام بين المدن الاندلسيه بعضها
وبعض ، فمثلا ، نجد أن الرمت والظفران كان يستخرج من كورة جيان
ويحمل منها الى اشبيلية ، ثم الى الجزيرة الخضراء لصناعة السنن في دار
الصناعة بها (٥) .

فن النحت على الرخام

كان لتوافر الرخام الصقيلي الملوكى (٦) بالمربه اثره الكبير في دعم
الصناعات الرخامية كصناعة الاحواض والبيلات واللوحات المنشورية الشكل
(المقبريات) او شواهد القبور .

(١) الادريسي : صفة المغرب ، ص ١٩٧ ، الجبرى : المصدر السابق ، ص ١٨٤ ،
راجع ايضا المقرئ : فتح الطيب ، ١ - ٢ ص ١٥٣ من توفر ، معذرت الحديد
بمكورة المربه .

(٢) الادريسي : المصدر السابق ، ص ١٨٨ ، الجبرى : المصدر السابق ، ص ١٣٣ .

(٣) ابن الخطيب : الاحاطة في اخبار غرناطة ، ١ - ٢ ص ١٠٤ .

(٤) الجبرى : المصدر السابق ، ص ١١٠ .

(٥) ابن حيان : المقتبس ، نشر عبد الرحمن الحجي ، ص ١٠١ .

(٦) المقرئ : فتح الطيب ، ١ - ٢ ص ١٥٣ ، ٤ - ٥ ص ٢٠٦ .

وكانت مقاطع الرخام موجودة في جبل سيرادي لوس فيلا بريس Sierra de los
filabres الواقعة شمالي فينيانه وطبرنش وجنوبي برشانه (١) ومنها كان يقطع
وينحت حسب الطلب .

ولقد ذاعت شهرة المرية في صناعة « الاحواض » الرخامية ، يؤكد
ذلك الكشف الاثري باطلال قصر القصبه بالمريه وتتضمن اثار احواض
متباينه الشكل والزخرفه ، منها حوض ناقص القاع من الرخام الابيض
يزدان بنقرش ادمية وحيوانية ونباتية فقد بقيت فيه اثار أقدام بشرية تلبس
أخفاقا ، وخاف ذلك شجرة وارجل حيوان ، ومظهره يدل على انه
رومانى شبيه « بالراعى الصالح » فيما يبدو ، وكانت تزين قاعدة
الجوانب الاخرى سيقان متماوجه على نحو مافي الفن العربى المنحدر من
سلالة نيزنطة (٢) .

واما عن صناعة التوايت وشواهد القبور بالمريه ، فقد بلغ فن النحت
فيها شأوا كبيرا ، فالقد ازدانت شواهد القبور بها بنقوش تمايل أشكال
محاريب عقودها متجاوزة منكسره ، تحمها عمدا على مناكب ، ويدور
بالعقود طرر بشكل مستطيل تعلوها افاريز وتحف بهذه الافاريز والطارر
نقوش كتابية ، وكانت تغطي المحاريب المنقوشة كتابات عن المتوفى وتاريخ
وفاته وبعض الايات القرانية (٣) . ولقد انتقلت هذه الشواهد المقبرية الى
المريه في عصر المرابطين من المشرق الاسلامى ومنها انتشرت في شتى نواحي
الاندلس ، ولذلك سمى هذا النوع باسم شواهد المرية . Las estelas

(١) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الاسلامية ، ص ١٦٣ و ١٦٤ .

(٢) جوميث مورينو : الفن الاسلامى في اسبانيا ، ص ٣١٩ و ٣٢٤ .

(٣) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الاسلامية ، ص ١٦٤ .

«almerienses» وينسب إلى المربه معظم التواييت التي اكتشفت في مقابر الاندلس ، وتمتاز هذه التواييت بأنها مصنوعة من الرخام الابيض (١) . كذلك اختصت المربة بصناعة سوارى العمود وتيجانها وبلاطات الرخام فقد ذكر المقرئ نقلا عن الرازى « وفي ناشره (من اعمال المربه) مقطع عجيب للعمود » (٢) . ويذكر العذري أن مجالس بستان الصمادية كانت مفروشه بالرخام الابيض (٣) .

الصناعات الاخرى :

قامت بالمربه إلى جانب صناعة النسيج والسفن وفن النحت على الرخام صناعات أخرى مثل صناعة استخراج الزيت من الزيتون في وادى طبرنش من أعمال المربه (٤) وصناعة التحف المعدنية فقد ذكر المقرئ انه كان يصنع في مدينة المربة أنواع متعددة من آلات الحديد والنحاس (٥) ، كما كشفت الابحاث الأثرية في منطقة المربة عن ثريات معدنية بعضها في حالة جيدة تجت فيها دقة الصناعة وجمال الزخرفة وهى شبيهة بنظائرها فى الفن القبطى والفن الفاطمى (٦) .

(١) - Torres Balbas (Leopoldo) : cementarios hispanomusul-
manas, (al-Andalus , Vol. XXII, 1957 p. 147 - 149;

عن السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ١٦١ .

(٢) المقرئ : نفيع الطيب ، ص ١٨٧ .

(٣) العذري : ترجميع الاحبار ، ص ٨٥ .

(٤) راجع مشاهدات اسان الدين بن الخطيب ، ص ٨٤ .

(٥) المقرئ : نفيع الطيب ، ص ١٨٧ .

(٦) محمد عبد العزيز مرزوق : الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والاندلس ، دار

الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ص ١٧١ .

أما عن التحف المصنوعة من الزجاج فقد ذكر المقرئ أنه كان « يمنع بالمرية ... الزجاج الغريب العجيب وفيخار مذهب » (١) ، والزجاج العجيب هو نوع من الزجاج بشير الاعجاب بدقة صناعته استنادا إلى القطع الزجاجية التي اسفرت عنها الحفائر الأثرية في منطقة المرية ويتجلى فيها جمال التكوين بعضها من لون واحد ، والبعض الآخر متداخل فيه لوان تداخلا ينتزع الاعجاب من كل من يراه وتقوم زخرفة هذا النوع الأخير على إضافة خيوط زجاجية إلى الاناء بلون يختلف عن لون الاناء نفسه ، مما يعطيه شكلا عجيبا (٢) .

ومما ساعد على قيام هذه الصناعات توافر الخامات اللازمة لقيامها بالمرية ، كمعدن الرصاص الذي يتوفر في مدينة برجه من أعمال المرية (٣) ، وفي دلالة أيضا (٤) ، وحجر مشابه لحجر الياقوت بقرية ناشره في أشكال مختلفة والوان زاهية ، ويتميز بتحملة الحرارة النار ، ومعدن القصبة (٥) ، هذا خلاف ما ذكر من معادن خلال حديدنا عن الصناعات .

ثالثا : التجارة

حظيت مدينة المرية منذ قيامها بيزتين نامتين الأولى ، أنها مخزن قاعدة أساسية لاسلطان الاندلسي (٦) ، والثانية أنها كانت مركزا هاما للتجاره

(١) المقرئ : المصدر السابق ١٠٦ ص ١٠٧ .

(٢) مرزوق : المرجع السابق ٢٠٨ ص ٢٠٩ .

(٣) المقرئ : المصدر السابق : ١٠٦ ص ١٠٣ .

(٤) المراكشي : المعجب ٤٤٨ ص ٤٤٨ .

(٥) المقرئ : نفح الطيب ١٠٦ ص ١٣٨ .

(٦) راجع من أهمية المرية كقاعدة الاسلطان الاندلسي ما جاء هنا في بحثنا الفصل

الاول من الباب الاول ٥ ص ٥ ، وما بعدها .

الداخلية والخارجية ، إذ كانت نواة تجارية وصناعية ساعدت على نمو تجارة الدولة الاموية في الاندلس مع موانئ البحر المتوسط ^(١) ، فمن مينائها كانت تبحر السفن إلى شرق البحر المتوسط وإلى العسوة المغربية محملة بخيرات الاندلس ومنتجات مصانعها وتعود محملة بما تحتاجه الدولة الاموية من منتجات هذه البلاد .

ولقد لاحظ ابن غالب الاندلسي أهمية موقع المربة على البحر المتوسط في ازدهار التجارة فقال : « فهي باب الشرق ومنتاح التجارة والرزق » ^(٢) ، كذلك يذكر ابن سعيد نقلا عن الرازي « باب الشرق ومنتاح الرزق » ^(٣) . ومما ساعد على قيام المربة بدورها التجاري أنها كانت تضم بالإضافة الى دار الصناعة قيساريه كان يؤمها التجار ويأمنون فيها على أموالهم ، على نحو

Montañez (Pedro Martinez) : Islam cristiandad en la (١)
economia mediterranea de la baja edad media, (XII)
Congreso Intermacional de ciencias historicos) .
Moscu , 1970, p 10 .

(٢) كتاب فريضة النفس ، ص ٨٣ .

(٣) المغرب ، ص ٣٤ ، ص ١٩٣ ، ولعل الذي نقل عنه ابن سعيد هو موسى بن أحمد ابن محمد بن موسى الرازي ، ثالث المؤرخين من بيت ال الرازي ، الذي وضع كتابا عن تاريخ الاندلس ، والكتاب مفقود الآن ، ويرى الباحث انخل جونثالث بالنتيجة أنه كان يصل بتاريخ الاندلس الى عصر هشام المؤيد ، (راجع تاريخ الذكر الاندلسي ترجمة الدكتور حسين مؤنس ، الطبعة الاولى و مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٥ ص ١٠٨ ، السيد عبد العزيز سالم : التاريخ والمؤرخون العرب ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، الاسكندرية ، ١٩٦٢ ، ص ٢٠١) .

ما كان قائما في كبريات مدن الاندلس كاشبيلية وغرناطة ، ويشير العذري عند تعرضه لذكر القيسارية إلى أهميتها بقوله : « قصد أمن فيها التجار بأموالهم وقصد اليها الناس من أقطارهم » (١) . والقيسارية مجموعة من المباني العامة على هيئة رواق تتفرع منه ازقة وزنقات اتخذت على جوانبها مخازن وحوانيت وقد تقام فيها مساكن أحيانا (٢) . ويشبهها الرحالة ابن جبير بالخان العظيم تغلق عليها ابواب حديد ، وتطيف بها دكاكين وبيوت بعضها على بعض » (٣) .

وإذا كانت القيسارية في المشرق تؤدي وظيفتين في آن واحد ، خزن المتاجر وإيواء النزلاء من التجار علي نحو ما هو معروف في فنادق الاندلس فإن قيساريه الاندلس كانت سوقا تجارية ليخزن ويبيع السلع والمتاجر وعلى الاخص الاقمشة الحريرية . وقد ترتب على وجود القيساريه وما يلحق بها من أسواق ، انتشار المنشآت ذات السمة التجارية كالفنادق وقد كانت الفنادق من الكثرة بالمريه بحيث يذكر الادريسي أن عددها بلغ في عصر المرابطين تسعمائه وسبعون فندقا (٤) . حقيقة أن هذا العدد الكبير يتعلق بالمريه في فترة

(١) ترصيع الاخبار ، ص ٢٠٠ .

(٢) انظر مادة قيساريه في دائرة المعارف الاسلاميه .

(٣) ابن جبير : رحله ابن جبير ، ص ٢٤١ .

(٤) الادريسي : صفة المغرب ، ص ١٩٨ ؛ في الواقع انه من الصعوبة بمكان فصل الدراسة الحضارية للمريه حتى دخول المرابطين الاندلس على نحو ما حددناه في عنوانين البحث اذ ان التطور الحضاري لا يطابق الاحداث التاريخية زمنا . لهذا كان اعتمادنا على بعض النصوص التأخره عن موضوع الدراسة ضروريا لا نظاء صورة متكاملة لهذه الدراسة .

مارا بالاهواز ، ثم الى كرمان والهند والصين (١) .

ومن الجدير بالذكر ان عظمة المريه كمرکز تجارى هام بدأت منذ سقوط الخلافة الاموية بالاندلس وقيام دويلات الطوائف ومما يؤيد هذا الرأى ما ذكره المقرئ من أن المعتمد بن عباد اعطى ابا عبد الله بن ابراهيم مبلغا من المال ليتعيش به ، فلم يجد هذا الرجل افضل من استغلال هذا المبلغ فى التجارة فانصرف الى المريه التى كان يعجبه سكنها والتجارة بها ذلك « لكونها مينا لمراكب التجار من مسلم وكافر فاشتغل فيها بالتجارة ، وجنى منها ثروة كبيرة » (٢) ، وكذلك اشارة الادريسي بقوله : « ولم يكن بالاندلس كلها أيسر من أهلها (أهل المريه) مالا ، ولا أبحر منهم فى الصناعات وأصناف التجارات تصريفها وادخارها ، والمدينة فى ذاتها مدينة كبيرة كثيرة التجارات والمسافرون اليها كثيرون ولم يكن فى بلاد الاندلس أحضر من أهلها نقدا ولا أوسع منهم أحوالا » (٣) .

ولابد ان فى أن الفضل الاعظم فيها جناته أهل المريه من ثروات طائلة انما يرجع الى اشتغالهم فى التجارة ، وإلى نشاط حركتها التجارية مع الشرق ، فقد كانت مقصد مراكب التجار من الاسكندرية وجميع مدن الشام (٤) ومحط للسفن ودارا للتجار والمسافرين (٥) . ويؤكد نشاط حركة

(١) ابن خرد ذابه : المسالك والممالك ، ص ١٥٤ .

(٢) المقرئ : تنقيح الطيب ، ص ١١٠ .

(٣) صفة الغرب ، ص ١١٧ ، ص ١٩٨ .

(٤) صفة المغرب ، ص ١١٧ : راجع ايضا ، الحميرى : الروض المطار ، ص ١٨٤ .

(٥) السقطى (ابو عبد الله محمد بن ابى محمد اللاتى) : كتاب آداب الحسبة ، ص ٢٠٠ .

فيجتيق ليني بروفسال وكولان ، باريس ١٩٢١ ، ص ٥٠ .

الصادر والوارد بالمريه في قوله : « منها (أى المريه) يركب التجار ، وفيها تحمل مراكب التجار ، وفيها مرفأ للسفن والمراكب » (١) . ويفهم من نص ياقوت أنه كانت هناك حركة صادرات تجارية من المريه إلى مختلف موانئ البحر المتوسط وكذا حركة واردات تجارية إليها من تلك الموانئ .

وينبغي أن نقر بأن النصوص التاريخية العربية سواء المعاصرة للاحداث أو المتأخرة ، قد ذودتنا في الواقع بما يكفي من الأخبار لالقاء بعض الضوء على صادرات الاندلس و واردتها سواء ما يتعلق بالمحاصيل الزراعية أو ما له صلة بالمنتجات الصناعية ، فابن حوقل يذكر أن « بالاندلس غير طرز يرد إلى مصر متاعه وربما حمل منه شيء إلى أقاصى خراسان وغيرها » (٢) ، ويضيف في موضع آخر فأما أرديتهم المعمولة بجاناه فتحمل إلى مصر ومكة واليمن وغيرها » (٣) .

ومن المحاصيل والمنتجات الصناعية التي كانت تصدر من المريه إلى بلاد الشرق الوشى صناعة المريه (٤) والزجاج والفخار المزجج والزليجي (٥) ، والبسط التتلية صناعة مرسية وكانت من السلع التي يغالى في ثمنها بالشرق ، والعنبر الذي كان يحمل إلى مصر وتباع أوقيته بعشرين ديناراً ، والجنيد الطه

(١) معجم البلدان ، المجلد الخامس ، ص ١١٠ ، ص ١٨ .
Al-Karim (Gamal) , Op. cit., 134 .

(٢) ابن حوقل : صورة الارض ، ص ١٠٥ ، ص ١٠٦ .

(٣) نفس المصدر ، ص ١٠٩ .

(٤) الضبي : بغية الملتصق ، ص ٤٦٨ ، القرى : نفح الطيب ، ص ٢٠٧ .

(٥) القرى : المصدر السابق ، ص ١٤٥ ، ص ١٨٧ .

وحجر المرقيشينا الذهبية ومعدن الزئبق يحمل إلى جميع الافاق (١) ، وحمص المريه الذى يشبه الدرقى رونقه بالوانه العجيبه (٢) ، كما كانت تحمل من مرسية الاسيرة المرسعة والحصر الفتانه الصنعه كالات الصفر والحديد من السكاكين والامقاص المذهبه وغير ذلك من الات العروس والجندي ما يبهر العقل كلها تجهز وتصدر إلى بلاد أفريقية وغيرها (٣) . وأهم ما كانت تصدره المريه من منتجاتها المنسوجات الحريرية التى كانت لها سوق نافعة فى المشرق الاسلامي . أما المحاصيل والمنتجات الصناعية التى كان يستوردها أهل الأندلس من الشرق فأهمها القمح الذى تحمله المراكب من تنس إلى سواحل الاندلس (٤) ، والعبور جميع أصنافها ما عدا الزعفران والعنبر من أرض الهند (٥) ، والرخام من قرطاجنه وأفريقية وتونس ومن بلاد الافرنج (٦) .

ولم تقتصر العلاقات التجارية بين المريه و ثغور المشرق الاسلامي فحسب بل تجاوزتها الى الجمهوريات الايطاليه مثل جنوة و فيزا (٧) .

١) القرى : تقع الطيب ١٠٠٠ ١٢٧ ١٢٨ ١٢٩

(٢) نقص المصدر ٤٠١ هـ ١٨٧٠ م ٤٤٠ هـ ٢٠٧٠ م وكان يجعل الى البلاد
ويستخدمه الناس لتبريد مياههم فيضعونه في البراريد وكيزان الماء (راجع
ايضا : السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة الربية الاسلامية ١٦٣ هـ
٣) .

(٣) القرى : المصدر السابق ١٠٦ ص ١٨٢

(١) ابن - سعيد المغربي : كتاب الجغرافيا ، ص ١٤٢ .

(٥) الم ترى في المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٣٩ .

(٦) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ١٠٤ .

И у д ; О р . ц и т . т . II , р . 725 .

الفصل الثالث

الحركة العلمية

أولاً : الحركة الأدبية واللغوية

بلغت الدولة الأموية في الأندلس أوج مجدها الحضاري في عصر الخلافة الذي يشمل عهد الخليفة الناصر وولده الحكم المستنصر ، ثم عهد الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر ولما انتهت الخلافة الأموية وسارت الفوضى انحاء الأندلس في أعقاب الفتن ، أخذت شمس الأندلس تنحدر نحو المغيب مؤذنة بقيام دويلات الطوائف .

وعلى الرغم من التفكك السياسي الذي طرأ على البلاد وما ترتب عليه من فتن واضطرابات وحروب أهلية ، ومنازعات بين مختلف هذه الدويلات ، فقد سطعت شمس الشعر والأدب ، وبلغ النشاط الأدبي مذاهاً وتنافس ملوك الطوائف في اقتناء فحول الشعراء والكتّاب ، وبالغوا في اجتذابهم إلى حواضرهم بالهبات القيمة ، فارتقت دولة الأدب في الأندلس وازدهرت ازدهاراً لم تشهده من قبل^(١) ، وأصبحت قصور قرطبة وأشبيلية المريّة وبطايوس منتديات لأهل الشعر والأدب ، ولم يقتصر الأمر على ذلك فقد صيحب هذه النهضة الأدبية نهضة فنية غنائية لا نظير لها من قبل ، عندما تنافس ملوك الطوائف في اجتلاب حذاق الغناء إلى حواضرهم^(٢) ، ويذكر الشقندي في رسالته : « ولم تزل الشعراء تهادى بينهم تهادى النواسم بين الرياض ، وتفتك في أموالهم

(١) أنخل جوناك بالثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ١٣ .

(٢) السيد عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس ، ص ١٠٠ .

فتلك البراض ، حتى أن أحد شعرائهم بلغ به مارآه من منافستهم في امداحه أن حلف أن لا يمدح أحدا منهم بقصيدة الالبماثه دينار ^(١) . وبذلك تحولت عواصم الاندلس الى بغدادات صغيرة كثيرة ^(٢) ، اضيف الى ذلك كله ماساد هذا العصر من روح الاسراف والبذخ والاجرام السافر الذي لا يتورع عن شيء من المطامع والنزوات الى الخناجر والسموم ^(٣) .

ولم تكن المواد بعيدة عن هذه الحركة الادبية المباركة ، فكانت من بين دول الطوائف التي ازدهرت فيها العلوم والاداب ، وبلغت أوج ازدهارها الادبي في عصر المعتصم بن صمادح الذي يعتبر بحق العصر الذهبي للعلوم والاداب وذلك بفضل تشجيعه وبذله للمال ، ولعل أبلغ وصف في ذلك قول الفتح بن خاقان يمتدحه « ملك اقام سوق المعارف على ساقها ، وأبدع في انتظامها وأتساقها واوضح رسمها ، وأنت في جبين أوانه رسمها ، ولم تخل ايامه من مناظرة ، ولا عمرت الا بمذاكرة بمناظرة » ^(٤) .

وهكذا ازدهرت الحياة الادبية في المريه بفضل ملكها المعتصم وبفضل أدبائها البارزين أمثال الوزير الكاتب أبو العباس أحمد بن زكريا ، وأبو الحسن مختار عبد الرحمن بن سهر الرعيني ، وأحمد بن ادهم ، وأحمد بن قاسم النحوي المعروف بابن الاديب ، وإبراهيم بن أحمد بن محمد بن اسود الغساني ، ومحمد بن محمد بن الحسن الزبيدي ، وأبو عبد الله بن عبادة المعروف بابن القزاز .

(١) القرى : فتح الطيب ، ٤ ، ص ١٨٠ .

(٢) غارسيا غوميث : الشعر الاندلسي ، ترجمة الدكتور حسين مؤنس ، الطبعة الثانية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٦ ، ص ٤٤ .

(٣) غارسيا غوميث : نفس المرجع ، ص ٤٤ .

(٤) ابن سعيد ، المغرب ، ٢ ، ص ١٩٦ ، ص ١٩٧ .

واعظم ادباء هذا العصر جميعا الوزير الكاتب ابو العباس احمد بن زكريا
ويكنى ابا جعفر ، كان عليما بفنون الادب ، قديرا على التعبير عن ارائه في سر
ورقة ، تمتع بشهرة فائقة ، بجانب مهارته في الخطابة ، وتبحره في الفقه ،
مقتبسا للشعر من غير طبع فيه (١) . ومما ساعد على تبوئه هذه المكانة الادبية
السامية هوايته لجمع الكتب فيقال ان مكتبته كانت تزيد على اربعمائة الف
مجلد كامل عدا الاوراق والكراسات المنفصلة (٢) . وعلى الرغم من المواهب
المتعددة التي تميز بها . الا انه اتصف بالكبرياء والغرور والعجب بنفسه لدرجة
انه عند زيارته لقرطبة مع زهير العامري واجه اديب قرطبه ابا عامر بن شهيد
بكل احتقار وازدراء ، وذم اهل قرطبة عندما سئل عنهم بقوله : « ما رأيت
بقرطبة الا سائلا او جاهلا » (٣)

ومن مشهور شعره ايات كان يرددها في كل مجلس وعند كل مناسبة ،
وبخاصة في اوقات لعبه الشطرنج :

عيون الحوادث عني نيام وهضمي على الدهر شيء حرام
وذاع هذا البيت عند الناس ، فاستنكروه ، الى حد ان بعض الشعراء

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ٢ ، ص ١٢٥ ، وأنظر أيضا ، ابن الخطيب ،
الإحاطة ، ١ ، ص ٢٦٧ ، دوزي : ملوك الطوائف ، ترجمه الاستاذ كامل
كيلاني ، ص ١٧ ، ٢٨ .

(٢) خوليان ريبيرا : المكتبات وهواة الكتب في أسبانيا ، ترجمة الدكتور جمال
محرز ، مجلة معهد المخطوطات العربية . ، المجلد الخامس ، الجزء الأول ، مايو ١٩٥٩
ص ٨٠ .

(٣) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ٢ ، ١٧٦ ، وراجع أيضا ، أنجيل جونتال
بالنتيا : تاريخ الفسكرا الاندلسي ، ص ١٠٩ .

قلب مصر اعه الذبح فقال .

سيوقظها قدر لا ينال (١) .

وقد انتهى امر ابن عباس بوقوعه أسيراً في قبضة باديس بن حبوس صاحب غرقاطه الذي قتله بيده في ٢١ ذى الحجة ٤٢٧ هـ (١٠٣٥ م) (٢) .
أما أبو الحسن مختار بن عبد الرحمن بن سهر الرعيني (٣) ، الذي تولى قضاء المروية في عهد زهير العامري ، فقد كان جامعاً لفنون العلم والمعرفة ، وتمكن فيها ، وتميز أسلوبه بالسلاسة والعدوابة ، وكان الرعيني شخصية قوية تعزز بنفسها ويقال ان زهير ملك المروية استدعاه يوماً من مجلس حكمه ، فجاءه يمشى على مهل ، فاستعجله رسول زهير ، فلم يصرع في مشيته ، فلما دخل مجلس زهير قال له : « يافقيه ما هذا البطء ؟ فتأخر الى باب المجلس ، وطلب عصا ، وشمز ثيابه ، فقال له زهير : ما هذا ؟ قال هذا يليق باستعجال الحبايب لي ، فضحك زهير واستحلاه ولم يعد الى استعجاله » (٤) . وبالإضافة الى ملكته الادبية فقد كان شاعراً مطبوعاً ، وتغلب على شعره روح السخرية فيذكر ان دخل ذات يوم حماماً وكان يجلس بازائه عامي اساء اليه الادب ، فقال الرعيني :

الا لعن الحمام داراً فانه سواء به ذو العلم والجهل في القدر

(١) ابن الخطيب : الاحاطة ، ١٠ ، ص ٢٦٩ ، وأنظراً يضا دوزي : ملوك الطوائف

ص ٤٩ ، بالنتيا : تاريخ الفسك الاندلسي ، ص ١١٠ .

(٢) ابن الخطيب : المصدر السابق ، ١٠ ، ص ٢١٨ .

(٣) ابن بشكوال : مكتاب الصلة ، القسم الثاني ، ص ٦٢٤ ، ٦٢٥ ، ابن سعيد :

المغرب ، ٢ ، ص ١٧ .

(٤) المقري نفع الطيب ، ١٠ ، ص ٢٥٢ .

تضييع بة الاداب حتى كانها مصاييح لم تنفق على طاعة الفجر (١)

وتوفي الرعينى بقرطبه سنة خمس وثلاثين واربعائه (١٠٤٣ م) (٢).
ومن ادباء المرية ايضا أحمد بن ادهم مرلى بنى مروان ويكنى
ابا بكر ، اصله من حيان ، وسكن قرطبه ، وذكر ابن حيان انه ولى القضاء
بالمرية لخيران العامرى وكان متمكنا فى الفقه غزيرا فى الادب ، صائبا فى
حكمه ، وتوفى فى ذى القعدة سنة ٤٢٩ هـ (١٠٣٧ م) (٣).

وكان أحمد بن قاسم النحوى المعروف بابن الاديب ، من اهل العلم
والادب بقرطبه ثم نزل بالمريه وأستقر بها ، وكف بصره فى حداثة سنه ،
وتوفى بالمريه فى سنة ٤٤٢ هـ (١٠٤٠ م) (٤).

وكان ابراهيم بن احمد بن محمد بن اسود الغسانى ، وهو من أهل بجانه
من المهتمين بالعلم متصفا بالصلاح والفهم والتواضع ، وتوفى سنه ٤٦٧ هـ
(١٠٧٤ م) (٥).

ومن اعلام الادب وعلوم اللغة فى المريه ايضا ، محمد بن محمد بن الحسن
الزبيدى ، الاديب النحوى ، وكان من اهل الادب والرياسة ، وقداهلتة هذه
الصفات لتواى القضاء بها (٦) ، والف فى النحو كتابا سماه « الواضح »

(١) المقرئ نفع الطيب ، ج ٤ ، ص ٣٥٢ .

(٢) ابن بشكوال : صكتاب العلم ، القسم الثانى ، ص ٦١٥ .

(٣) ابن الابار : التكملة لكتاب العلم ، ج ١ ، ص ٤٠ ، ٤١ ، « ترجمة ١١٥ » .

(٤) ابن بشكوال : المصدر السابق ، القسم الاول من ٥٢ « ترجمة ١١٠ » .

(٥) نفس المصدر ، ص ٩٦ ، « ترجمة ٢١٥ » .

(٦) الجيديد « أبو عبد الله محمد بن ابي نصر قنوح بن عبد الله الازدى » : جلدوة

المقتبس فى ذكر ولاية الاندلس ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦ ص ٣٨ .

واختصر كتاب العين للخليل بن احمد اختصارا حسنا (١) .

ومن مشاهير الادباء في عصر بني صهاح ابو عبد الله محمد بن عبادة المعروف بالقزاز ، وكان من بيت كتابه ونباهه (٢) ، وبجانب براعته في النثر برع ايضا في الشعر والموشحات التي كثر استعمالها عند اهل الاندلس (٣) ، ومن شعره في ابن صهاح قوله :

ولو لم اكن عبدا لآل صهاح وفي ارضهم اصلي وعيشي ومولدي
لما كان لي الا اليهم ترحل وفي ظلمهم أمسى وأضحى وأغتدى (٤)
ومن قصيده أخرى يمدح فيها المعتصم قوله :

نفي الحب عن مقلتي السكري كما قد نفي عن يدي العدم
فقد قر حبك في خاطري كما قرني راحتك الكرم (٥)

وكان للشعراء عند المعتصم بن صهاح بوجه خاص سوق نافقه ، فقد قصده كبار شعراء هذا العصر ، واحاط نفسه بطائفة من فحول الشعراء اصفوا على دولته - رغم صغرها - مظهرا من الفخامة والعظمة (٦) .
ومن أعظم هؤلاء الشعراء الذين قصدوا المريه في عهد خيران العامري ،

(١) الضي : بغية الملتقى ، ص ٦٦ ، القرى ، نفح الطيب ، ص ٥٠ ، ص ٢٤ .

(٢) ابن الابار : التكله لكتاب الصله ، ص ٣٩٢ ، ترجمة (١٠٩٩) .

(٣) ابن سعيد : المغرب ، ص ٢٢ ، ص ١٣٦ ، ١٣٧ .

(٤) القرى : نفح الطيب ، ص ٤٤ ، ص ٢٨٠ .

(٥) نفس المصدر ، ص ٥٠ ، ص ٢٤١ .

(٦) أنجل جوثات بالنتيا : تاريخ الفكر الاندلسي ، ص ١١٠ ، السيد عبد العزيز

سالم : تاريخ مدينة المريه الاسلاميه ، ص ١٧٦ .

الشاعر أبو عمر أحمد بن دراج القسطلی^(١) الذي تمتع بشهره فائقه في نظم الشعر فكان بين جلة العلماء والمقدمين من الشعراء^(٢) ، ويصفه الثعالبي في كتاب اليتيمه بقوله : « هو بالصقع الاندلسي كالمتنبى بصقع الشام »^(٣) . وذكره ابن حيان بقوله : « سباق حبه الشعراء العامرين وخاتمة محسنى أهل الاندلس أجمعين »^(٤) . وينم شعر القسطلی عن مجموع علمه وعلى منهجه في البلاغه والرسائل مما يدل على سعه إطلاعه وتمكنه^(٥) . ويذكر الحميدى انه سمع « أبا محمد على بن احمد ، وكان عالما بنقد الشعر يقول : لو قلت انه لم يكن بالاندلس أشعر من ابن دراج لم أبعد ، وقال مرة أخرى : لو لم يكن لنا من فحول الشعراء الا احمد بن دراج لما تأخر عن شأو » حبيب

١ ابن سعيد : المغرب ، ٢٠ ، ص ٦٠ ، من تسطله دراج من اعمال حياته ، (تنس المصدر والجزء والصفحة) .

٢ الحميدى : جنوده المقتبس في ذكر ولاء الاندلس ، ص ١١٠ ، وانظر ايضا ، ابن بشكوال : كتاب العله ، ٩ ، ص ١٠ ، الضبي ، بغية الملتبس ، ص ١٥٨ ، ابن بسام الذخيرة ، ق ١ ، م ١ ، ص ٤٣ .

٣ الثعالبي (ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل النيسابوري) : يتيمة الدهر في محاسن أهل مصر ، ٢ ، تحقيق الشيخ محمد عيسى الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية ، الطبعة الثانية ، ١٩٥٦ ، القاهرة ، ص ١٠٤ ، وانظر ايضا : ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ١ ، ص ٤٤ ، ابن سعيد : المصدر السابق ، ص ٦ ، المقرئ : نفع الطيب ، ٤ ، ص ١٨٤ .

٤ ابن بسام : المصدر السابق ق ١ ، م ١ ، ص ٤٤ .

٥ الحميدى : المصدر السابق ، ص ١١٠ ، راجع ايضا ، ابن بشكوال المصدر السابق ص ٤٠ ، الضبي المصدر السابق ، ص ١٥٨ .

والمتنبى « (١) ويشبهه المستشرق الاسباني الاستاذ غريسيه جومث بالشاعر الاسباني جنجرا وذلك في تعقيده عن الفهم (٢).

ومن المعروف ان ابن دراج القسطلى لم يجد بدا في زمن الفتن بعد أن ضاقت به الحال من ان يضرب في مناكب شبه الجزيرة بحثا عن مستقر جديد وخرج فعلا من قرطبة واخذ يحول في أنحاء الاندلس من ملك الى ملك ومن أمير إلى أمير مما عبر عنه ابن حيان : قائلا « فاستقرى ملوكها أجمعين ما بين الجزيرة الخضراء فسرقسطة من الثغر الأعلى يهز كلا بمديحة » (٣). وكان خير ان العامرى صاحب المرية ممن مدحهم ابن دراج ، اذ مدحه بقصيده طارت شهرتها فى المشرق والمغرب ، وهو متوجة الى سرقسطة سنة ٤٧٠ هـ (١٠١٦ م) ومنها :

لك الخير قد أوفي بعهدك خيران وبشراك ، قد آواك عز وسلطان (٤)
وتعتبر هذه القصيدة من أجل ما نظم ابن دراج وأصدقه ، أما خيران

(١) الحميدى : جذوه المتنبى ، ص ١١٣ ، ص ١١٤ ، وراجع ايضا ، ابن بشكوال : المله ج ١ ، ص ٢٤٠ ، المتنبى : بنية المتنبى ، ص ١٦١ .

(٢) الشعر الاندلسى ، ص ٢٨ ، وراجع ايضا ، انجل جوثالث بالثيا : تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٦٦ .

(٣) ابن بسام : الذخيرة : ق ١ ، م ١ ، ص ٤٤ ، وعن ابن دراج ايضا ، راجع الدراسة الرائعة التى عقدها الدكتور محمود على مكى فى مقدمه ديوان ابن دراج ، (ديوان ابن دراج القسطلى ، المقدمة) .

(٤) ديوان ابن دراج ، ص ٦٨ ، راجع ايضا ، ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ١ ، ص ٤٥ ، ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، : القسم الخامس بالاندلس ، ص ٢١٣ .

فلم يكافئ ابن دراج على ما نظمته في مدحه بجائزه مجزيه (١) .

ومن مشاهير شعراء المعتصم بن صمادح ، أبو الفضل جعفر بن أبي عبد الله ابن شرق البرجي ، وله توالييف في الامثال والاخبار والاداب والاشعار (٢) ولكنة ينزع عادة نحو الفلسفة (٣) ، ولذلك عرف بالحكيم الفياسوف (٤) ، واشتهر بمدح المعتصم بن صمادح ، ومما مدحه به قوله :

لم يبق في الجود في أيامكم اثر الا الذي في عيون الغيد من حرر (٥)
وممن اتصل بالمعتصم من الشعراء أبو عبد الله بن الحداد وأبو حنص بن الشهيد ، اما أبو عبد الله بن الحداد واهله من وادي آش وسكن المريه ، فقد ارتفعت منزلته عند المعتصم إلى حد أن اسند اليه الوزارة ، وكان من الطبيعي ان ينظم ابن الحداد جل شعره في مدح بني صمادح ارباب نعمته ، ومن مدائحه للمعتصم قوله :

لعلك بالوادي المقدس شاطيء فكالعنبر الهندى ما انا واطيء
ولى في السرى من نارهم ومناهم جواد هواء والنجوم طوافيء (٦)

(١) الحميدى : جنود القيس ، ص ٢٩٤ (ترجمه ٩٣٠) .

(٢) ابن بشكوال : كتاب الصلة ، ص ١٢٥ ، ص ١٣١ ، ابن بسام : الاخير ، ص القسم الثالث مخطوط ، لوحة ٢٧٤ ، ابن سعيد : المغرب ، ص ٢ ، ص ٢٣٠ ، ص ٢٣١ .

(٣) غارسيا ثوبيث : الشعر الاندلسى ، ص ٥٢ .

(٤) آنخل جوثالث بالانثيا : تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ١١ .

(٥) ابن سعيد : المصدر السابق ، ص ٢ ، ص ٢٣٢ .

(٦) ابن بسام : الاخير ، ص ١ ، ص ٣ ، ص ٢٠٢ ، ابن سعيد : المصدر السابق ، ص ٢٠٢ .

واحِب ابن الحداد صبيبه نصرانية تدعى نويرة قال فيها شعرا ينم عن عاطفه مشبوهه (١) ، وكذا استمرت حبائل الود ممتده بينه وبين المعتصم فيره من الزمان الى ان تغير قاب المعتصم عليه فأقصاه عنه ذلك لان ابن الحداد رماه بالبخل ، فأثر ابن الحداد الرحيل عن المريه حتى لا يتعرض لسخطه ومقتته ، فسار الى سرقسطه في سنة ٤٦١ هـ (١٠٦١ م) ، واقام بها في كنف المقتدر بن هود ، وكانت تنتاب ابن الحداد بين الحين والحين حالات من اليأس والتشاؤم فيتحدث عن الزهد والاعتزال (٢) ، ويتمثل ذلك في بيتين من شعره انشدهما عند خروجه من المريه :

لزمت قناعي وقعدت عنهم فلست ارى الوزير ولا الاميرا
وكنيت محير اشعاري سفاها فمعدت للفلسفياتي مميرا (٣)

وام يهنأ ابن الحداد في حياته الجديدة بسرقسطه فقد كان ما يزال متعلقا بصديقه ابن عبيداح فام يلبث ان عاد الى المريه بعد ان صفح عنه المعتصم وتوفي بها في سنة ٤٨٠ هـ (١٠٨٠ م) (٤) من آثاره ديوان شعر كبير مدون على حروف المعجم ، وكتاب في العروض سماه بالمستنبط (٥) ، وقال ابن

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ م ٢ ص ٢٠٢ .

(٢) انخل جونثالث بالثيا : تاريخ الفكر الاندلسي ، ص ١١٢ .

(٣) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ م ٢ ص ٢٠١ .

(٤) ابن الابار : التكملة لكتاب الصلاة ، ص ٣٦٩ .

(٥) ابن بسام : المصدر السابق ، ق ١ م ٢ ص ١٠١ ، ابن الابار : المصدر

السابق ص ٣٩٨ ، ابن سعيد : المغرب ، ص ٢ ، ص ١٤٣ ، ص ١٤٤ ، الكي

(محمد بن شاذكر بن احمد) : فوات الوفيات ، تحقيق الشيخ محمد محي الدين

عبد الحميد ، ص ٢ ، مطبعة السعادة ، بمصر ، ١٩٥٠ ، ص ٣٤١ .

بسام فية « ترى العلم ينم على أشعاره ويتبين في منازعه وآثاره ، وله في العروض تأليف ، وتصنيف مشهور معروف » (١) .

أما الشاعر أبو حنص بن الشهيد ، فكان أرس النظم والنثر (٢) ، أنشد قصائده كثيرة في مدح المعتصم ، من ذلك قوله :

سبـط الـيـدـين كأن كل غـمـامه قد رـكـبت في راحـتيـه أـمـامـه

لـاعـيش الـا حـيـث كـنت وائـمـا تـمـضـى لـيـال العـمر بـعدك باطـلا (٣)

وفي بلاط ابن صبادح عاش أبو عبد الله البكري الجعفي الشاعر فترة من الزمن حظى فيها بالرعاية ، واصطفاه المعتصم وأثر مجالسته ورفع مرتبته (٤) ، وكان شاعرا فذا له شعر كثير وخمريات تدور حول ميله الى ملذات الحياة ، فمن ذلك قوله :

خـليـلى انـي قد طـرـبت الـى الكـأس و تـقـت الـى شـم البـنـفسـج والـآس

فـقـومـوا بـنا تـاهـو ونـسـتـمع الغـناء أنـسـرق هـذا الـيـوم سـرا مـن النـاس (٥)

ومن الشعراء الذين اجتذبهم المعتصم بهباته أبو القاسم اسعد الذي مدح المعتصم بقصيده منها :

اذا سار سار الجود تحت لوائه فليس يحط المجد الا اذا حطا (٦)

(١) ابن بسام : المصدر السابق ، ق ١ م ٢ ص ٢٠١ .

(٢) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ م ٢ ص ٢٣٩ ، راجع أيضا ، ابن عذاري :

البيان المغرب ، ص ٣١٧٥ ، ابن عبيد : المغرب ، ص ٢٠٩ ، ابن

الخطيب : أعمال الأعلام ، القسم الخاص بالاندلس ، ص ١٩٠ .

(٣) ابن سعيد : المصدر السابق ، ص ٣٠٩ .

(٤) ابن الأبار : الحلة السيرة ، ص ١٨٦ .

(٥) نفس المصدر والجزء ، ص ١٨٧ .

(٦) المقرئ : نفح الطيب ، ص ٢٣٩ .

ومنهم الشاعر أبو القاسم خلف بن فرج الالبيري المعروف بالسميسر ،
وكان من أعظم شعراء البيرة في عصر الطوائف ، امتاز بين معاصريه من
الشعراء بالهجاء (١) وبالسخرية اللاذعة (٢) . وفيه يقول ابن بسام : « كان
باقعة عصره واعجوبة دهره . . . له طبع حسن ، وتصرف مستحسن ،
في مقطوعات الايات ، وخاعيه اذا هجا وقدح » (٣) ، ومن أمثلة شعره في
هجاء المعتصم ومدينة المريه قوله :

بش دار المريه اليوم دارا ليس فيها لساكن مايجب
بلده لا تمار الا بريح ربما قد تهب أو لاتهب (٤)
وقوله :

قالوا المريه فيها نظافة قلت ايه
كانها طست تبر ويبعق الدم فيه (٥)
وقد ألف كتابا سماه « شفاء الامراض في انتهاك الاعراض » (٦) .
ومن الوافدين على المريه من شعراء الاندلس الشاعر أبو الحسن جعفر
ابن الحاج ، أحد فيحول شعراء عصره ، وتميز على غيره بميله الى الزهد (٧) ،

-
- (١) ابن سعيد : المغرب ٢ ص ١٠٠ .
(٢) خارسيان قوميت : الشعر الاندلسي ص ١٠٠ .
(٣) ابن بسام : الذخيرة ٢ ق ١ م ٢ ص ٢١٢ .
(٤) ابن بسام : الذخيرة ٢ ق ١ م ٢ ص ٢١٢ ، وأنظر أيضا القرى : نفع
الطبيب ٢ ص ٣٦٠ .
(٥) ابن بسام : المصدر السابق والصفحة ، القرى : المصدر السابق والصفحة .
(٦) أنخل جونثاك بالثيا : تاريخ الفكر الاندلسي ، ص ١١٣ .
(٧) الضبي : بغية المائس ، ص ٢٥٧ ، « ترجمه ٦١٦ » .

وقد وصفه ابن سعيد بقوله : « اختار تعب النسك على تلك الراحة » (١) .
وقال من خمسة يرثي فيها ابن صمادح ، ويندب الاندلس زمن الفتنه منها :

تنتحب الدنيا على ابن مهن كأنها تكلى أصيبت بابن
أكرم مأمول ولا استثنى اثني بعماء ولا اثني

والروض لا ينكر معروف المطر (٢)

ولدينا أسماء عديدة من شعراء الاندلس العظام قصدوا ابن صمادح بالمريه
فخص بالذكر منهم أبو بكر بن عمار ، وكان له حظ من الأدب (٣) ،
وأبو الوليد النحلي البطليوس (٤) ، والأسعد بن ابراهيم بن بليطه ، الذي
يصفه ابن بسام بانه « فارس جحفل ، وشاعر محفل » (٥) ، وأبو عبد الله
محمد بن معمر المالكي المعروف بابن أخت غانم ، وكان يقول الشعر في سر
ذو حافظة نادره بجانب ولعه بكتب النحو والفقه والشريعة والطب (٦) .

وكان المعتصم نفسه شاعرا مطبوعا نسبت إليه أشعار كثيرة ، وكان بنوه
أيضا من الشعراء المجيدين . ومن أبناء المعتصم الشعراء ، رفيع الدولة وأبو
جعفر أحمد وعز الدولة ، واختهم الزجاله ام الكرام .

فأما رفيع الدولة أبو يحيى بن المعتصم بن صمادح ، فقد وصفه الحجاري بانه :

(١) ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ ، ص ١٧٧ .

(٢) المقري : تنج الطيب ، ج ٥ ، ص ٢٤٢ ، ٢٤٣ .

(٣) ابن سعيد : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٢٩ .

(٤) أنخل جوثاكت بالانثيا : تاريخ الفكر الاندلسي ، ص ١١٢ .

(٥) ابن سعيد : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٧ .

(٦) أنخل جوثاكت بالانثيا : المرجع السابق ص ١١١ ، وغانم خاله المنسوب اليه هو

الإمام العالم غانم الخزومي ، (المقري : المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٦٧) .

« فرع زاك من تلك الشجرة الكريمة، وعارض جود من صوب ملك الديمة »^(١)
ومن شعر ربيع الدولة قوله :

لئن منعوا عني زيارة طيفهم ولم الف في تلك الطلول مقيلا
فما منعوا ريح الصبا سوق عرفهم وقد بكرت تندى على بليلا^(٢)
ومن شعر أبي جعفر احمد قوله :

اتي بالبدر من فوق القصيب فطارت نحوه طير القلوب^(٣)
ومن قول أخيه عز الدولة أبو مروان عبد الله بن المعتصم ، يخاطب أباه
من محبسه :^(٤)

أبعد السنا والمعالي خمول وبعد ركوب المذاكي كبول ؟
ومن بعد ما كنت حرا عزيزا انا اليوم عبد اسير ذليل ؟
حالت رسولا بغرناطة فخل بها بي خطب جليل
وثقت إذ جثتها مرسلا وقد كان يكرم قبلي الرسول
فقدت المرية ، اكرم بها فما للوصول اليها سبيل
فرأبجه أبوه :

عزيزي على ، ونوحى ذليل على ما قاسى ، ودمعى يسيل
لقطعت البيض أغصانها وشقت بنود وناحت طبول
لئن كنت يعقوب في حزنه ويوسف انت ، فصبر جميل^(٥)

(١) ابن سعيد : الغرب ٢ - ٢ ص ١٩٩ « ترجمة ١٨١ » .

(٢) ابن الأبار : الحلة السيرة ٢ - ٢ ص ٩٥ وأنظر أيضا ابن سعيد : المصدر

السابق ٢ - ٢ ص ٢٠٠ .

(٣) ابن سعيد : نفس المصدر ٢ - ٢ ص ٢٠٠ .

(٤) كان رسولا لايه الى ابن تاشفين ، فأمر هذا باعتقاله « راجع مذكرات الأمير

عبد الله ص ١٦٧ ابن الأبار : الحلة السيرة ٢ - ٢ ص ٨٨ ٨٩ »

(٥) ابن الأبار الحلة السيرة ٢ - ٢ ص ٨٨ ٨٩ .

شاعرات المريه:

ولم يقتصر نظم الشعر على الشعراء ، بل نظمها ايضا شاعرات عشن في عصر المريه الذهبي في ظل بني صمادح ، وفي خلال يقظته الادبيه ونهضته الشعرية (١) ، ومن شاعرات المريه : الغسانيه البجانيه ، وزينب المريه ، وغابه المنى ، وام الكرام بنت المعتصم بن صمادح .

الغسانيه البجانيه :

عاشت في بجانها من عمل المريه في القرن الخامس الهجري (٢) ، واتسم شعرها بالاصالة والعمق (٣) ، ومن نظمها في الغزل وشكوى الفراق :

اتجزع ان قالوا سترحل اظغان وكيف تطيق الصبر ويحك اذ بانوا
فما بعد الا الموت عند رحيلهم والا فصبر مثل صبر واحزان (٤)

زينب المريه :

وهي مثل سابقتها من الحرائر ، قدمت شعرا ناضجا كل النضوج نابضا بالحياة صافي الاسلوب في غير عصر ، صادق الحب في غير خفاء (٥) ، ومن نظمها :

يا أيها الراكب الغادي لطينه عرج انبتك عن بعض الذي أجرد

(١) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المريه الاسلاميه ٧٤٦ وما يليها .

(٢) ابن سعيد : الغرب ٤ - ٢ ص ١٩٢ .

(٣) مصطفى الشكعة : مسود من الادب الاندلسي ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٧١ ص ١١٥ .

(٤) ابن سعيد : المصدر السابق ٤ - ٢ ص ١٩٢ .

(٥) مصطفى الشكعة : المرجع السابق ٤ - ١١٦ .

ماعالج الناس من وجد نضمهم الا ووجدى بهم فوق الذى وجدوا (١)
غاية المنى :

وهي جارية ، قدمها قيان الى المعتصم بن صمادح لكي يختبرها قبل أن يشتريها
فسأها : ما اسمك ؟ فقالت : غاية المنى ، وكان ابن صمادح يريد قينه شاعره ،
فقال لها الامير : اجيزي :

اسألو غاية المنى
فقات في سرعة بديهة ورقة خاطر
من كسا جسمي الضنا
واراني مولها سيقول الهوى أنا (٢)
وهي واحدة من هؤلاء الشاعرات من حرائر وقيان كن يطربن الاسماع
باشعارهن الانثويه العذبه الرقيقه (٣) .

ام الكرام بنت المعتصم بن صمادح :

واذا كانت الفسانيه البجانيه وزينب المريه من بنات الشعب ، وغايه المنى
واحدة من القيان ، فان شاعرتنا ام الكرام كانت اميره من بيت ملك بنى
صمادح ، ولقد جرت العاده في قصور ملوك الاندلس ان يعهدوا ببنايتهم ونسائهم
للعلماء يمهدهن بالتعليم والتهديب وقراءه الشعر وحفظه ، وليس بغريب على
المعتصم بن صمادح الشاعر وراعى الآداب ، والفنون ان يعهد بتاديب ابنته (٤) ،

(١) المقرئ : نفح الطيب ٤ - ٦ - ٢٢ .

(٢) المقرئ : نفح الطيب ٤ - ٥ - ٢٢ .

(٣) مصطفى الشكعة : صور من الادب الاندلسي ٤ - ١١٨ .

(٤) ويذكرنا في هذا بالاديبه ولاده بنت المستكفي التوفيق سنة ٨١٠ هـ ، التي أثرت

في الاوصاف الادبيه بقرطبه بقدر كبير خاصة لدى الشاعر ابن زيدون .

لما لسه فيها من نبوغ وذكاء حتى نظمت الشعر الجميل وأسهمت بقدر في انشاء
الموشحات (١) ومن شعرها الرقيق العذب قولها :

ألا ليت شمري هل سبيل خلوة ينزه عنها سمع كل مراقب
وياعجبا اشتاق خلوة من غدا ومثواه ما بين الحشا والترائب (٢)
ان ام الكرام شاعرة رقيقة بارعة الغزل حسنة التعبير، وقد اثر انها كانت
تصنع التواشيح ، ولا يستطيع ذلك الا الشاعر ذو القدره ، والفنان ذو الموهبة
والصنعة لما تخضع له الموشحة من نسق يتكرر بين اقفال وعضون وتشطير وترصيع
الذي يجعل من ام الكرام شاعره فنانة بارعة واديبه بارزه (٣) .

الدراسات اللغوية والنحوية :

اهتم اهل الاندلس بالدراسات اللغوية والنحوية اهتماما خاصا منذ قيام دولة
عبد الرحمن الاوسط، ولكن هذه الدراسات كانت مقصورة على قراءة النصوص
الادبية سواء المنشور منها او المنظوم لتربية الملكات الادبية عند ابنائهم (٤) . ثم
بدأت الدراسات اللغوية تعتمد على ما نقله الاندلسيون في رحلاتهم إلى المشرق
من مصنفات علماء اللغة المشارقة امثال سيديويه والكسائي وابو علي القالي (٥)
فقد ادخل جودي بن عثمان العبسي (ت ١٩٨ هـ) في الاندلس كتاب الكسائي
بعد عودته من المشرق (٦) . ومنذ ذلك الحين اخذت تظهر بعض التواليف في

(١) مصطفى الشكعة : صور من الادب الاندلسي ص ١١٨ .

(٢) المقرئ : نفع الطيب ص ٢٦ ص ٢٢٤ ص ٢٢٦ .

(٣) مصطفى الشكعة : المرجع السابق ص ١٢٠ .

(٤) لطفى عبد البديع : الاسلام في اسبانيا ص ٧٣ .

(٥) السيد عبد العزيز عالم : تاريخ مدينة اسلامية ، ١٨٠٠ .

(٦) لطفى عبد البديع : المرجع السابق ص ٧٣ .

النحو ، فكتب جودي بن عثمان كتابا في النحو بعنوان « منبه الحجاره » (١) ،
كما ألف أبو بكر بن القوطيه (ت ٣٦٧ هـ) ، مصنفين هامين احدهما كتاب
« تصارييف الافعال » والثاني « كتاب المقصود والمحدود » (٢) ، ومن كبار علماء
النحو في الاندلس محمد بن الحسن الزبيدي الذي كان واحد عصره في علم النحو
وحفظ اللغة (٣) ، ألف في النحو كتابا سماه « الواضح » ، واختصر كتاب
« العين » ، وله في اخبار النحويين كتابا مشهوره (٤) .

وفي عصر ملوك الطوائف ، ظهر عدد كبير من كبار علماء النحو واللغة في
الاندلس ، وساهمت المريه بعدد كبير من علمائها في اللغة في هذه الحركة العلمية
من النحويين ، أبو الحسن سليمان بن محمد بن الطراوة نحوي المريه ، الذي ذاق
زملامة ، وصفه ابن بشكوال بقوله : « لم يكن بها (أى المريه) في هذه
الصناعة مثله ، وله الذكر السائر في الادق » (٥) ، ولا بن الطراوة ايضا من
التقييدات في النحو ما هو مشهور (٦) .

كما برز محمد بن احمد بن عبد الله النحوي ويعرف بابن اللجاش ، وكان
علما بالاصول والنحو ، ومن تواليفه اختصار في كتاب أبي جعفر الطبري في

(١) ابن سعيد : المغرب ، ٤١ - ٤٢ ص ١١٣ .

(٢) ابن الفرضي : تاريخ علماء الاندلس ، القسم الثاني ، ص ٧٦ ، « ترجمة ١٣١٨ » ،

الضبي : بغية الملتصق ، ص ٥١٩ ، ترجمة « ١٥١٩ » .

(٣) ابن الفرضي : المصدر السابق ، القسم الثاني ، ص ٨٩ ، ص ٩٠ ، « ترجمة ١٣٥٧ »

(٤) الضبي : بغية الملتصق ، ص ٦٦ « ترجمة ٦٥ » ، المقرئ : نفح الطيب ، ٤٤

ص ٧٥ ، ٧٦ .

(٥) ابن سعيد : المغرب ، ٢٠٨ ، المقرئ : المصدر السابق ، ٤٤ ، ص ٣٥٥ .

(٦) المقرئ : نفس المصدر ، ٤٤ ، ص ١٧٥ .

تفسير القرآن (ت ٤٩٠ هـ) (١) ومنهم ايضا العالم اللغوى أبو عبد الله محمد بن
معمر بن أخت غانم الذى برز فى عصر المعتصم بن صمادح (٢) . ومن استوطن
المريه من علماء اللغة ايضا محمد بن نعمة الاسدى العابر القيروانى ، « وكان معنيا
بالعلم ، عالما بالعبارة وجمع فيها كتباً » (٣) . والفقيه احمد بن محمد بن أسود
الفسانى (ت ٤٦٩ هـ) (٤) ، والفقيه محمد بن بلى اللخمي (ت ٤٨١ هـ) ، وكان
فقيها ذو علم بالخبر وعلم الاثر (٥) ، ومنهم ايضا الفقيه احمد بن رشيق التغاى
البجاني الاصل « وكان حافظا للفقه وشوور فى المريه ، ونوظر عليه فى الفقه » (٦)
والفقيه احمد بن يحيى بن يحيى البجاني وكان من كبار فقهاءها ، وتولى أمر
الفتيا بها (ت ٤٧٢ هـ) (٧) .

ومن الوافدين على المريه زمن الفتنة ، الفقيه احمد بن عفيف بن عبد الله
ابن مريـوال بن جراح بن حاتم الاموى ، وقد عنى بالفقه وعقد الوثائق
والشروط ، فقصد خيران العامرى الذى احسن وفادته واكرمه وقربه إليه
لفضله وامانته ، وقلده قضاء لورقه (٨) .

-
- (١) ابن بشكوال : كتاب العله ٢٠٢ ص ٥٦٣ « ترجمة ١٢٣ » .
 - (٢) المقرئ : المصدر السابق ٢٠٤ ص ٣٦٧ .
 - (٣) ابن بشكوال : المصدر السابق ٢٠٢ ص ٦٠٣ « ترجمة ١٢٤٣ » .
 - (٤) نفس المصدر ٢٠١ ص ٢٦٤ « ترجمة ١٣٥ » .
 - (٥) نفس المصدر ٢٠٢ ص ٥٥٥ « ترجمة ١٢١٨ » .
 - (٦) نفس المصدر ٢٠١ ص ٥٣ « ترجمة ١١٤ » .
 - (٧) نفس المصدر ٢٠١ ص ٦٥ « ١٣٩ » .
 - (٨) نفس المصدر ٢٠١ ص ٣٨٦ « ترجمة ٧٥ » أنزل جوثات بالنشأ
تاريخ الفكر الاندلسى ٤٢٣ .

ثانيا : العلوم الدينية

كما اهتم أهل المريه بعلوم الادب واللغة ، اهتموا بالعلوم الدينية فاولوها نصيبا كبيرا من رعايتهم ، وصنفوا فيها الكتب ، ومن كبار المحدثين في المريه في عصر الطوائف عيسى بن محمد بن عيسى الرعيني ، ويعرف بابن صاحب الاحياس (ت ٤٧٠ هـ) ، وكان من جله العلماء ورجال الادب ، وتولى القضاء بالمريه (١) ، ومنهم ايضا ابراهيم بن سعيد بن عثمان بن وردون النميري (ت ٤٧٩ هـ) الذي كان معنيا بالعلم والروايه (٢) ، ومحمد بن خلف بن سعيد ابن وهب ، المعروف بابن المراتط (ت ٤٩٥ هـ) ، وكان من اهل العلم والروايه (٣) .

ومن علماء التفسير المهلب بن احمد بن اسيد بن ابي صفرة الاسدي (ت ٤٣٠ هـ) وواضح أنه ينتسب إلى بيت المهلب بن ابي صفرة ، وله كتاب في شرح البخاري اخذه الناس عنه وولى قضاء المريه (٤) ، والفقيه محمد بن سعد بن علي بن علي بن بلال القروي ، وكان عالما بالاصول والفروع ، وكتب الحديث بمكة ومصر القيروان (٥) ، وحجاج بن قاسم بن محمد بن هشام الرعيني وكان مشاوراً بالمريه (٦) ، وطاهر بن هشام بن طاهر الازدي ، وكان مغنيا

(١) ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٤٣٧ ، « ترجمة ٩٣٩ » :

(٢) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٩٦ ، « ترجمة ٢١٧ » .

(٣) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٥٥٧ ، ٥٥٨ ، « ترجمة ١٢٢٤ » .

(٤) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٦٢٦ ، ٦٢٧ ، « ترجمة ١٣٧٩ » .

(٥) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٦٠٣ ، ٦٠٤ ، « ترجمة ١٣٢٢ » .

(٦) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ١٥٢ ، « ترجمة ٢٤٢ » ، الضبي : بغية الملتصق ، ص

بالمريه (١) ، والمحدث خلف بن احمد بن جعفر الجراوى ، « وكان معنياً بالعالم والرواية » ، وتولى الخطبة بالمريه (٢) .

ثالثاً : علم الجغرافيا

بدأ الاهتمام بالتأليف فى الجغرافيه عند الاندلسيين فى عصر الخلافة (٣) ، وقد لقي اهتماماً خاصاً منهم ، نظراً لانقطاعهم عن العالم الاسلامى ، واحتكاكهم بالعالم الاروبى ، مما اوجب عليهم ان يعرفوا مسالكه الموصلة إلى بلادهم بالاضافه إلى طبيعته الجغرافيه وسكانه (٤) .

وفى عصر ملوك الطوائف ظهر اول مؤلف جغرافى اندلسى ذو قيمة عظيمه وهو المسمى « المسالك والممالك » لابن عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكرى (٤٣٢ / ٤٨٧ هـ ، ١٠٤٠ - ١٠٩٤ م) (٥) .

وكثر التأليف فى الجغرافيا فى هذا العصر فظهر جمهور كبير من الجغرافيين الاندلسيين وشاركت المريه بنصيب وافر فى هذه الحركة العلميه ، ويكتفيها فخراً ان ينسب اليها جغرافى عظيم جليل الشأن وهو العذرى المعروف بابن الدلائى (٦) . وينتسب العذرى الى بنى عذره ، وكان اثنين من اجداده وهما زغيبه

(١) ابن بشكوال : المصدر السابق ٤ - ٦١ هـ ، ٣٤٠ (ترجمة ٥٤٥)

(٢) نفس المصدر ٤ - ٦١ هـ ، ١٧١ (ترجمة ٣٨٩)

(٣) أنخل جونثاك بالنتيا : تاريخ الفكر الاندلسى ٤ ص ٢٠٩ -

(٤) السيد عبد العزيز سالم : التاريخ والأورخون العرب ٤ ص ٢٠٠ .

(٥) أنخل جونثاك بالنتيا : المرجع السابق ٤ ص ٣٠٩ .

(٦) هو أحمد بن عمر بن أنس بن دلهات بن أنسى بن فلهذاق بن عمرو بن

منيب بن زغيبه بن قطينه العذرى ، ويسمى بن الدلائى ، ويسكن بابا العباس

(راجع الحميدى جذوة المقتبس ٤ ص ١٣٦ ، ترجمة ٢٣٦) .

ابن قطبه وياسين بن يحيى قد نولا قرية دلالية في صدر الدولة الاموية بالاندلس (١)
ومن ثم عرف بابن الدلائى نسبة إلى دلالية .

ولد العذري في المريه في سنة ٣٩٣ هـ (١٠٠١ م) ، وعندما بلغ الرابعة
عشر من عمره أى في سنة ٤٠٧ هـ / ١٠١٦ م رحل مع والديه إلى المشرق
ووصلوا إلى مكة في سنة ٤٠٨ هـ (١٠١٦ م) ، وجاوروا اعواما بها ، وسمع
الكثير من شيوخها ومنهم الشيخ ابى العباس الرازى ، والشيخ ابو ذر عبد بن
احمد الهرمري وعليه سمع صحيح البخارى كما سمع علي الكثير من القادمين
اليها من أهل الرواية والحفظ من أهل العراق وخراسان والشام (٢) . ورحل
عن مكة في سنة ٤١٦ هـ (١٠٢٥ م) .

ومما لاشك فيه ، ان هذه النشأة الدينية كان لها عظيم الاثر في اهتمامات
العذري العلمية ، فان كنا نعرف العذري مؤلفا جغرافيا فقد وجه جل اهتمامه
بعلم الحديث « بل ان عنايته بالحديث تنهض في المقام الأول على اقراء انبات
كتب الحديث وخاصة الصحيحين (٣) ، ومن تواليفه في هذا المجال « فهرسه
شيوخه » وكتاب « انقضاض ابكار اوائل الاخبار » (٤) ، وقد أورد
ياقوت الحموي اسم كتاب له بعنوان « اعلام النبوه » (٥) .

(١) العذري : ترصيع الاخبار ، ص ٩٠ ، دلالية : هي من اعمال المريه ، تقع
في جنوب شرق برجه بمسافة تسعة كيلومترات ، (راجع : الحميري : الروض
المنطار ، الترجمة الفرنسية ص ٦٦ ، مادة دلالية رقم ٧٥ ، وهامش نفس
المصدر رقم ٣) .

(٢) ابن بشكوال ، كتاب الصلة ، ص ١ ، ص ٦٧ ، (ترجمة ١٤١) .

(٣) العذري : المصدر السابق ، ص د من مقدمه المحقق .

(٤) نفس المصدر والصفحة .

(٥) معجم البلدان ، المجلد ، الخامس ، ص ١١٩ .

والجدير بالذكر ان كتب التراجيم (١) ، قد خلت من أي اشارة إلى اهتمام العذري بالتأليف في الجغرافيا ، ولم تسم له كتابا في هذا المجال . أما الذين أشاروا إلى مصنفه في الجغرافيه ، فهم الجغرافيون القدامى بالاندلس ، فقد ذكره البكري في « المسالك والممالك » ، كما ذكره الادريسي في مقدمة كتاب « نزهة المشتاق في اختراق الافاق » وابن عبد المنعم الحميري في « الروض المعطار في خبر الاقطار » (٢) ، كذلك ذكره ياقوت الحموي - وهو مشرقى - في معجم البلدان ، وأشار الى كتابه « نظام المرجان في المسالك والممالك » (٣) .

وكتاب « ترصيع الاخبار وتنويع الاثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك » ، الذي صنفه العذري واستحسنه جغرافيه و الاندلس فقد فقد معظمه ولم يتبق منه الا جزء مخطوط عنوانه : « السفر السابع من ترصيع الاخبار وتنويع الاثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك » الى جميع الممالك » وقام بتحقيقه الاستاذ الدكتور عبد العزيز الالهواني (مدير ١٩٦٥) ، وذكر المحقق في مقدمة له أن هذا الجزء الذي وصل إلينا لا يتجاوز

(١) الحميدى : جذوه المقتبس ، ص ١٢٦ ، (ترجه ٢٣٦) ، ابن بشكوال : الصلة ، ص ١ ، ص ٦٦ (ترجه ١٤١) ، الضبي : بغيه الملتبس ، ص ١٩٥ ، (ترجه ٤٤٦) .

(٢) حسين مؤنس : الجغرافيه والجغرافيون في الاندلس ، : صحيفة معهد الدراسات الاسلاميه في مدريد (المجلدات السابع والثامن ، مدريد ١٩٥٩ / ١٩٦٠ ص ٢٧٩ .

(٣) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، المجلد الخامس ، ص ١١٩ .

عشر الكتاب غالبا « (١) .

ويتضمن هذا الجزء وصفا جغرافيا ضمنه المؤلف أشارت تاريخية للمواضع التي تعرض لها في كور تدمير ، وبلنسية ، وسرقسطه ، واشبيلية ، ولبله وشذونه والجزيرة الخضراء وقرطبة ، استند فيها على روايات أحمد بن محمد الرازي وابنه عيسى مع تكملة الاخبار الى ايامه (٢) .

وقسم العذري هذا الجزء - الذي بين ايدينا - الى اقسام ، كل قسم تناول كوره من كور الاندلس (٣) ، ثم يتلو ذلك ذكر الطريق من قاء مدة الكوره السابقة الى قاء مدة الكوره التي يتحدث عنها ، ووصفه للطريق على اساس المحلات أو على اساس الاميال أو الفراسخ (٤) . ثم يتكلم العذري عن المدن التابعة للكورة ويعددتها واحده واحده (٥) ، معتمدا في ذلك على ما نقله من أحمد الرازي أولا ، ثم يضيف من عنده تفاصيل هامة ان دلت على شيء فانما تدل على اطلاع ومعرفة ومشاهدة (٦) ثم يتحدث عن الاقاليم التابعة لكل كوره وأعمالها وفي خلال حديثه عن الكوره نجد يمدنا بتفاصيل تاريخية عن

(١) العذري : ترصيع الاخبار ، ص ١ من مقدمه المحقق .

(٢) حسين مؤنس - الجغرافيه والجغرافيين في الاندلس ، ص ٢٨٠ .

(٣) ترصيع الاخبار ، راجع صفحات ارقام ١٧٤ ، ٢١٤ ، ٢٨١ ، ٢٩٥ ، ١١٧٤ ، ١٤١٤ .

(٤) نفس المصدر ، راجع صفحات ارقام ٣ ، ١٧٤ ، ١٩ ، ٢١٤ ، ٢٨١ ، ٢٩٥ .

١١٧٤ ، ١١٧٠ .

(٥) نفس المصدر ، راجع صفحات ارقام ١٠ ، ٢٠ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٣٥ ، ٨٩ .

٩٠ ، ٩٢ ، ٩٩ ، ١٠٩ ، ١١١ ، ١٣٠ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٤٦ ، ١٢٧ .

(٦) نفس المصدر ، راجع مثلا من مدينته بلنسية ص ١٧ ، ١٨ ، وكذلك من مدن

شاطبه وجزر شقر ص ١٨ ، ٢٠ ، انظر ايضا حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص ٢٨١ .

هذه الكوره (١) .

والكتاب يعتبر من أهم ماصنف في الجغرافيه الاندلسيه حتى الان ، سواء من حيث المادة التي ضمنها اياها مؤلفه ، وهذا بجانب دقته في التحديد وضبطه في رسم الاعلام (٢) . ومرار الجدير بالذكر ، أن نقرر أن العذري قد اتبع منهجا علميا ، حيث أنه بدأ مما حيث انتهى عنده احمد الرازي ، فسعى بقدر امكانه الى اضافة تفاصيل جديدة الى وصف شبه الجزيرة واذا كان الوصف الدقيق لجغرافيه الرازي انها من طراز البلدان ، فان جغرافيه العذري تضمنت بجانب دراسه البلدان المسالك والممالك في دراسة وصفيه علمية دقيقة (٣) .

وتوفي العذري في سنة ٤٧٨ هـ (١٠٨٥ م) ، ودفن بمقبره الحوض بالمريه وصلى عليه ابنه أنس بتقديم المعتصم بالله محمد بن معين بن صمداح (٤) .

(١) حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص ٢٩٢ .

(٢) نفس المرجع ، ص ٣٨٧ .

(٣) حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص ٣٩٥ .

(٤) ابن بشكوال : كتاب الدله : ج ١ ، ص ٦٧ ، الضبي : بغية التمس ، ص ١١٧ .

أما يانوت الحموي ، فقال أنه توفي في سنة ٤٧٦ هـ ، وقيل ٤٧٨ هـ ببلنسية .

(معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ١١٩) ، والسكن الأرجح هو ما ذكره

ابن بشكول ، (كتاب الدله ج ١ ، ص ٦٧) .

خاتمة

ونصل في نهاية هذا البحث الى عدد من الحقائق اسفرت عنها دراستي الطويلة للمريه الاسلاميه منها : ان حركة بناء المدن في الاندلس نشطت نشاطا واضحا في العصر الاموي ، وكانت المريه احدى ثمراتها . وعلى الرغم من ان المريه مدينه اسلاميه البنيان تم بناؤها في سنة ٣١٤ هـ في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر الا انها شغلت موضعا عمرانيا قديما ، فقد استدل الباحثون من الحفريات الاثرية على ان المريه اقيمت على اسس فينيقية قديمة عرفت باسم باستولس ، والموضع القديم المذكور كان معروفا في العصر الاسلامي الاول قبل ان يشرع المسلمون في تأسيس المريه بزمان طويل ، وفيه اسس البحريون حصنا او رباطا اتخذوه مرأى ومحرسا ، فاطلق على الموضع كناية لاسم مريه بجانه ، وظلت هذه التسميه مركبة الى ان اكتفت المدينة المحدثه بالشطر الاول من الاسم المركب بعد ان مصرها عبد الرحمن الناصر .

واذا امعنا النظر في خريطة الاندلس باحثين عن موقع المريه ، فاننا نلاحظ انها حظيت بموقع بحري ممتاز في جنوب شرق شبه جزيرة ايبيريا فهي تطل على خليج شديد الاتساع والعمق يتميز بهدوء مياهه وقلّة امواجه ، كما يتميز بمصانة ومنعته ، فحول البؤرة العمرانية التي تدرج في الارتفاع نحو جبل ليهم والخندق تتناثر حصون وقلاع تزيدها حصانه ومنعه ، ولم تكن المريه حتي اوائل القرن الرابع الهجري سوى رباط للجهاد ، ولم تظهر اهميتها كميناء وقاعدة بحريه للاسطول الاندلسي الا من عام ٣٢٨ هـ ، عندما عين الخليفة الناصر أول و الى من قبله على بجانه فأخذ هذا الوالي من ميناء المريه منطقة لعملياته البحريه ، ثم فطن الخليفة الناصر الى أهمية موقعها

وما يتميز به من مزايا ، فأمر بينائها وإدار حولها سوراً محفوظاً من العدو بالحراس والسماح وجعلها حاضرة الأقليم المحيط بها ، وأسند ولايتها إلى ولاة يقيمون في قصبتها وتضاريف اليهم بجوانه الحاقاب وتمضي السنون ويكتشف الحكم المستنصر أكثر من أيه أهمية موقع المريه بالنسبة للساحل الجنوبي الشرقي ، فيشرع في دعمها ويتخذها قاعدة بحرية تضم معظم قطع الاسطول الخلفي وذلك لمواجهة الخطر النورمانى والمطامى ، وفي عهد خلفه هشام المؤيد يواصل حاجة محمد بن عبد الله بن أبي عامر الاعتماد بالاسطول الأندلسي ، ويستعين بهذا الاسطول في نقل قواته ومعداته إلى العدة الغربية للاحتفاظ بسلاطان الأمويين هناك . وهكذا ظهرت أهمية قاعدة المريه البحرية ظهوراً ذا خطر زمن الخلافة الأمويه في الأندلس ، ظلت تحتفظ بأهميتها بعد ذلك زمن دويلات الطوائف فتألفت المريه وتبوأت المركز الأول بين قواعد الاسطول الأندلسي خاصة في عهد المعتصم بن صمادح الذي وجه جل عنايته بأسطوله .

ومن الناحية الاستراتيجية لعبت المريه دوراً هاماً إبان أحداث المرحلة الأخيرة من الخلافة الأمويه في الأندلس حتى استئلال بني صمادح بحكمها فقد كانت بحكم حصانتها نقطة الانطلاق العسكري لقوى خيران العامري وحلفائه ، وقد ازداد مركز خيران قوة يوماً بعد يوم بسبب انتزاعها واتخاذها مركزاً لنشاطه السياسي والعسكري ، وعندئذ أصبحت مطعماً للطامعين وتناوبها المنتزعون والثوار إلى أن استقر الحكم في النهاية في بيت صمادح برضاء أهلها .

ولما كانت المريه قاعدة بحرية وعسكريه في آن واحد فقد أسندت رئاستها إلى قائد البحر محمد بن رباح الذي ظل في منصبه إلى أن قضى عليه

المنصور في عام ٥٣٦٩ هـ ، ومما تجدر الاشارة اليه ان المصادر القرية لم تمدنا بولاة المريه منذ مقتل محمد بن رماحس حتى عام ٦٧٣ هـ ومع ذلك فقد تمكنت بفضل ما أورده العذري من أخبار أن اضبع جدولاً لولاة المريه من بعده حتى عام ١٠٠ هـ ، واستنتجت من هذا الجدول أن سياسة الخلافة الاموية انذاك كانت تقضى بان يتولى المدن الواقعة في مناطق الثغور قواد عسكريون - كما بن الرماحس نفسه - نظراً لاهمية المريه باعتبارها قاعدة للاستطول الاندلسي على البحر المتوسط واستمرت المريه يحكمها ولاءه من قبل الحكومة المركزية بقرطبة الى ان سقطت الدولة العامرية ، وضعف نفوذ الخلافة الاموية مما ترتب عليه اشتغال نار الفتنة البربرية وقيام دويلات الطوائف ، وانتزى الرؤساء والقراد والولاة على اختلاف اجناسهم في سائر أنحاء الاندلس ، واقتسوا خططها واستبد كل منهم بحكم ما تغلب عليه من النواحي ، وفي خضم هذا الصراع انتزى خير ان العامري بالمريه - وكان - من جلة فتيان المنصور بن ابي عامر الصقالبة وقد نال خير ان في عهد هشام المؤيد مكانه رفيعة مكنته من رئاسة الصقالبة وقيادتهم والمشاركة في جملة الفحول النافذين عن الدولة - بعد ان تغلب على مدينة مرسية عام ٣٠٣ هـ واستولى على كل اقليم كورة تدمير ، ودانت له المريه بعد تغلبه على افلج الصقالبي عام ٣٠٥ هـ ، ومن ثم اصبحت المريه قاعدة الرئيسية فجلب اليها امواله ، وعندها واستوزر ابا جعفر احمد بن عباس بن ابي زكريا ليعاونه في تدبير شؤونه المملكة .

ولم يفتنى ان ابرز دور خير ان العامري في احداث قرطبة وكيف انه لمي دعوة علي بن حمود القائم بسبته ومساندته لة عسكرياً ضد الخليفة المستعين بقرطبة ، وكان من اثر هذا التحالف انعمار علي بن حمود وتحويل قرطبة

في عام ٤٠٧ هـ ؛ لكن خيران الذي كان طامعا أن يجد مولاة هشاما حيا لم يلبث أن أصيب بخيبة أمل عندما اتضح له حقيقة موت هشام فندم على ما بذله لابن حمود من عون ، وظهر خلافه بعد ان غادر قرطبه على الفور إلى شرق الاندلس ، وعهد إلى تنصيب خليفته من أعقاب بني اميه سنة ٤٠٧ هـ ليقبضه بالمرتضى . وأوضحت كيف عزم خيران على فتح قرطبه بعد ان انضم اليه منذر التجيبي صاحب سرقسطه وعدد من فرسان الفرنجيه ، وكيف أجمع المتحالفون على خذلان المرتضى بعد ان أشاروا عليه أولا بمهاجمة بربر غرناطة قبل سيرهم إلى قرطبه ، وقيام خيران بمكاتبة ابن زيري الصنهاجي واتفاقه معه على الغدر بالمرتضى ولما هاجم المرتضى بجيشه بربر غرناطة تخلى منذر وخيران عنه وانسجبا من المعركة فجلت به الهزيمة وأطيح بالمرتضى الذي سقط صريعا في سنة ٤٠٩ هـ ، وقد انتهت إلى أن خيران تدخل في الاحداث السياسية بقرطبه عدة مرات . ثم تعرضت لعلاقات المريه في عهده مع جاراتها بشرق الاندلس وبينت كيف ان الحسد يدفع مجاهد العامري إلى الاعتداء بجيوشه وأنطاقيه على المريه ، فقط طمع مجاهد في أن يطرد خيران منها وأن يستولي عليها وأن يضمها إلى مناطق نفوذه لكنه باء بالفشل . كما تعرضت للعلاقات العدائية بين خيران وجيرانه البربر اصحاب غرناطة ، ولم نعثر في المصادر التي بين ايدينا ما يلقى مزيدا من الضوء على هذه العلاقات ، ومع ذلك فقد رجحت أن سياسة المصلحه كانت الهدف الاول الذي كان يوجه خيران العامري في كل تحركاته ، مع ما يميز به ايضا من مكر ودهاء وشجاعة واقدام وحسن تدبير حتى بلغت مملكة المريه في عهده اقصى اتساع لها فقد كانت تحدها شرقا المنطقة الممتدة من الساحل الإسباني الجنوبي الشرقي ومن جهة الغرب حتى وادي آش وحدود مملكة غرناطة ومن ناحية الشمال حتى بسطه

وجيان هذا بالاضافة إلى أوريولة ومرسيه ، وهذه الانطلاقة الخارجية لم تأت
من فراغ بل انعكاسا لسياسته الخارجية الناجحة جنت ثمارها المريه فأصبحت
من اهم مدن الاندلس لما اتسم به عمره من تشييد واصلاح
ثم أوضحت كيف أن المريه واصلت ازدهارها في عهد زهير الذي جرى
على سياسة سلطه وسعى إلى اصطناع سياسة خارجية استهدفت من وراءها المحافظة
على املاكة ودعم قوته وادت به في بعض الاحيان إلى مواجهة خصومه
ومنازلتهم ، بل اضطرتة احيانا أخرى إلى أن يتغلب على حلفائه بنى حبوس
ابن ماكسن أصحاب غرناطة وقيامه بحمله على غرناطة انتهت بهزيمة ومصرعه.
وبمصرعه تفقد المريه اكبر قواعدها الشمالية مدينة جيان التي دخلت فى أعمال
غرناطة ، وتنتهى فترة ولاية الصقالبة على المريه . وتبدأ منذ ذلك الحين رقعة
المملكة فى الانكماش فأخذت املاكم البعيدة تخرج من حوزتها تدريجيا ،
ويقوم بامر المريه من بعده شيخها أبو بكر الرميمى فقام بإدارة شؤون المريه
وضبط الامن والنظام بها ، إلى أن كاتب أهلها عبد العزيز بن عبد الرحمن
شنجول بن أبي عامر بلنسية الذى قدم إلى المريه وضمها إلى أعماله فى عام
٤٢٩ هـ غير أن العلاقات بينه وبين مجاهد العامرى سرعان ما توترت فخرج
عبد العزيز إلى بلنسية مبادرا لاستصلاح مجاهد وولى على المريه ابنه عبد الله
فى عام ٤٣٠ هـ واستوزر له ذا الوزارتين ابا الاحوص معن بن محمد بن صبادح
فاستغل معن بن صبادح فرصة غياب المنصور وموت ابنه عبد الله ودعا لنفسه
وانتزى بالريه فى عام ٤٣٣ هـ ، وبذلك يبدأ عهد جديد فى حكم المريه تحت
أسرة بنى صبادح .

ومما لاشك فيه أنه بفضل علاقات الصداقة والمودة التى جمعت بين معن
وباديس صاحب غرناطة استقامت الامور لابي الاحوص بن صبادح ودانت

لورقة وياسة وجيان وغيرها ، لما عرف عن معن بن صمادج من الذكاء بجانب ما كان يتمتع به من العلم والثقافة والادب ، فاستقرت الاحوال بالمريية ونعمت بالهدوء ، وهو لذلك يعتبر المؤسس الحقيقي لدولة بني صمادج في المريية ، فقد اقام على حكمها زهاء عشر سنوات إلى أن توفي في عام ٤٤٣ هـ وخلفه ابنه أبو يحيى محمد الملقب بالمعتصم الذي اسندت إليه مقاليد الامور بالمريية وهو حدث لم يبلغ الرشد بعد ، مما كان له أثره العميق في ضعف الحكومة وتجزأ النواحي على الانفصال ، وبالتالي في انكماش رقعة المملكة فقد كان من الطبيعي أن يستغل الولاة من قبله فرصة ضعفه ويشورون عليه واهم هؤلاء الثوار ابن شبيب عامل أليه على لورقة وبفضل تحالف الاخير مع المنصور بن عبدالعزيز ابن أبي عامر صاحب بلنسية لم يتمكن المعتصم من استرجاع لورقة رغم مساندة باديس صاحب غرناطة له وإذا عرفنا أن المعتصم ايضا قد فشل في الاستيلاء على حصن من عمل تدمير رغم مساعدة حليفه باديس له ، فان دلالة ذلك هي عدم خيرة المعتصم الحربية وبالتالي انعكاس ذلك على قوة الامارة وما اثر اثبت على ذلك من انحسار اقاليمها وانكماش رقعتها والاحداث التالية خير شاهد على ذلك وأول مظاهر الوهن أن العلاقات الودية التي كانت تربط بين المريية وغرناطة لم تلبث ان انقلبت الى علاقات عدائية ، إما لان المعتصم كان اندلسيا يكره البربر ويتعصب للاندلسيين او بسبب تطلع ابن صمادج الى الاستيلاء على غرناطة ذاتها وضم املاكها اليه ، او ربما بسبب الدور الذي لعبه يوسف ابن نفراة اليهودي وزير باديس الذي اسر الى ابن صمادج بذلك حتى خرج بقواته واستطاع الاستيلاء على بعض اراضي من اعمال غرناطة الشرقية وعلى حصن وادي آش ، واغارت بقوة على غرناطة ، ومع ان العلاقات بين الدولتين لم تلبث عادت الى حالتها الاولى إلا ان ذلك كان لفترة وجيزة .

فمجرد وفاة باديس وتولى جفيدة عبد الله بن بلقين اماره غرناطة وقعت
مغازيات كثيرة بينها ما عتقد ان مردها كراهية المعتصم العميقة للبربر واضطوااره
لحق بعض الاحيان إلى مهادنتهم لسياسة المصلحة وحرصا على املاكة فقط .
كذلك تعرضت للحديث عن علاقات المعتصم بالمعتمد بن عباد صاحب
اشبيلية ويثبت انها علاقات عدائية وان تأزم العلاقات وتوترها بين الدولتين
انتهى إلى قيام المعتمد بغزو المريه ، ومع ذلك فقد استطاع المعتصم بدهائه
ان يسوى هذه الخلافات والاجتماع بالمعتمد على حدود اشبيلية والمريه وتم
الصالح بينهما .

وبوجه عام توصلت إلى النتيجة بأنه على الرغم من فشل سياسته المعتصم
المخارجيه بحيث أدت إلى انكماش رقعة مملكته ، وأن المريه شهدت ازدهارا
كبيراً حتى شتى النواحي شملت الجوانب العمرانية والأدبية وغيرها .
ثم اهتمت القسم التاريخي من الرسالة بتوضيح الاسباب التي أدت إلى
دخول المرابطين مسرح الأحداث بالاندلس ، ويثبت سياسة المعتصم نحو
المرابطين وسعيه على التقرب إلى اميرهم ، ثم تحدثت عن الجواز الثالث لابن
تاشفين إلى الاندلس وعزمه على اسقاط ملوك الطوائف عن عروشهم توحيداً
للجمهورية الإسلامية وتجنباً للتفكك السياسى والعسكرى واهتمت بتصوير
النهاية بالآلية «لبنى صمادح في المريه قيل فرار معز الدولة بن صمادح
إلى الجزائر .

ثم بدأت دراسة الجانب الحضارى من الرسالة وتوصلت إلى عرض
صورة واضحة بقدر الامكان عن تطور الحياة العمرانية في المريه منذ نشأتها حتى
دخولها في ملك دولة المرابطين وكيف ان هذا العمران الذى ظهر بادىء ذي بدء
بمجرد بقعة عمرانية صغيره الحجم لم يلبث ان اتسع بالتدريج بفضل ازدهار المدينة

واستقرار الأوضاع بها وكثرة الوافدين إليها من مختلف أنحاء الاندلس ،
فماض غربا وشرقا فشمّل ربض المصلى والحوض ، ثم تطرقت الى الحديث
عن الآثار الباقية بمختلف انواعها ، وحاولت عن اعرض الصورة العامة الشاملة
للمريه من خلال هذه الآثار الباقية ودور الامراء والملوك في تمصير المريه
وزياده عمراتها بمنشآتهم المتنوعه من قصور ومساجد وقلاع واسوار ، كما
حاولت أن أخطط لنطاق المدينه الخارجى بأبوابها المختلفه وتطبيق ذلك كله
على خريطة المريه الحديثه .

وبالنسبه للجانب الاقتصادى حاولت ابراز الاتاج الزراعى والصناعى
لمملكه المريه من خلال ما اعتمدت عليه من مصادر تاريخيه وجغرافيه واهتمت
بوجه خاص بالصناعات التى اشتهرت بها المريه واهمها على الاطلاق صناعة
المنسوجات الحريره التى طبقت شهرتها الاق ، هذا الى صناعه التحف
والادوات الرخاميه كالاحواض والبيلات واللوحات المنشورية الشكل
وشواهد القبور بالمريه لتوافر الرخام الصقيلى المملوكى بها ، هذا الى جانب
صناعات اخرى مثل صناعه استخراج الزيوت من الزيتون وصناعه الادوات
المعدنيه والتحف المصنوعه من الزجاج .

أما التجاره فقد تحدثت عنها طويلا لاهمية الموقع الجغرافى للمريه فى التحكم
فى طرق التجاره فى الداخل والخارج والتحكم فى تصريف الفائض الداخلى
للمحاصيل الزراعيه والانتاج الصناعى الاندلسى سواء الى الغرب أو الشرق ،
الى حد انها وصفت بباب المشرق ، وكيف ترتب على هذا النشاط التجارى الكبير
اتخاذها سوقا عالميه ومحليه كبيرة ساعدت على اجتذاب الوافدين الى المريه
واكتظاظها بالسكان .

ثم انتقلت الى ابراز الجانب الفكرى من دراسه الحضاريه بألوانه

المتعددة فأشرت الى ان سياسته ملوك المريه وحكامها كانت خيرا على النهضه
 الفكرية التي شملت هذه المملكة منذ ان زال ظل الخلافة الاموية حتى دخول
 المرابطين الاندلس ، فقد ساعد حكام المريه بعطايهم الجزيلة الشعراء على
 انتجائهم ، ونظام القصائد في مديح هؤلاء الحكام وكيف تألفت العلوم
 والاداب في حى هؤلاء الملوك فبرز العلماء من اهل المريه او الوافدين اليها
 في مختلف فروع المعرفة . وكان هؤلاء اعظم الاثر في دفع حركة التقدم
 الحضارى للمريه بوجه خاص ، والاندلس بوجه عام في عصر الطوائف .
 وهكذا استكملت صورته المريه في العصر موضوع الرسالة تاريخها الحافل
 بالاجداث وتراثها الزاخر بالاثار الادبيه والماديه على السواء .

قائمة المخطوطات والمصادر والمراجع العربية والاجنبية

المخطوطات

(١) ابن بسام (أبو الحسن علي) ، ت ٥٤٣ هـ / ١١٤٧ م ،
الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، القسم الثالث ، مخطوطة بغداد.

(٢) ابن حيان (أبو مروان) : ت ٤٦٩ هـ / ١٠٧٩ م ،
المقتبس في تاريخ رجال الاندلس ، قطعه عن عهد عبد الرحمن
الناصر ميكرو فيلم رقم ٢٠٨ ، مودع بمعهد المخطوطات بجامعة
الدول العربية بالقاهرة ، عن مخطوطة الخزانة الملكية بالرباط
رقم ٨٧٠ .

(٣) النوبري (محمد بن قاسم) : (أُلّفه سنة ٧٧٥ هـ / ١٣٧٥ م) ،
مخطوطة الامام بالاعلام فيما جرت به الاحكام المقضية في
وقعة الاسكندرية ، صورة شمسية محفوظة بمكتبة كلية الاداب
جامعة الاسكندرية تحت رقم ٧٣٨ م ، عن النسخة الخطية
المحفوظة بمكتبة خدابخش تحت رقم ٢٣٣٥٠ .

المصادر العربية القديمة

- ابن الأبار (أبو عبد الله محمد القضاعى) ، ت ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م .
- ١ - الحلة السراء ، تحقيق الدكتور حسين مؤنس ، الطبعة الأولى ،
جزئين ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٣ .
- ٢ - التكملة لكتاب المصلة ، جزئين ، مطبعة الخانجي بمصر والمثنى
بيغداد ، ١٩٥٦ .
- ٣ - المعجم من أصحاب القاضي الامام ابى عبد الله الصدفى ، دارالكاتب
العربى للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٧ .
- أبو الفدا (عماد الدين اسماعيل بن محمد) :
- ٤ - تقويم البلدان ، تحقيق دى سلان ، باريس ١٨٤٠ .
- ابن ابى زرع (ابى الحسن على بن عبد الله الفاسى) :
- ٥ - الانيس المطرب بروض القرطاس فى اخبار ملوك المغرب وتاريخ
مدينة فاس ، المطبعة الفاسيه ، ١٣٠٥ هـ .
- ابن الاثير (على بن احمد) : ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م ،
- ٦ - الكامل فى التاريخ ، جزء ٧ ، ٨ ، القاهرة ١٣٥٣ هـ .
- الادريسى (الشريف أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز) ، ت حوالى ٥٤٨ هـ /
١١٥٥ م ،
- ٧ - صفة المغرب وارض السودان ومصر والاندلس ، مأخوذة من
كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الافاق ، تحقيق دى غويه ودودى ،
ليدن ، ١٨٦٤ .
- ابن بسام (ابو الحسن على) : ت ٥٤٣ هـ / ١١٤٧ م ،

٨ - الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، القسم الأول من المجلد الأول ،
القاهرة ١٩٣٩ .

٩ - الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، القسم الأول من المجلد الثاني ،
القاهرة ١٩٤٢ .

١٠ - الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، القسم الرابع من المجلد الأول ،
القاهرة ١٩٤٥ .

١١ - الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، القسم الثاني من المجلد الأول ،
تحقيق الدكتور لطفى عبد البديع ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،
١٩٧٥ .

ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن عبد الملك) : ت ٥٧٨ هـ / ١١٨٣ م ،
١٢ - كتاب الصلح في تاريخ أئمة الاندلس ، جزئين - الدار المصرية
للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦ .

البكرى (أبو عبيد الله بن عبد العزيز) ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م ،
١٣ - المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، تحقيق البارون دي سلان ،
الطبعة الثانية ، الجزائر ١٩١١ .

ابن بلقين (الأمير عبد الله الزيرى) ،
١٤ - مذكرات الأمير عبد الله ، المسماه بكتاب التبيان ، تحقيق الاستاذ
ليفى بروفنسال دار المعارف ، مصر ، ١٩٥٥ .

ابن جبير (أبو الحسن محمد بن أحمد) : ت ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م ،
١٥ - رحلة ابن جبير ، تحقيق وليم رايت ، ليدن ١٩٠٧ .
ابن حزم (أبو محمد علي) : ٤٥٦ هـ / ١٠٦٤ م ،

١٦ - كتاب طوق الحمامة في الالف والالاف ، تحقيق بثروفي ، ليدن ،

١٩١٤ .

١٧ - نقط العروس في تواريسخ الخلفاء ، تحقيق الدكتور شوقي ضيف

(مجلة كلية الاداب) ، مطبعة جامعة القاهرة ، ديسمبر ١٩٥١ .

١٨ - جهرة. انساب العرب ، تحقيق الاستاذ ليلى بروفنسال ، دار

المعارف بمصر .

الحميدى (أبو عبد الله محمد بن فتوح) : ت ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م ،

١٩ - جذوه المقتبس في ذكر رجال الاندلس ، القاهرة ، ١٩٦٦ .

الحميرى (أبو عبد الله محمد بن عبد الله) : ت اواخر القرن التاسع الهجرى ،

٢٠ - كتاب الروض المغطار فى خبر الاقطار ، تحقيق الاستاذ ليلى فى

بروفنسال ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة

١٩٣٧ .

٢١ - مواد اندلسيه جديدة من الروض المغطار لصلاح الدين المنجد ،

(مجلة معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية) ، المجلد الخامس -

الجزء الأول القاهرة ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٩ م .

ابن حوقل (أبو القاسم) : ت ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م ،

٢٢ - كتاب صورة الارض ، دار مكتبة الحياة ، بيروت .

ابن حيان (أبو مروان) : ت ٤٦٩ هـ / ١٠٧٩ م ،

٢٣ - المقتبس فى اخبار بلاد الاندلس ، قطعة نشرها الاب مانشونز لفظونيا

باريس ١٩٣٧ .

٢٤ - المقتبس فى اخبار بلاد الاندلس ، قطعة نشرها الدكتور عبد الرحمن

الحجى بيروت ١٩٦٥ .

٢٥ - المقتبس في أخبار بلاد الاندلس ، قطاة نشرها الدكتور محمود علي
مكي ، لجنة احياء التراث الاسلامي ، القاهرة . ١٣٩٠ هـ -

١٩٧١ م

ابن علقان (أبو النصر النعمان بن محمد) : ت ٥٣٥ هـ / ١١٣٤ م ،

٢٥ - قلائد العقيان ، طبعة مصر ، ١٣٢٠ هـ .

ابن خردادبه (أبو القاسم عبيد الله) : ٣٠٠ هـ / ٩١٣ م ،

٢٧ - المسالك والممالك ، تحقيق دي غوييه ، بريل ١٨٨٩ ، مكتبة المثنى
بغداد .

ابن الخطيب (لسان الدين) : ت ٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م ،

٢٨ - أعمال الاعلام فيمن بويغ قبل الاعلام من ملوك الاسلام ، (الجزء
الخاص بالاندلس) ، تحقيق الاستاذ ليفي بروفنسال ، الطبعة الثانية
دار المكشوف بيروت ، ١٩٥٦ .

٢٩ - أعمال الاعلام فيمن بويغ قبل الاحتلام من ملوك الاسلام ، (القسم
الخاص بالمغرب) ، تحقيق الدكتور احمد مختار العبادي والاستاذ
محمد ابراهيم الكتاني ، دار الكتب بالدار البيضاء المغرب ١٩٦٤ .

٣٠ - شهادات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والاندلس
(مجموعة رسائله) تحقيق الدكتور احمد مختار العبادي ، مطبعة جامعة
الاسكندرية ، ٥٨ هـ .

٣١ - الاحاطة في اخبار غرناطة ، تحقيق الاستاذ محمد عبد الله عنان ،
جزءان دار المعارف بمصر ١٩٥٥ .

الخنماجي (شهاب الدين) :

٣٢ - شفاء العليل فيما في كلام العرب من الدخيل ، الطبعة الأولى ،

مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٥ هـ

ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) : ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م ،

٢٣ - مقدمه العلامة ابن خلدون ، المكتبة التجارية ، مصر

٢٤ - كتاب البروديوان المبتدأ والخبر ، جزء ٤ ، جزء ٧ ، يولاق ١٢٨٤ هـ

ابن خلكان (أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد) : ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م ،

٣٥ - وفيات الاعيان وأنباء ابناء الرمان حقيقه الدكتور احسان عباس

جزء ٧ ، دار الثقافة ، بيروت لبنان .

ابن دراج القسطلی :

٣٦ - ديوان ابن دراج القسطلی ، نشر وتحقيق الدكتور محمود علي مكي

دمشق ، ١٩٦١ .

ابن سعيد المغربي (علي بن موسى) :

٣٧ - المغرب في حلى المغرب ، جزءان ، تحقيق الدكتور شوقي ضيف

دار المعارف القاهرة ١٩٥٣ - ١٩٥٥ .

٣٨ - كتاب الجغرافيا ، الطبعة الأولى ، تحقيق الاستاذ اسماعيل العربي

ممشورات المكتب التجاري (طباعة - النشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٧٠

القسطلی (أبو عبد الله محمد بن أبي محمد) ،

٣٩ - كتاب اداپ الحسبه ، تحقيق الاستاذ ليفي بروفنسال والاستاذ

كولان ، باريس ١٩٣١ .

السلوى الناصري (أحمد بن خالد) ، ت ١٣١٥ هـ / ١٨٩٧ م ،

٤٠ - الاستقصاء لآخبار دول المغرب الاقصى ، جزء ١ ، المطبعة البهية

المصرية ، القاهرة ١٣١٢ هـ .

الضبي (أحمد بن يحيى بن أحمد) : ٥٩٩ هـ / ١٢٠٣ م .

٤١ - بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الاندلس ، دار الكاتب العربي

١٩٦٧ .

ابن عذارى (أبو عبيد الله محمد) ، كان حيا ٧١٢ هـ / ١٣١٢ م ،

٤٢ - البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب ، طبعة بيروت ، الأول

والثاني في جزئين ، دار الثقافة ، بيروت - لبنان .

٤٣ - البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب ، الجزء الثالث ، تحقيق

الاستاذ ليفي بروفنسال ، دار الثقافة ، بيروت لبنان .

٤٤ - البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب ، قضاة تختص بعصر

المرابطين في المغرب والاندلس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٧ .

العذري (أبو العباس احمد بن عمر بن انس) ، المعروف بالدلائى ، ت ٧٨ هـ /

٩٨٨ م ،

٤٥ - نصوص عن الاندلس من كتاب ترصيع الاخبار وتنويع الآثار

والبيستان في غرائب البلدان ، والمسالك الى جميع الممالك ، تحقيق

الدكتور عبد العزيز الالهوانى ، مدريد ، ١٩٦٥ .

العمرى (ابن فضل الله) ، ت ٧٤٢ هـ / ١٣٤١ م ،

٤٦ - مسالك الابصار في ممالك الامصار ، الجزء الخاص بوصف أفريقية

والاندلس ، نشر الاستاذ حسن حسنى عبد الوهاب ، تونس .

ابن غالب (الحافظ محمد بن أيوب) :

٤٧ - قطعة من فرحة الانفس في تاريخ الاندلس ، تحقيق الدكتور لطفى

عبد البديع ، (مجلة معهد المخطوطات العربية ، جامعة الدول العربية)

المجلد الاول ، الجزء الثانى ، نوفمبر ١٩٥٥ .

ابن الفرضى (أبو الوليد ، عبد الله بن محمد بن يوسف الازدى) ، ت ٤٠٣ هـ .

١٠١٣ م ،

٤٨ - تاريخ علماء الاندلس ، نشر كوديره ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، مصر ، ١٩٦٦ .

القله شندی (أبو العباس احمد) : ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م .

٤٩ - صبح الاعشى في صناعة الانشاء جزء ٥ ، طبعه دار الكتب المصرية ١٩١٣ - ١٩١٩ .

ابن القوطيه (أبو بكر محمد بن عمر القرطبي) :

٥٠ - تاريخ افتتاح الاندلس ، تحقيق دون يخوليان ريبيرا ، مدريد ، ١٩٢٦ .

ابن الكردبوس (أبو مروان عبد الملك) :

٥١ - كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء ، القسم الخاص بالاندلس ، تحقيق الدكتور احمد مختار العبادي ، (معهد الدراسات الاسلاميه بمدريد) ، ١٩٧٢ .

المراكشي (عبد الواحد) ،

٥٢ - المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق الاستاذ محمد سعيد العريان ، لجنة إحياء التراث الاسلامي ، القاهرة ، ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م .

المقدسي (شمس الدين أبو عبد الله محمد) ،

٥٣ - احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، تحقيق دي غويه ، لندن ، ١٩٠٦ .

المسعودي (أبو الحسن بن الحسين بن علي) ،

٥٤ - كتاب التنبيه والاشراف ، نشر دي غويه ، مطبعة بريل ، لندن ١٨٩٢ .

المقریزی (تقي الدين احمد بن علي بن عبد القادر بن محمد) ،

٥٥ - كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، جزء ٢ ، طبعه

بوراق القاهرة ، ١٢٧٠ هـ .

المقری (احمد بن محمد) : ت ١٠٤١ هـ / ١٦٣١ م ،

٥٦ - تفح الطيب من غصن أنداس الرطيب، تحقيق الشيخ محيي الدين

عبد الحميد، عشرة أجزاء، المكتب التجارية، القاهرة، ١٩٤٩.

مؤلف مجهول:

٥٧ - الحلال الموشيه في ذكر الاخبار المراكشيه والمنسوب خطأ للسان

الدين بن الخطيب، الطبعة الأولى، مطبعة التقدم الإسلامية، تونس

١٣٢٩ هـ.

٥٨ - اخبار مجموعة في فتح الاندلس، تحقيق دون لافونتي الكتزه،

مدريد ١٨٦٧.

ياقوت الحموي (شهاب الدين أبي عبد الله): ت ٦٢٩ هـ / ١٢٢٩ م.

٥٩ - معجم البلدان، المجلد الخامس، دار صادر بيروت، ١٩٥٧.

المراجع العربية الحديثة والكتب المعربة

- ١ - ارسلان (الأمير شكيب) : الخلل السندسيه في الاخبار والآثار الاندلسيه ،
الطبعة الاولى ، مطبعة الرحمانيه ، مصر
١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م .
- ٢ - اماري (ميتخايل) : المكتبة العربية الصقليه ، نصوص في التاريخ
والبلدان والتراجم والمراجع ، مكتبة المثنى
بغداد ، ليبسك ، ١٨٥٧ م .
- ٣ . الاهواني (دكتور عبدالعزيز) : الفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي في
لحن العامه (مجله معهد المخطوطات العربية) ،
المجلد الثالث ، ١٩٧٢ .
- ٤ - بالباس (توديس) : الفن المرباطى والموحدى ، ترجمه الدكتور
سيد غايزى دار المعارف بمصر ١٩٧١ .
- ٥ - البرقوقى (عبدالرحمن) : حضارة العرب فى اسبانيا ، مصر ، ١٣٤١ هـ /
١٩٢٣ م .
- ٦ - بروفنسال (لينى) : الاسلام فى المغرب والاندلس ، ترجمة
الدكتور السيد عبد العزيز سالم والاستاذ
محمد صلاح الدين حلى القاهرة ، ١٩٥٨ .
- ٧ - بالنيا (انخل جونثالت) : تاريخ الفكر الاندلسى ، ترجمة الدكتور
حسين مؤنس الطبعة الاولى ، مكتبة النهضة
المصرية ، القاهرة ١٩٥٥ .
- ٨ - تشركوا (كليلياسار نلى) : مجاهد العامرى قائد الاسطولى العربى فى غربى
البحر المتوسط فى القرن الخامس الهجرى ،

الطبعة الاولى لجنة البيان العربى ، القاهرة ،
١٩٦١ .

٩ - حسين (دكتور حسن ابراهيم) : تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى جزء ٤ ، الطبعة الاولى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦٨ .

١٠ - دوزى (رينهارت) : ملوك الطوائف ، ترجمة الاستاذ كامل كيلانى ، مصر ، ١٩٥١ .

١ - الدورى (عبد العزيز) : تاريخ العراق الاقتصادى فى القرن الرابع الهجرى طبعه بغداد ، ١٩٤٨ .

١٢ - ديدان (محمد) : تاريخ العرب فى اسبانيا ، مصر ١٣٣١ هـ - ١٩١٣ م .

١٣ - ديكى (جيمس) : ملاحظات عن فلاحه البساتين العربى فى الاندلس (تقرير عن نشاط معهد الدراسات الاسلامية فى مدريد خلال شهر ديسمبر ١٩٦٦) .

١٤ - زيدان (جورجى) : تاريخ التمدن الاسلامى ، مراجعة وتعليق الدكتور حسين مؤنس ، جزء ٤ ، دار الهلال ، القاهرة ، ١٩٥٨ .

١٥ - سالم (دكتور السيد عبد العزيز) : تاريخ المسامير واثارهم بالاندلس ، دار المعارف بيروت ، لبنان ١٩٦٢ .

١٦ - تاريخ مدينة المريه الاسلاميه ، قاعده اسطول الاندلس ، الطبعة الاولى ، دار النهضة المصرية ، بيروت ١٩٦٦ .

- ١٧ - سام (ذاكور السيد عبد العزيز): المغرب الكبير ، الجزء الثاني ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٦ .
- ١٨ - ... : قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس ، جزآن و دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧١ - ١٩٧٢ .
- ١٩ - ... : التاريخ والمؤرخون ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، ١٩٦٧ .
- ٢٠ - ... : المساجد والقصور بالأندلس ، سلسلة أقرأ ، ١٩٥٥ ، القاهرة ، ١٩٥٨ .
- ٢١ - ... : العمارة الإسلامية في الأندلس وتطورها (علم الفلك) ، المجلد الثامن ، العدد الأول إبريل ، مايو ، يونيو ١٩٧٥ ، الكويت .
- ٢٢ - ... : تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، ١٩٦٩ .
- ٢٣ - ... : مدينة مرسية ، موطن الشيخ الزاهد أبو العباس المرسى مطبوعات جمعية الآثار بالإسكندرية ، ١٩٦٩ .
- ٢٤ - ... : صور من المجتمع الأندلسي في عصر خلافة الأموية وعصر دويلات الطوائف من خلال النقوش المحفورة في غلاب المتبع .

- ٢٥ - سالم (دكتور السيد عبد العزيز): قصود بني عباد باشيلية الوارد ذكرها
في شعر ابن زيدون ، بحث في ألفية ابن
زيدون ، (تحت الطبع) .
- ٢٦ - سالم (دكتور السيد عبد العزيز) : والعبادي (دكتور احمد مختار) :
البحرية في المغرب والاندلس ، بيروت
لبنان ، ١٩٦٩ .
- ٢٧ - سرور (محمد جمال الدين) : سياسة الفاطميين الخارجية ، دار الفكر
العربي ، ١٩٦٧ .
- ٢٨ - الشكبة (دكتور مصطفى) : صور من الادب الاندلسي ، دار النهضة
العربية ، بيروت ، ١٩٧١ .
- ٢٩ - الصوفي (دكتور خالد) : تاريخ العرب في اسبانيا في نهاية الخلافة
الاموية حلب ، ١٩٦٣ .
- ٣٠ - الفاسي (محمد) : الاعلام الجغرافية الاندلسية (مجلدات)
العدد ٣ ، ١٩٦٢ .
- ٣١ - عاشور (دكتور سعيد عبد الفتاح) : اوربا في العصور الوسطى ، جزء ١ ،
القاهرة ١٩٦٩ .
- ٣٢ - عباده (عبد الفتاح) : سفن الاسطول الاسلامي وأنواعها
ومعداتھا ، مطبعة الهلال بمصر ١٩١٣ .
- ٣٣ - العبّادي (دكتور احمد مختار) : دراسات في تاريخ الغرب والاندلس ،
المطبعة الأولى ، الاسكندرية ، ١٩٦٨ .
- ٣٤ - : سياسة الفاطميين نحو المغرب والاندلس
(مكتبة المعهد المصري للدراسات
الاسلامية بمطرد) ، ١٩٥٧ .

٣٨ - العبدوي (دكتور احمد مختار) : قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام
دار النهضة المصرية للطباعة والنشر ، بيروت
لبنان ، ١٩٦٩ .

٣٧ - : الصفحات الأولى من تاريخ المرابطين
(مجلة كلية الاداب بجامعة الاسكندرية)
العدد الحادى والعشرون ، مطبعة جامعه
الاسكندرية ، ١٩٦٨ .

٣٨ - : من التراث العربى الاسبانى نماذج لام
المصادر العربيه والحوليات الاسبانيه
التي تأثرت بها ، (عالم الفكر)
المجلد الثامن ، العدد الأول ١٩٧٧ ،
الكويت .

٣٩ - عباس (دكتور احسان) : تاريخ الأدب الاندلسى ، عصر سيادة
قرطبة ، دار الثقافة - بيروت ، الطبعة
الأولى ١٩٦٠ .

٤٠ - عبد البديع (دكتور لطفى) : الاسلام فى اسبانيا مكتبه النهضة العربيه
١٩٥٨ .

٤١ - عبد الحميد (دكتور سعد زغلول) : الاسكندريه من الفتح العربى حتى العصر
الفاطمى ، مقال بالكتاب الذى أصدرته
محافظة اسكندريه .

٤٢ - العبدوي (دكتور ابراهيم) : الاساطيل العربيه فى البحر المتوسط ،
القاهرة ١٩٦٣ .

- ٤٣ - العدوي (دكتور ابراهيم) : اقريطش بين المسلمين والبيزنطيين في القرن التاسع الميلادي ، (المجلة التاريخية المصرية) ، المجلد الثالث ، العدد الثاني أكتوبر ١٩٥٠ .
- ٤٤ - عنان (محمد عبد الله) : دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي (الطبعة الأولى) ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٦٠ .
- ٤٥ - غرسيه غوميث (اميليو) : الشعر الاندلسي ، ترجمة الدكتور حسين مؤنس الطبعة الأولى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٥٥ .
- ٤٦ - كونيل (ارلست) : الفن الاسلامي ، ترجمة الاستاذ احمد موسى ومراجعة الاستاذ محمد ابراهيم الدسوقي ، مطبعة اطلس القاهرة ١٩٦١ .
- ٤٧ - محمود (دكتور حسن محمود) : قيام دولة المرابطين ، صفحة مشرقة في تاريخ المغرب في العمود الوسطى مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٧ .
- ٤٨ - مرزوقي (دكتور محمد عبد العزيز) : الفن الاسلامي - تاريخه وخصائصه ، مطبعة اصحابه ، بغداد ، ١٩٦٥ .
- ٤٩ - ... : الفنون الزخرفية الاسلامية في المغرب والاندلس دار الثقافة بيروت ، لبنان .
- ٥٠ - مورينو (جوميث) : الفن الاسلامي في اسبانيا ، ترجمة الدكتور

لطفى عبد البديع والدكتور السيد عبد

العزیز ، مراجعة الدكتور جمال محرز ، دار

الكاتب العربی للطباعة والنشر ، ١٩٥٨

١- مؤنس (دكتور حسين) : فجر الائدلس ، دراسة فی تاریخ الاندلس

من الفتح الاسلامی إلى قیام الدولة الامویة

(١٧١١-٧٥٦م) ، الطبعة الاولى القاهرة ١٩٥٩

٢- : أثر ظهور الاسلام فی البحر المتوسط ،

(المجلد التاريخية المصرية) مايو ١٩٥٦ .

٣- : الجغرافیه والجغرافیین فی الاندلس (مطبعة

معهد الدراسات الاسلامیة فی مدريد) ،

المجلدان السابع ، والثامن مدريد ١٩٥٩ /

١٩٦٠ .

٤- مؤنس (دكتور حسين) : السيد القمبيطور وعلاقاته بالمسلمین (المجلد

التاريخية المصرية) ، المجلد الثالث والعدد

الأول ، مايو ١٩٥٠ .

٥- عبد النخيل (درويش) : السفن الاسلامیة علی حروف المعجم ،

مطابع الاهرام ١٩٧٤ .

٦- لويس (ارشيئالد) : القوى البحرية والتجارية فی حوض البحر

المتوسط ، ترجمة الاستاذ احمد محمد عيسى

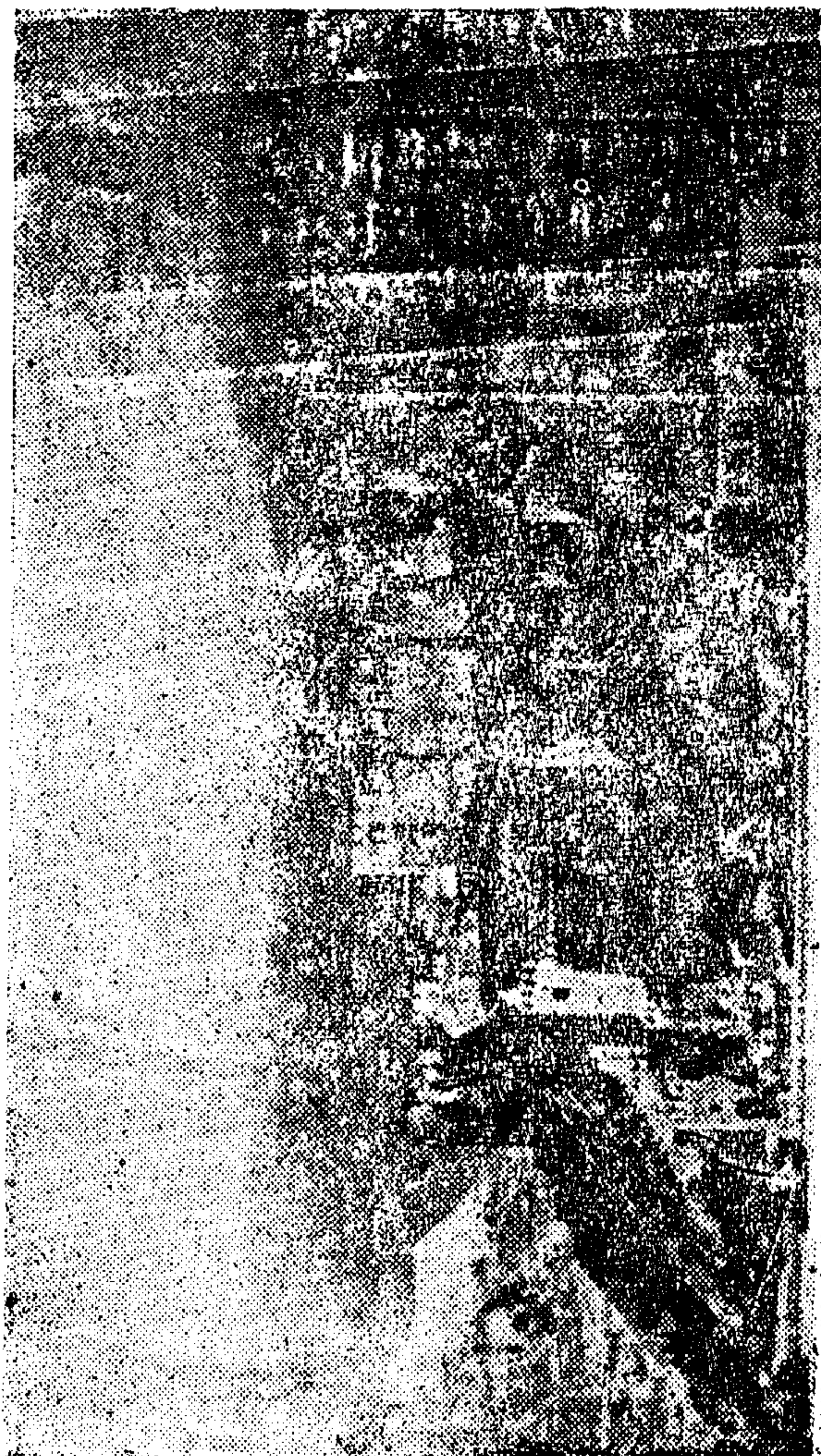
مراجعة وتقديم الاستاذ محمد شفيق غربال

مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦٠ .

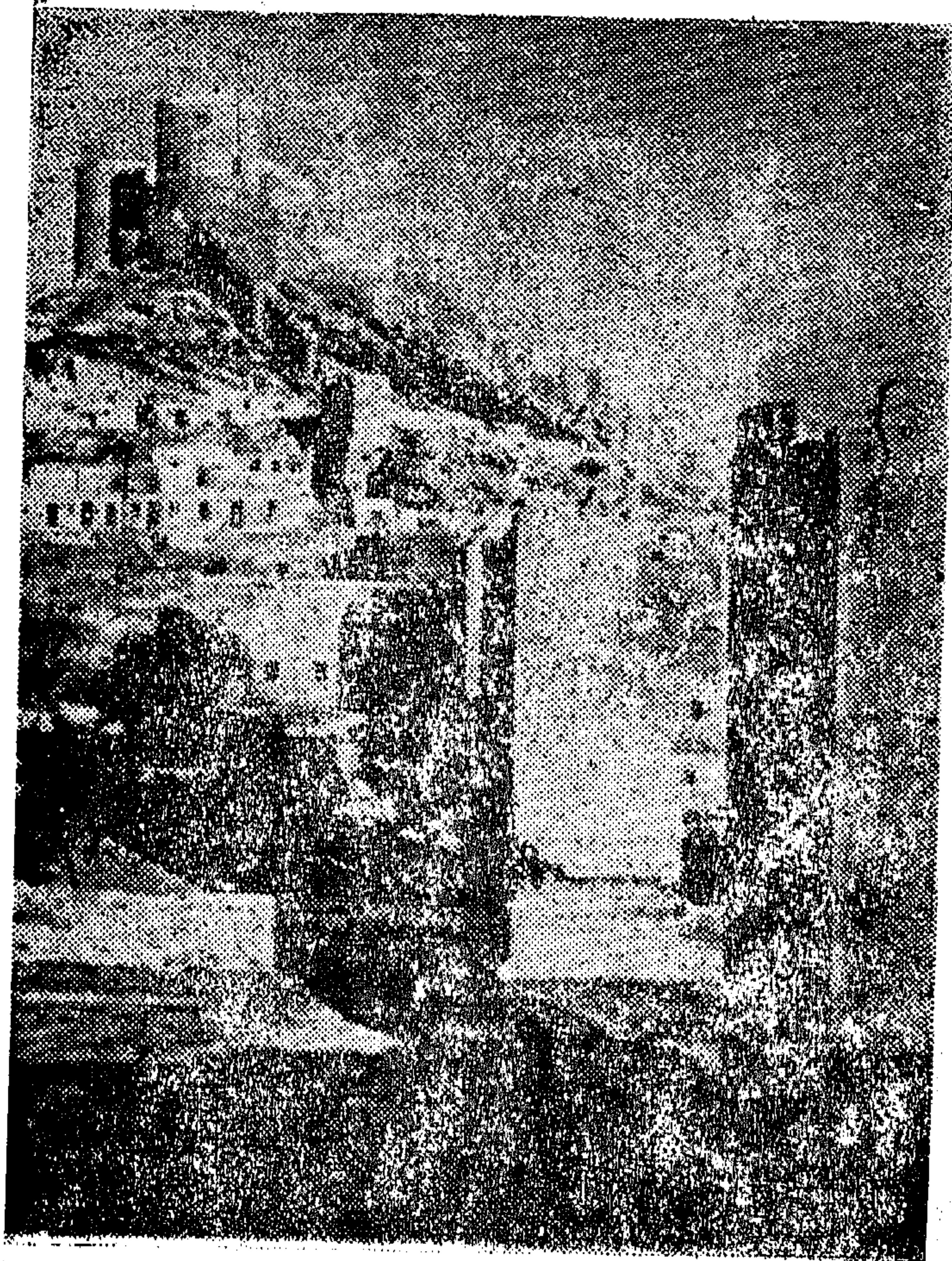
مراجع باللغة الأجنبية

- 1 - Abd Al-Karim (Gansel): Relaciones económicas de la España musulmana en la obra de Ibn al-Batuta Al-Buhārī - Mu'Yam Al Buldan > , Homenaje al profesor Carrañzo, Sevilla 1973.
- 2 - Pertland (Louis) . The history of Spain, part I, London, 1934.
- 3 - Dozy (R) : Histoire des Musulmans D'Espagne, 3 tomes , Leyde, 1932.
- 4 - ... : Recherches sur l'histoire de la littérature de l'Espagne pendant le Moyen Age, Vol. I, Leyde, 1881.
- 5 - ... : Supplement aux dictionnaires, Paris, 1927.
- 6 - Enciclopedia de la cultura Espanola Editora Nacional, tomo I, Madrid, 1963.
- 7 - Encyclopaedia of Islam.
- 8 - Ewert Christian) : El milrab de la Mezquita mayor de Almeria, (Al-Andalus), XXXVI, 1971.
- 9 - Heyd (W) : Histoire du commerce du levant du Moyen-Age, 2 tomes, Leipzig, 1986.
- 10 - Huici Miranda (Ambrioso) : La invasion de los Almoravides y la batalla de aZilaca (Hesperis), 1933.
- 11 - Levi-Provençal (F) : L'Espagne Musulmane aux Xème siecle, Paris, 1932.
- 12 - ... : Histoire de L'Espagne Musulmane, 3tomes, Paris-Leiden, 1950.
- 13 - ... : Inscription Arabes D'Espagne, 2 tomes, Leyde, Paris, Mc MXXXI, 1931.

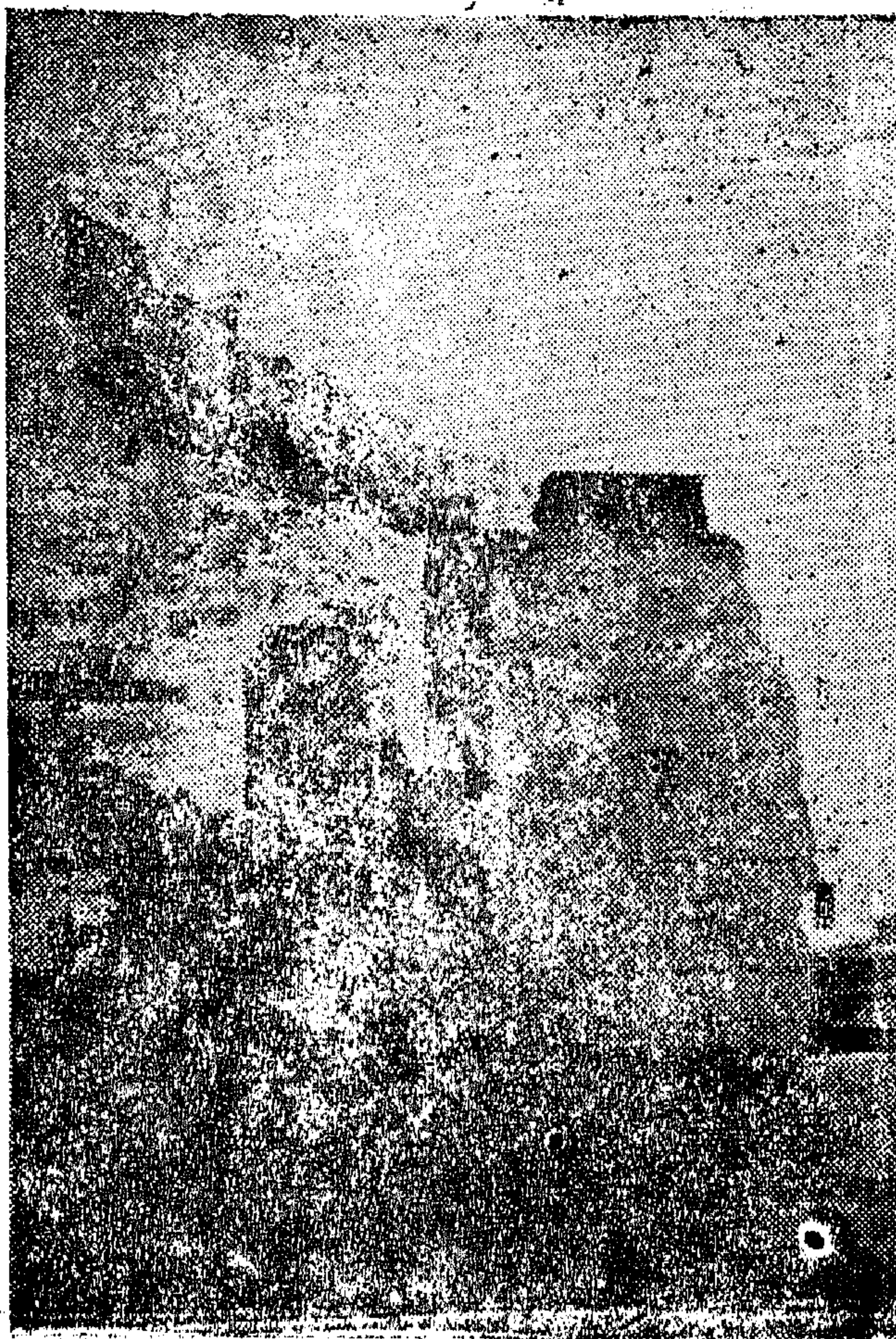
- 1 - ... : La descripción de l'Espagne d'Al-Razi,
(Al-Andalus), 1953.
- 15 - Montavez (Pedro Martínez) : Islam Cristiandad en la economía mediterranea de la baja edad media, (XIII Congreso Internacional de Ciencias historicos), Moscou', 1970.
- 16 - Seco de Lucena (Luis) : Los palacios del taifa almeriense Al-Mutasim en (Cuadron de la Hambre), III, 1967.
- 17 - Torres Balbas (Leopoldo) : Almeria Islamica, (Al-Andalus), Vol XXII, 1957.
- 18 - ... Restos de una casa Arabe en Almeria, (Al-Andalus), Vol, X, 1945.
- 19 - ... : La mezquita mayor de Almeria, (Al-Andalus), Vol, XVIII, 1952.



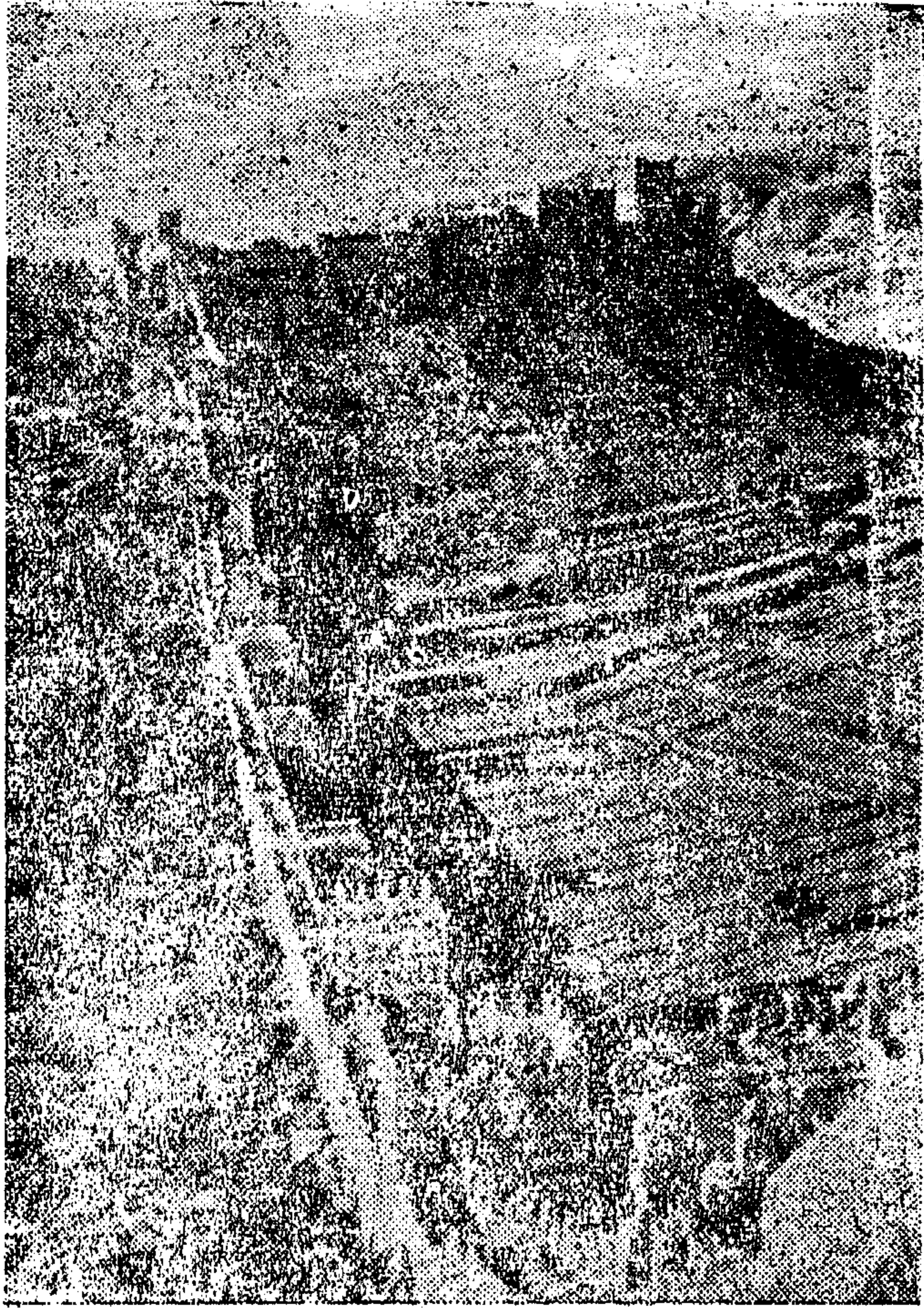
شكل (١) قعبة المريه



شكل (٢) قصبة المريه وجانب من الاسوار التى تكتنفها



شكل (٣) بقايا أسوار لا شنكا



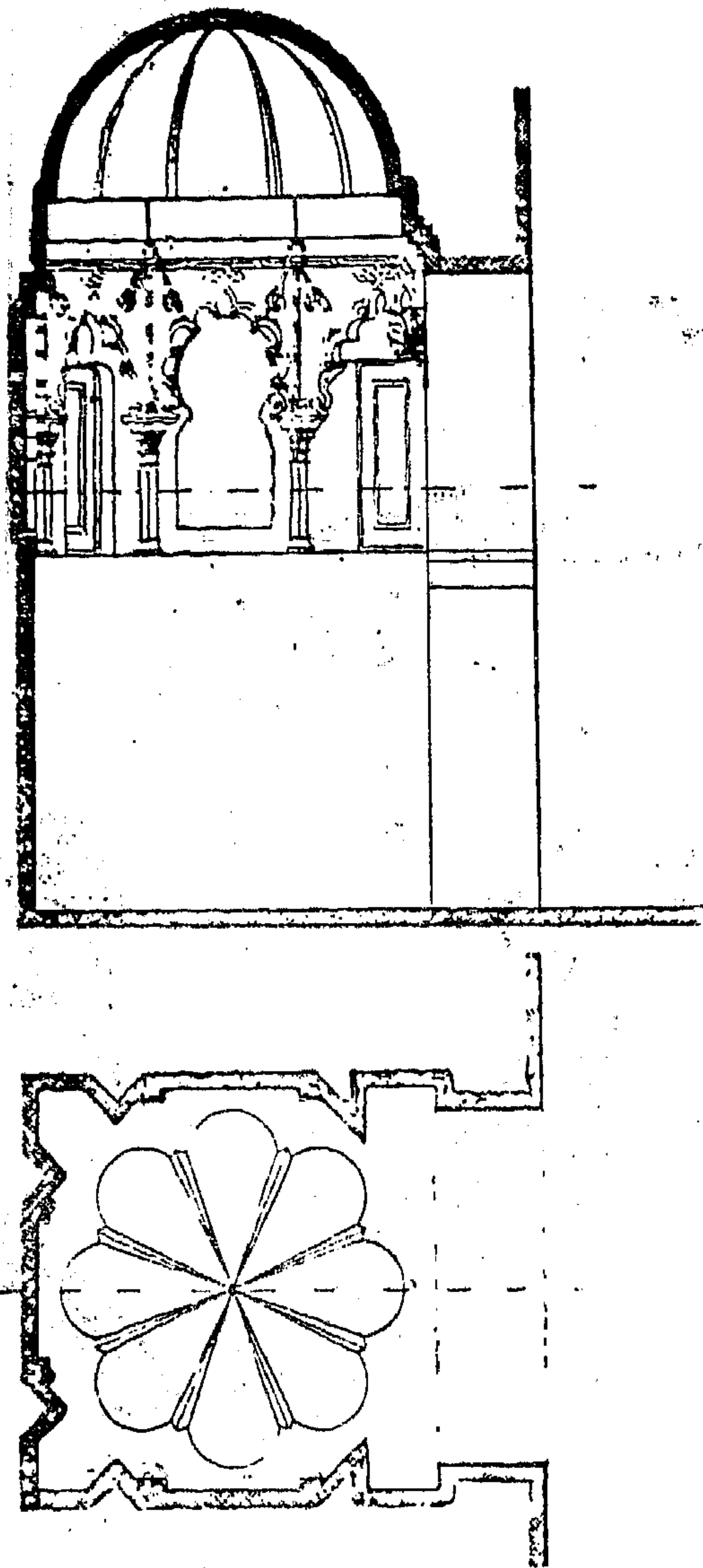
شكلي (٤) بقايا أسوار ربح المصلي



شكل (٥) محراب جامع المريه



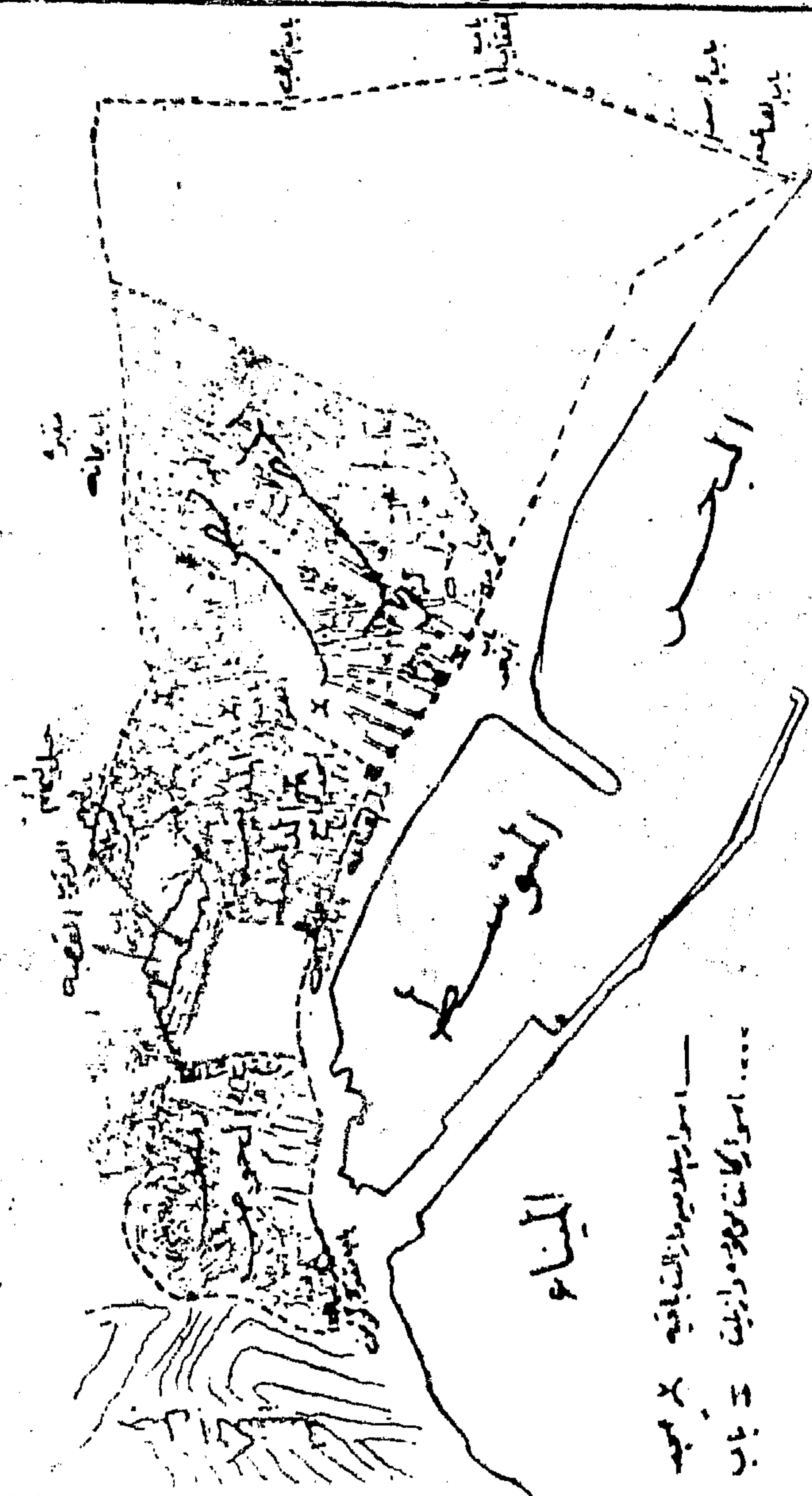
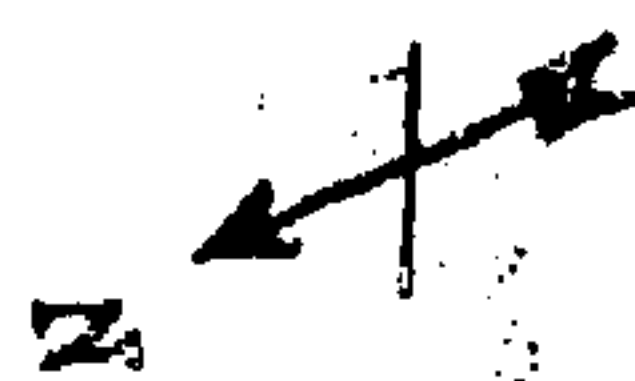
شكل (١٦) قبوة المحراب في جامع المربة



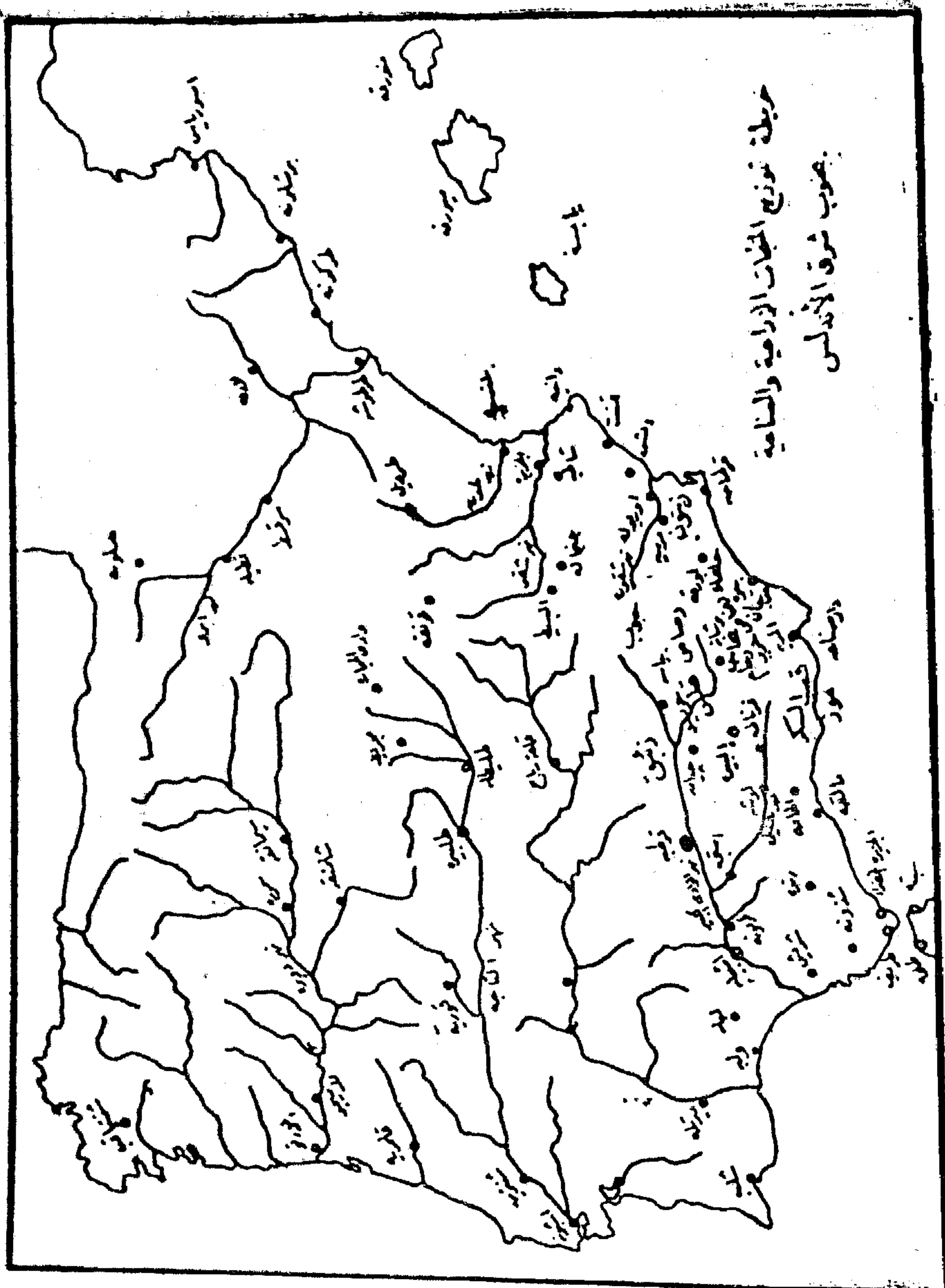
شكل (٧) قطاع لمحراب المسجد الجامع بالمريه

مکتبہ اہل بیت و اہل علم و احادیث و احادیث اسلامی

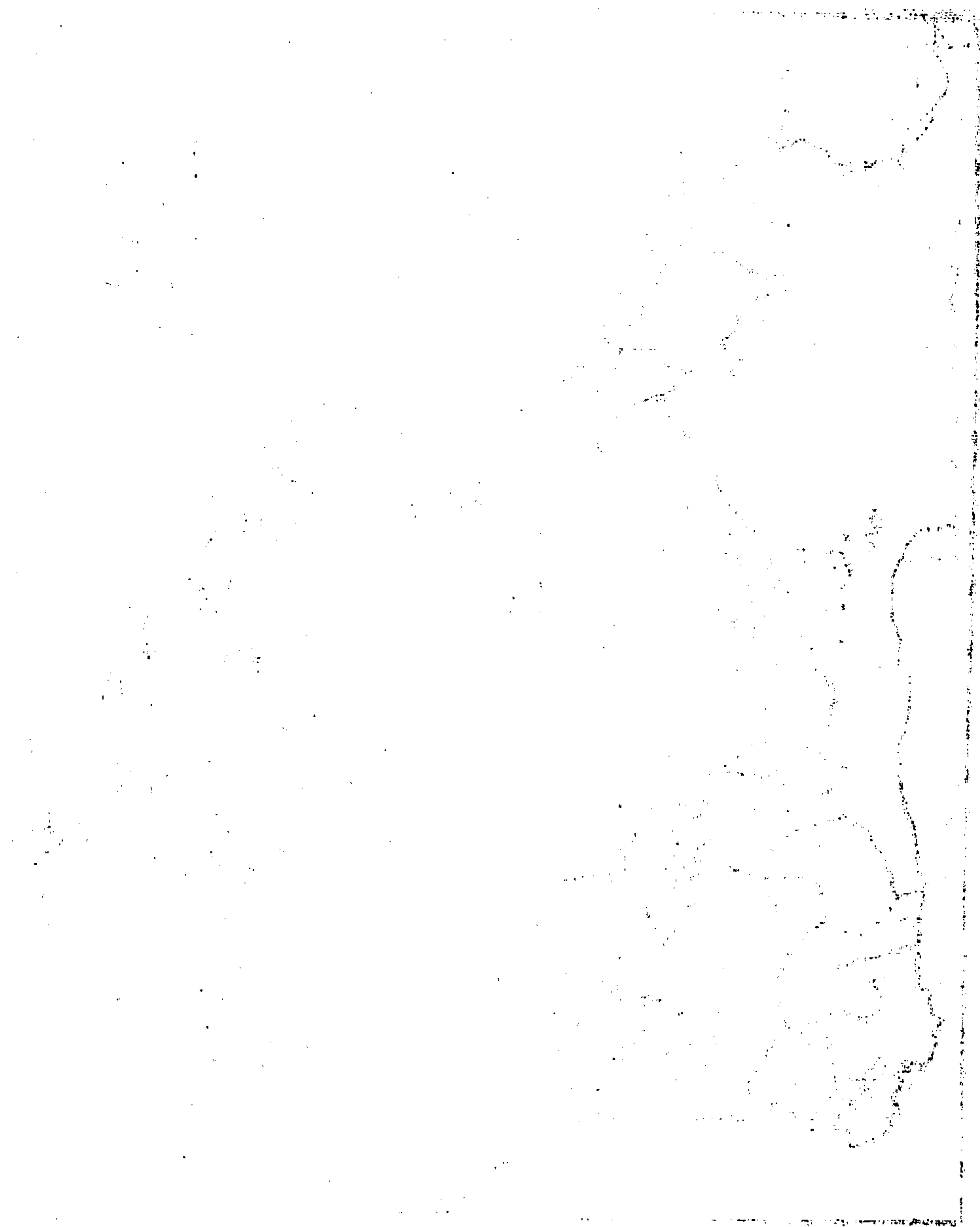
Plano de la Ciudad de Almeria
والطوارق فيه التارخية للمدينة



اسو اڳيلا سيم وارنٽ باقيدہ
اسو اڳيلا سيم وارنٽ باقيدہ



شکل (۱۱)



فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
تصدير	٥-٦
مقدمه	١-٢١
أولا : موضوع البحث والدراسة	١-٩
ثانيا : عرض لأهم مصادر البحث	١٠-٢١

الباب الأول

التاريخ السياسي	٢٣-١٦٣
الفصل الأول : تأسيس مدينة المربه وأهميه موقعها	٢٥-٢٦
أولا : الخصائص الجغرافية لمدينة المربه	٢٧
الموقع	٢٧
المناخ	٢٩
ثانيا : تأسيس مدينة بجانه وأثره في قيام المربه	١٩
ثالثا : المربه أعظم قاعدة بحرية لأسطول الأندلس في البحر المتوسط	٤٥
الفصل الثاني : المربه في عهد خيران وزهير العامري	٧٢-١١٨
أولا : النظام الإداري في المربه منذ انشائها حتى قيام دويلات الطوائف	٧٧
ثانيا : انتزاء خيران العامري بالمربه	٨٣
أولوية خيران	٩٠

الموضوع	الصفحة
السياسة الخارجية لخيران العامري	٩٣
المرية في عهد خيران	١٠٣
ثالثا : عهد زهير العامري	١٠٦
أعمال زهير في المرية	١١٥
مصرع زهير وتولية الشيخ أبو بكر الرميثي أمر المرية	١١٦
المرية في ظل حكم عبد العزيز عبد الرحمن شنجوال يونسية	١١٦

الفصل الثالث : المرية في ظل بني صمادح حتى

استيلاء المرابطين عليها	١١٩ - ١٢٣
أولا : قيام دولة بني صمادح في المرية	١١٩
أولويه بني صمادح	١١٩
أحداث المراية في عهد المعتصم بني صمادح	١٢٣
ثانيا : ازدهار المربة في عهد المعتصم	١٣٢
ثالثا : الاوضاع السياسية في الاندلس قبل دخول المرابطين	١٣٧
استدعاء المرابطين للجهاد في الاندلس	١٤٦
سقوط المربة في أيدي المرابطين	١٦٠

الباب الثاني

أهم المظاهر الحضارية	١٦٥ - ٢٥٣
الفصل الاول : تطور عمران مدينة المرية	١٦٧ - ١٩٩
تخطيط المرية وتطور عمرائها منذ تأسيسها حتى	
سقوطها في أيدي المرابطين	١٦٧

الصفحة	الموضوع
١٧١	الآثار الباقية في مدينة المرية
١٧١	أولا : الآثار الحربية
١٧١	القصبة
١٧٤	أسوار المدينة والربضين
١٧٤	أسوار المدينة القديمة
١٧٥	القطاع الشرقي
١٧٨	القطاع الغربي
١٧٩	أبواب المدينة
١٨٠	أبواب الربض الشرقي أو ربض المعلى
١٨٠	باب موسى ، باب ليهم ، باب بجانة
	باب المربي ، باب السودان ، باب دار صناعة المرية ،
١٨١	باب العقاب
١٨٢	أبواب المدينة القديمة
١٨٢	باب البحر - باب الزياتين
١٨٣	أبواب الربض الغربي أو ربض الخوض
١٨٣	باب مقبرة الخوض
١٨٣	ثانيا : الآثار المدنية
١٨٣	القصر
١٨٦	قصور الصمادية...
١٩٠	بقايا دار عربي بر بوض الخوض
١٩٢	ثالثا : الآثار الدينية

الموضوع	الصفحة
المسجد الجامع بالمرية	١٩٢
الاجزاء الباقية من الجامع	١٩٦
المساجد الاخرى بالمرية	١٩٨
المقابر	١٩٨
الفصل الثانى : الحياة الاقتصادية	٢٠١ - ٢٢٨
أولاً : الزراعة والحاصلات الزراعية للأقليم	٢٠١
ثانياً : الفنون الصناعية	٢٠٨
صناعة النسيج	٢٠٩
صناعة السفن	٢١٧
فن النحت على الرخام	٢١٩
الصناعات الأخرى	٢٢١
ثالثاً : التجارة	٢٢٢
الفصل الثالث : الحركة العلمية	٢٢٩ - ٢٥٣
أولاً : الحركة الادبية واللغوية	٢٢٩
الدراسات اللغوية والنحوية	٢٤٥
ثانياً : العلوم الدينية	
الحديث - القراءات - علم القرآن - التفسير	٢٤٨
ثالثاً : علم الجغرافيا	٢٤٩
خاتمة	٢٥٥ - ٢٦٣
قائمة المخطوطات والمصادر والمراجع العربية والأجنبية	٢٦٤ - ٢٨١

الصفحة

الموضوع

ملحق (١) الاشكال

- ٢٨٣ شكل (١) قصبة المربة
- ٢٨٤ شكل (٢) قصبة المربة وجانب من الاسوار التي تكتنفها
- ٢٨٥ شكل (٣) بقايا سور لاشانكا من القصبة إلى المدينة
- ٢٨٦ شكل (٤) بقايا أسوار ريف المصلى
- ٢٨٧ شكل (٥) محراب جامع المربة
- ٢٨٨ شكل (٦) قبوة المحراب بجامع المربة
- ٢٨٩ شكل (٧) قطاع لمحراب المسجد الجامع بالمربة

ملحق (٢) : الخرائط

- ٢٩٠ شكل (٨) مملكة المربة (عصر الطوائف)
- ٢٩١ شكل (٩) تخطيط المربة وامتداد عمرانها في العصر الاسلامي
- ٢٩٢ شكل (١٠) تخطيط لمدينة المربة في القرن الثامن الهجري
- شكل (١١) خريطة توزيع المنتجات الزراعية والصناعية

٢٩٣ بجنوب شرق الاندلس

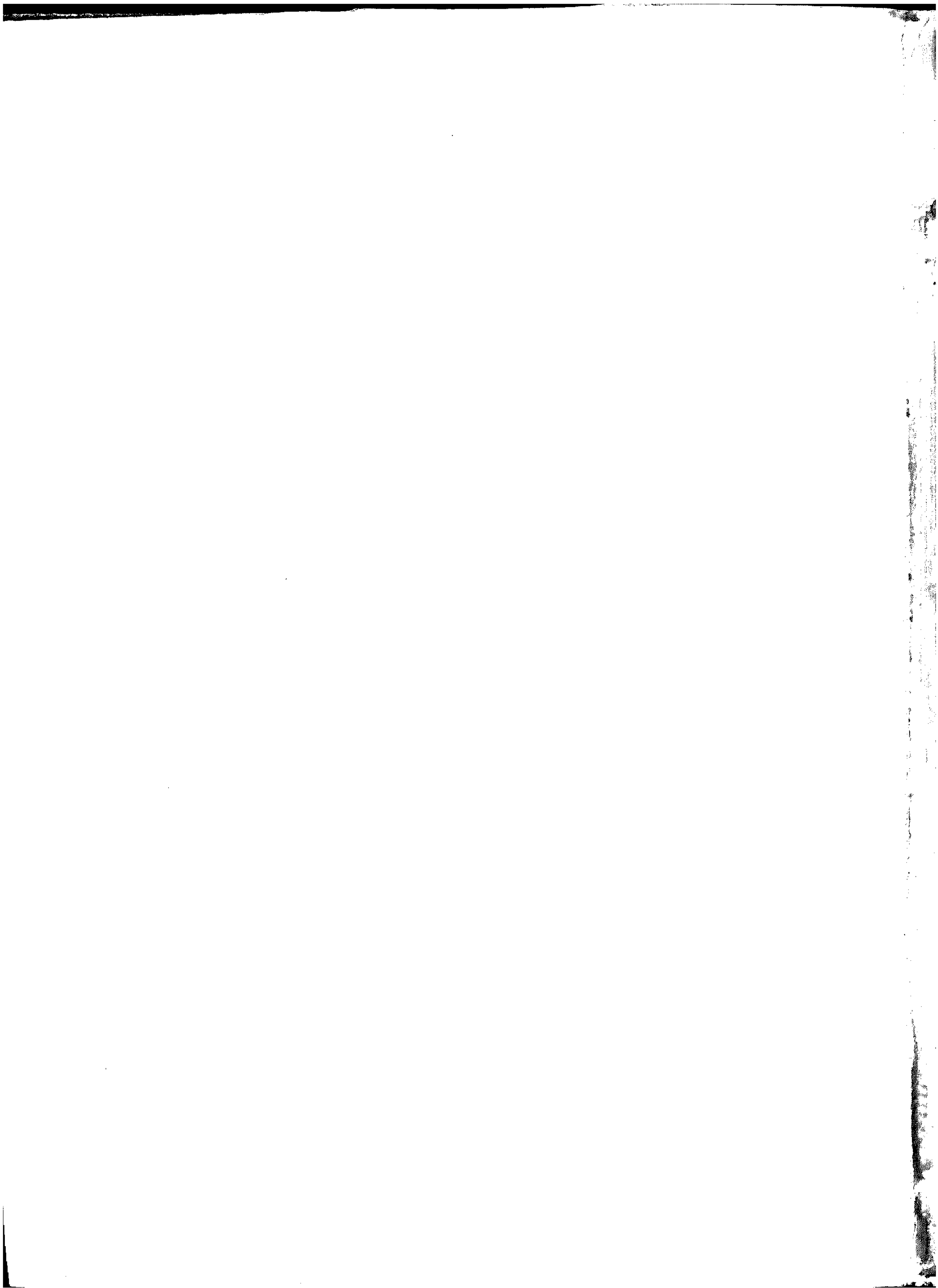


رقم الايداع : ٤٠٦٤ / ٨١
التقييم الدولي : ١ - ٧٧ - ٢٣٤٥ - ٩٧٧

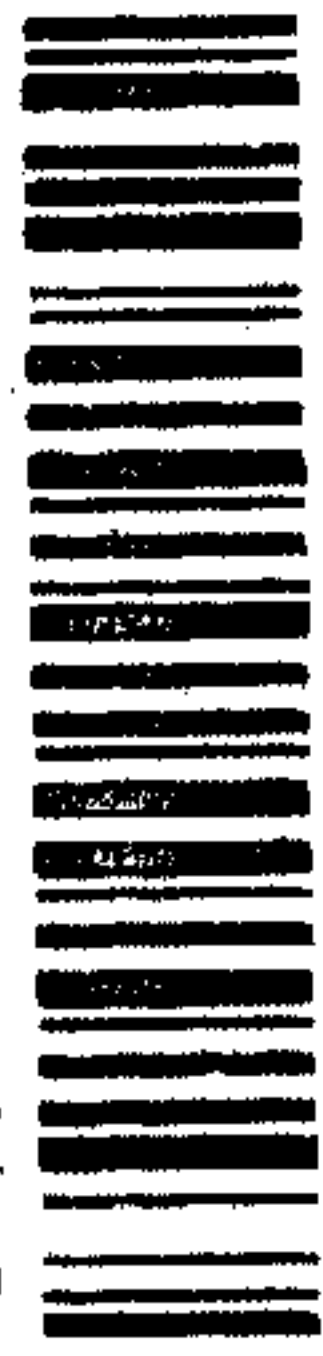
مطبعة مصنع اسكندرية للكراس
محمد محمود محمد مسعود
شارع ادب اسحق. تليفون: ٨٠٥٨٤٧ - ٨٠٠٩١٠

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA

مكتبة الاسكندرية



Bibliotheca Alexandrina



0339632

٣٢٥ قرشا